من السـادات إلى عرفـات ..

فى اصطبل داود!!

بد الستار الطويلة

مِنَ السَّادَاتِ إلى عَرَفَاتٍ..

في إصطبل داود!

تأليف

عبد الستار الطويلة



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٩٣

هذا الكتاب إلى ...

أطفال الحجارة الفلسطينيين البواسل ..

الذين سيبنون دولة فلسطين المستقلة الديمقراطية ..
الى قوى الدفاع عن السلام العادل من أبناء الشعب
الاسرائيلى .. التى انحازت فى شجاعة الى النضال
العربى من أجل التحرير بين كل دول المنطقة ..
لتحقيق العدل والتعاون والرخاء والسلام لشعوبها
جميعا ..

وهذا الكتاب ٠٠ لماذا ؟

« لقد كنا نرفضكم ٠٠ وكانت لنا أسبابنا ودعوانا ٠٠ نعم ٠٠

لقد كنا نرفض الاجتماع بكم ٠٠ فى أى مكان ٠٠ نعم ٠٠

لقد كنا نصفكم باسرائيل المزعومة ٠٠ نعم ٠٠

لقد كانت تجمعنا المؤتمرات أو المنظمات الدولية ٠٠ وكان ممثلونا وما زالوا لا يتبادلون معكم التحية والسلام ٠٠٠ نعم ٠٠

حدث هذا ولا يزال يحدث ٠٠ لقد كنا نشترط لأى مباحثات وسيطا يلتقى بكل طرف على انفراد ٠٠ نعم ٠٠

ولكننى أقول لكم اليوم ٠٠ أعلن للعالم كله أننا نقبل العيش معكم فى سلام دائم عادل ٠ ولا نريد أن نحيطكم أو أن تحيطونا بالصواريخ المستعدة للتدمير أو بقذائف الأحقاد والكراهية ٠

ولقد أعلنت أكثر من مرة أن اسرائيل أصبحت حقيقة واقعة ٠٠ اعترف بها العالم ٠٠ وحملت القوتان العظميان مسئولية أمنها وحماية وجودها ٠٠

هكذا قال أنور السادات فى الكنيست الاسرائيلى يوم ٢٠ نوفمبر ١٩٧٧ ٠٠ وكان بذلك أسبق الزعماء العرب لادراك حقائق عالم اليوم ٠٠ وظروف المنطقة وبالتالى كان هذا الادراك وراء اعلانه فى مجلس الشعب قبل ذلك بفترة قصيرة أنه مستعد أن يذهب الى أقصى مكان فى الأرض كى يطرح قضية العرب الأساسية مع اسرائيل المعتدية المحتلة لأرضهم « اننى مستعد للذهاب الى الكنيست » ٠

ومنذ ذلك اليوم فتحت أبواب الجحيم هجوما وتجريحا وسبا وقذفا ضد شخص واحد فى العالم العربى هو محمد أنور السادات ٠٠

كانت هناك جبهة رفض كما سميت قد تشكلت تلقائيا ثم عمدا ووفق تخطيط وبعد احتضان قوى ودول فى المنطقة منذ لقاء الكيلو ١٠١ فى مصر لعقد أول اتفاق بين الجيشين المصرى والاسرائيلى لينظم انسحاب

القوات الاسرائيلية من غرب القناة وفك الحصار عن الجيش المصرى الثالث ..

ثم استمرت تلك الجبهة تهاجم سياسة مصر بعد اتفاقية فصل القوات الأولى ثم الثانية ..

وشب الحريق بعد زيارة السادات للقدس .. ورغم اعلانه مطالب حركة التحرر العربية على أفضل وجه وباسلوب نفذ الى قلوب قطاعات كبيرة للشعب الاسرائيلى .. وقلوب شعوب الغرب بالذات ..

فى مؤتمر صحفى عقده السادات فى دمشق يوم ١٧ نوفمبر ١٩٧٧ ليشرح أسباب اعتزام السفر الى اسرائيل سأله أحد الصحفيين :

ـ البعض قد يفسر ذهابك الى اسرائيل بأنه انهزامية .. واستسلام ؟!
أجاب السادات :

ـ سمعنا عن الانهزامية قبل معركة أكتوبر ومثل تلك الدعاوى والتحليلات وشبعنا من هذا الكلام .. فليحفظ كل انسان تحليله لنفسه والعبرة بالنتائج ..

والحقيقة أن العبرة بالنتائج .. فعندما يحتدم الخلاف بين طرفين أو أطراف حول قضية ما .. فان الخبرة التاريخية هى التى تكشف عن صحة أى المواقف هو الأسلم ..

لقد هوجمت اتفاقية كامب ديفيد هجوما لم يحدث ضد أى اتفاقية عقدتها دولة عربية على الأقل .. وصفت بأوصاف مختلفة .. اتفاقية الخيانة .. اتفاقية الاستسلام والتصفوية ..

ولسنوات طويلة حمل المعارضون لها تلك الاتفاقية كل المصائب التى جرت فى العالم العربى ..

وتحمس بعض المسئولين العرب فوصفوا الاتفاقية بأنها اتفاقية « اسطبل داود » .. رغم أنها ترجمة محرفة لعبارة « كامب ديفيد » فالكامب يعنى المعسكر وليس الاسطبل .. ثم ان الاتفاقية لم تعقد لا فى معسكر ولا فى اسطبل وانما فى المنتجع الريفى للرئيس الأمريكى خصصته الدولة له ليريح أعصابه من الاقامة فى البيت الأبيض فى واشنطن !

وانشق عشرات الصحفيين المصريين عن النظام المصرى وغادروا البلاد اعتقادا منهم أن تلك الاتفاقية هى اتفاقية خيانة وتسليم للاسرائيليين والأمريكيين أى اهدار للاستقلال الوطنى وتقديم الشعب الفلسطينى ضحية لهما على طبق من ذهب .. وساعد على هذه الهجرة أن نظام أنور السادات منع المعارضين للمبادرة والاتفاقية بطريقة حمقاء من التعبير عن

أرائهم ومعارضتهم حتى أنـه لاحق جريدة الأهالى لسـان حزب التجمع اليسارى بطريقة ممجوجة ومفضوحة سخر فيها بعض رجال القضاء فأساء اليهم جميعا ..

وتلقفت قوى المعارضة هؤلاء الصحفيين المصريين الوطنيين وشجعتهم على التشدد فى المعارضة .. والهجوم على النظـام المصرى .. والتنديد بزملائهم المصريين الذين بقوا فى مصر ودافعوا عن الاتفاقية مصورين أنهم عملاء وخونة أيضا مثل صانع الاتفاقية !

وتحمل أربعة أو خمسة كتاب يساريين قذائف الاتهام والتشويه من زملائهم المصريين والعرب ومن بعض الاذاعات العربية .. سنوات طويلة .. وهؤلاء الكتاب هم : المرحوم صلاح حافظ رئيس تحرير روز اليوسف رغم أن السادات كان قد أقصاه من رئاسة تحرير المجلة فى أبريل ١٩٧٧ عندما قرر السادات الغاء الدور الذى كانت تلعبه هذه المجلة وكتابها وهو دور « الرأى الآخر داخل النظام » .. والدكتور عبد العظيم رمضان المؤرخ والكاتب السياسى المشهور .. والمستشار سعيد خيال .. والمرحوم الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوى رغم أن السادات كان قد أقصاه أيضا من منصب رئيس مجلس ادارة روز اليوسف مع صلاح حافظ .. ثم أخيرا كاتب هذه السطور رغم أن السادات أقصانى أيضا من تمثيل روز اليوسف الى رئاسة الجمهورية فى انقلابه ضد روز اليوسف .

لقد كان اليسار المصرى بكل فرقه السرية والعلنية يندد ويهاجم الاتفاقية وصاحبها .. وكذلك كان اليسار العربى .. ومنظمة التحرير الفلسطينية .. والاتحاد السوفيتى والأحزاب الوطنية العربية الأخرى .. مثل حزب البعث .. والناصريين .. ودول عربيـة عديدة على رأسهـا العراق وسوريا .

وكنا نحن الاربعة أو الخمسة فقط من اليسار المصرى الذين خالفوا هذا النهج .. ووقفنا مع كتاب النظـام الذين ناصروا أنور السـادات وسياسته .. وعلى رأسهم أنيس منصور .. الذى أتيح له بفضل علاقته بأنور السادات وثقافته أن يعرف الكثير عن طبيعة العدو الاسرائيلى الذى كان السادات يتعامل معه ..

ولم يحدث أننـــا قد تراجعنا أو وهن العزم منا فى الاصرار على الاستمرار فى الدفاع عن الاتفاقية مع انتقاد نقاط الضعف فيها .. بل وفى سياسة السادات نفسه .. فقد كنت مثلا من أشد المعارضين له فى مسألتين : الانفتاح الاستهلاكى .. ومسالة الديمقراطية التى كان يوجه لها الضربات كل يوم بعد أحداث ١٨ ، ١٩ يناير ١٩٧٧ .

وما كان السادات يمنع نشر المقالات المعارضة .. التى كان أغلبها

بنشر في جريدة « السياسى » التى أسجل للتاريخ أن المرحوم ممدوح رضا رئيس تحريرها كان يسمح بنشرها فى الوقت الذى كان يمنع رئيس تحرير روز اليوسف أيامها المرحوم مرسى الشافعى ذلك النشر .

ولم يكن السادات « ديمقراطيا » فى سماحه لى بنشر تلك المقالات الناقدة للانفتاح ٠٠ وللديمقراطية بل ولسياسة الولايات المتحدة ونفوذها المتسلل لمصر ٠٠ انما كان على ذكاء سياسى ٠٠ اذ هو لم يفقد الرؤية فى أن القضية الأساسية التى تهمه هو أن يناصره الكاتب فى سياسته بالنسبة لحل النزاع العربى الاسرائيلى ٠٠ وبالتالى يترك له هامشا للمعارضة فى قضايا أخرى لا تهمه الآن ٠٠ حتى يكتسب الكاتب مصداقية على الأقل ٠٠

وقد شرحت منهج السادات هذا بالتفصيل فى كتابى عنه « السادات الذى عرفته » الذى صدر عام ١٩٩٢ عن الهيئة العامة للكتاب وتعامله مع الصحفيين عموما ٠٠

هذه كانت صورة الأمس ٠٠ وتأمل بينها وبين صورة اليوم ٠٠

اليوم يترحم الناس جميعا على أنور السادات ٠٠ ويقولون أنه كان بعيد النظر ٠٠ حصيفا ٠٠ وعلى صواب فى سياسته تجاه الصراع العربى الاسرائيلى ٠٠ بينما كان معارضوه على خطأ ٠٠

ويقولون أن ما يحصل عليه الفلسطينيون اليوم مثلا أقل بكثير مما كان قد حصل عليه وحده رغم مقاطعتهم للمفاوضات مع اسرائيل والهجوم عليه باستمرار ٠٠ ويندم أغلب الفلسطينيين اليوم على أنهم لم يحضروا مؤتمر ميناهاوس ٠٠ الذى كان مؤتمرا دوليا ٠٠

ويقولون ٠٠ يا ليتهم قبلوا عام ١٩٧٨ و ١٩٧٩ ما حصل عليه السادات لهم بل ليتهم شاركوا فى التفاوض اذ من المؤكد أنهم كانوا سيكسبون أكثر ٠٠

ولأن ما جرى اليوم ويجرى ٠٠ هو وثيق الصلة بما كان يجرى بالأمس ٠٠ اذ أن الاتفاقية الفلسطينية ــ الاسرائيلية ٠٠ والاتفاق الأردني ــ الاسرائيلى ما هما الا مقدمة للتوصل الى إتفاق سورى ــ اسرائيلى ٠٠ واتفاق لبنانى ــ اسرائيلى ٠٠ لا تبدو بشائر حالية لقرب التوصل اليهما قريبا جدا ٠٠ وان كان الموقف مشحونا بالمفاجآت كما رأينا فى الاتفاقية بين اسرائيل ومنظمة التحرير ٠٠

من أجل تلك الصلة فاننا نقدم هذا الكتاب للقارىء ٠٠ ليتعرف الى التاريخ ٠٠ والحاضر ٠٠ ويستطيع أن يكتشف المنهج السليم الذى يجعله

يستطيع الحكم على الأشياء والظواهر والعلاقات على ضـوء تفهم حقيقى للواقع الموضوعى والذاتى ·· وفى عقلانية كاملة ··

وأنا فى الحقيقة مدين بالتوجه الى تأليف هـذا الكتـاب الى زميلى الأستاذ رشاد كامل مدير تحرير مجلة صباح الخير ·· والقارىء الممتاز لكل ما أكتب اذ هو الذى اقترحه على ·· كما شجعنى وألهب ظهرى على كتابته ·· الناشر سمير سرحان أحد أعلام الديمقراطية وحرية التعبير فى مصر رئيس الهيئة العامة للكتاب ··

ولعلنا تكون بذلك قد أدينا بعض المسئولية التى يتحملها من يحملون لواء الكلمة الشريفة وينشرونها على الناس ·· لوضـع الحقائق أمامهم جميعا ·· فى مصر والعالم العربى ·· فنحن نعيش فى مرحلة جديدة تماما من مراحل التطور التاريخى فى العالم ·· جديدة فى كل شىء ·· لعلنا نستطيع المسـاهمة فى صنع تلك المرحلة ·· فالناس هم صانعو التاريخ ·· وصانعو السلام أيضا ! ··

عبد السـتار الطويلة

مائدة كامب ديفيد...

أمر الرئيس كلينتون باحضار المائدة التى وقع عليها المرحوم أنور السادات ومناحم بيجين اتفاقية كامب ديفيد ٠٠ وأخرجها العمال بالفعل من المخازن وقاموا بتلميعها ٠٠ ليوقع عليها كل من أبو مازن وشيمون بيريز اتفاقية « غزة ٠٠ أريحا » الأول بصفته ممثلا عن منظمة التحرير الفلسطينية والثانى وزيرا لخارجية اسرائيل ٠

وكأنما يؤكد الرئيس الأمريكى حضور اتفاقية كامب ديفيد ١٩٧٩ ٠٠.

ولم يكتف بهذا الرمز لتأكيد ذلك الحضور ٠٠ وانما دعا كل رؤساء ووزراء الخارجية الأمريكيين السابقين ليؤكد الارتباط وأيضا الدور الأمريكى فى عقد اتفاقيات السلام بالشرق الأوسط ٠٠

وحضر بالفعل جيمى كارتر مهندس اتفاقية كامب ديفيد ١٩٧٩ ٠٠ وجورج بوش الرئيس الأمريكى الذى لعب دورا فى تنفيذ أولى الاجراءات للوصول الى اتفاقية كامب ديفيد ١٩٩٣ ٠٠

بينما اعتذر كل من ريتشارد نيكسون ٠٠ وجيرالد فورد ورونالد ريجان ٠ ولكن كل وزراء خارجية أمريكا الأحياء حضروا الاحتفال أيضا فى حديقة البيت الأبيض حيث تجمع حوالى ثلاثة آلاف مدعو فيها ٠٠ بينما تسمر مئات الملايين من البشر أمام شاشات التليفزيون يشاهدون الحدث التاريخى ٠٠

حيث وقع من جانب منظمة التحرير الفلسطينية محمود عباس (أبو مازن) عضو اللجنة التنفيذية للمنظمة بدلا من فاروق قدومى الذى يوصف دائما بأنه وزير الخارجية فيها ٠٠ لأنه عارض الاتفاقية ٠٠

وعن الجانب الاسرائيلى وقعها شيمون بيريز وزير الخارجية ٠

وشهد على التوقيع وزير الخارجية الأمريكى وارين كريستوفر ونظيره الروسى أندريه كوزيريف ٠

وشرحت وكالة رويتر المنظر الدرامى الذى تمثل فى مصافحة ياسر عرفات لاسحق رابين قائلة : وبدا أن الزمن قد توقف عندما تبادل اسحق رابين ـ ٧١ عاما ـ رئيس وزراء اسرائيل وياسر عرفات ـ ٦٤ سنة ـ رئيس منظمة التحرير الفلسطينية وهما يقفان على جانبى الرئيس الأمريكى بيل كلينتون النظرات وتفصل بينهما بضعة أقدام وخمسة وأربعون عاما من العداء الشخصى ..

ومد عرفات يده وبدا رابين مترددا فوضع كلينتون ذراعه حول رابين حاثا اياه على المصافحة .. وتصافح الرجلان .. وسط تصفيق وحماس الحاضرين من الساسة والدبلوماسيين .. بل ومسح البعض الدموع التى انسابت من عيونهم » ..

ومع أن أحدا لم يلحظ التردد الذى أشارت اليه الوكالة الأجنبية الا أنه نشر بعد ذلك أن المصافحة بين الاثنين عرفات ورابين كان متفقا عليها من قبل أن يبدأ الاحتفال ..

واستكمالا للصورة فاننا نعرض هنا .. لما قاله الخطباء في ذلك الحفل التاريخى .. بشكل موجز ..

قال ياسر عرفات فى خطابه الذى ألقاه باللغة العربية أن الفلسطينيين يقدسون الحرية والعدالة وحقوق الانسان .. وهى المبادىء التى ناضل من أجلها الشعب الفلسطينى .

وأضاف اننا نأمل فى أن يكون توقيع اتفاق السلام بمثابة بداية النهاية لفصل طويل من الآلام . وأشار الى أن من حق الشعب الفلسطيمى تقرير مصيره ولا يتعارض هذا الحق مع جيراننا وانما هو أفضل السبل لفتح الطريق أمام التعايش السلمى « اننى أرغب فى اتاحة فرصة حقيقية للسلام العادل والدائم وهى المهمة التى ستكون من أصعب المهام التى ستواجهنا فى حياتنا » .

وقال عرفات ان تطبيق هذا الاتفاق والتوجه نحو حل نهائى بعد سنتين من تنفيذ قرارى مجلس الأمن رقم ٢٤٢ و ٣٣٨ بجميع جوانبهما ولحل قضايا القدس والمستوطنات واللاجئين والحدود مسئولية فلسطينية اسرائيلية .

وأضاف أنه فى بداية المرحلة التاريخية الجديدة أتوجه الى شعب اسرائيل وقيادته التى نلتقى معها اليوم لأول مرة وأقول ان ما قمنا به يحتاج الى مزيد من الشجاعة والتصميم لنواصل مسيرة بنـاء التعايش والسلام بيننا ، وهذا ممكن وسوف يتحقق بالارادة المشتركة وبالعمل على ارساء قواعد السلام العادل والشامل .

ومضى عرفات الى القول بأن شعبينا يراقبان اليوم هذا الأمل التاريخى ويريدان اعطاء فرصة حقيقية للسلام ، ومثل هذا التحول سيعطينا الفرصة للدخول فى عملية البناء والتطور الاقتصادى والاجتماعى والثقافى والتى نتطلع الى أوسع مساهمة دولية فيها كما يتيح الفرصة أمام جميع أشكال التعاون ٠

ويلاحظ أن ياسر عرفات لم يذكر كلمة الدولة الفلسطينية فى خطابه على الاطلاق بل اكتفى بتأكيد حق تقرير المصير ٠٠

وهى اشارة منه ٠٠ الى احترام الاتفاق بأن مناقشة قضية الحل النهائى للمشكلة يكمن فى مفاوضات المرحلة الثانية بعد تطبيق الحكم الذاتى بسنتين ٠

كما أن أبا عمار لم يشر فى خطابه الى الجهود المصرية للتوصل الى الاتفاق الذى أدى الى هذا الاحتفال العالمى ٠٠ مما استوجب انتقاده من عدد من الكتاب المصريين البارزين مثل الأستاذ ابراهيم نافع رئيس تحرير الأهرام والأستاذ سمير رجب رئيس تحرير جريدة المساء ٠٠

وان كان ياسر عرفات قد ذكر فى خطابه النص التالى « وأوجه تحية الى كل اخواننا القادة العرب وفى العالم الذين ساهموا فى الوصول الى هذا الانجاز » ٠

وأعلن عرفات بعد ذلك عدة مرات اعترافه بالدور المصرى وامتنانه للجهود المصرية المعلنة وغير المعلنة ٠٠ وأشاد بالذات بالرئيس حسنى مبارك ٠٠ وقال معاونوه بين الكواليس تفسيرا لاغفاله الحديث عن دور مصر أمام العالم فى الاحتفال الكبير أن ذلك يرجع الى نوع من السهو ازاء ترتيبات الاحتفال المحمومة ٠٠ وفسر آخرون الأمر بأن الفلسطينيين ما كانوا يريدون اغضاب أحد من الزعماء العرب الآخرين ٠٠

ويلاحظ أن ذلك لم يؤثر فى موقف مصر الحماسى للاتفاق واتصالاتها بمنظمة التحرير وغيرها من الجهات العربية للاستمرار فى تنفيذ الاتفاق وتطوير عملية السلام فى الميادين الأخرى : السورية واللبنانية والأردنية ٠٠ كما ظهر ذلك فى لقاءات مبارك باسحق رابين ثم حافظ الأسد ٠٠ فى الاسكندرية فى شهر سبتمبر الماضى ٠٠

أما اسحق رابين فقد قال فى كلمته : نقول بصوت عال وجلى كفى دماء ودموعا وقد حان وقت السلام وهذا وداع للسلاح ٠

واضاف موجها حديثه للفلسطينيين « قدرنا أن نعيش معا ٠٠ وتوقيع هذا الاتفاق ليس سهلا لا على بصفتى جندى ولا على يهود اسرائيل او الشتات الذين ينتظرون بأمل وتوجس نتائج هذا الاتفاق ٠

وتلا رابين صـلاة بالعبرية من أجل السـلام وطلب من الحاضرين الانضمام اليه فى قول كلمة أمين ٠٠

ولوحظ أن اسحق رابين كان حادا عندما تحدث عن القدس اذ قال « اننا قادمون من القدس العاصمة التاريخية والأبدية للشعب اليهودى ، اننا قادمون من أرض الآلام والقلق » ٠٠

وان كان واقعيا عندما قال موجها حديثه للشعب الفلسطينى : نحن الذين حاربنا ضدكم أنتم الفلسطينيين نقول لكم الآن بصوت قوى وواضح ٠ كفى دماء ٠ وكفى دموعا ٠٠ كفى ٠

ليست لدينا أى رغبة فى الانتقام ولا نغذى أى حقد ضدكم ، نحن مثلكم شعب ٠ شعب يريد أن يبنى بيته ويزرع شجرة ليحب ويعيش الى جانبكم فى كرامة ووفاق كبشر ٠٠ كأناس أحرار ٠

والآن نحن فى البيت الأبيض فى واشنطن سنباشر تحديد العلاقات بين الشعبين ، بين الأهل الذين انهكتهم الحرب وبين الأطفال الذين لن يعرفوا الحرب ٠٠

وقيمة هذا الكلام أن رئيس وزراء اسرائيل يتخاطب مع الشعب الفلسطينى كسند للشعب الاسرائيلى والسلام يستدعى تعاونهما ٠٠ بعد أن كان قادة اسرائيل يرفضـون الاعتراف بوجـود شعب فلسـطينى أصلا ! ٠

ولاستكمال وجهة النظر الاسرائيلية فى ذلك الاحتفال نسجل هنا كلمة شيمون بيريز وزير خارجية اسرائيل الذى أصبح الآن يحمل لقب زعيم حمائم حزب العمل ٠٠ قال بيريز : ان ما نفعله اليوم هو أكثر من مجرد توقيع اتفاقية ، انه فى واقع الأمر ثورة وبالأمس كان حلما ٠٠ أما اليوم فقد أصبح التزاما اذ أن الشعبين الاسرائيلى والفلسطينى اللذين حاربا بعضهما بعضا لمدة حوالى قرن من الزمان قد بدآ يتحركان الآن بشكل حازم نحو الحوار والتعاون ٠

وأود أن أقول للوفد الفلسطينى اننا مخلصون وجادون ولا نسعى الى تقرير مصيركم ، فلنتحول من الرصاص الى صناديق الاقتراع وسوف نصل معكم وسوف نعمل بمساعدتكم على أن تزدهر غزة وأريحا مرة أخرى٠

ودعا شيمون بيريز الى تعزيز البناء الاقتصادى وسوف نسعى الى أن يكون مشـمولا بذلك الفلسطينيون والأردنيون فى سـبيل ازدهـار اقتصادى للمنطقة ٠

علينا أن نبنى رابطة جديدة على هذه الأرض أن يكون الشرق الأوسط لكل الشعوب ولأطفالها ٠٠

فلنبن شرقا أوسط حيث ينتج فيه الطعام اليوم ونضمن فيه حالة الازدهار في المستقبل ٠

ونلاحظ أن شيمون بيريز أعطى قضية التعاون الاقتصادى العربى الاسرائيلى وما يسمى بالسوق الشرق أو سطية الاهتمام الأول فى خطابه ٠

أما الرئيس كلينتون عراب هذا الاحتفال فقد أشاد فى بداية كلمته بالرئيس كارتر الذى وقع على معاهدة كامب ديفيد فى هذا المكان عام ١٩٧٩ مع الرئيس المصرى أنور السادات ومناحم بيجين رئيس وزراء اسرائيل : قائلا : نحن نحيى القيادة الحكيمة للرئيس جيمى كارتر كما أشاد كلينتون بالرئيس السابق جورج بوش ودوره فى ترتيب مؤتمر مدريد للسلام فى عام ١٩٩٠ ٠ كما أشاد بدور رابين وبيريز وعرفات وشجاعتهم فى قيادة الشعبين الاسرائيلى والفلسطينى بعيدا عن الحرب ونحو السلام ٠

وأكد الرئيس كلينتون أن سلام الشجعان فى متناول يدنا واستشهد الرئيس كلينتون بالآية الكريمة « وان جنحوا للسلم فاجنح لها » ٠٠

واختتم كلمته بقوله : ان أبناء ابراهيم أحفاد اسحق واسماعيل قد بدءوا معا رحلة جريئة واليوم نتمنى لهم معا بكل قلوبنا وجوارحنا ٠٠ شالوم ٠٠ سلام ٠٠ بيس !!

وعندما تكلم محمود عباس (أبو مازن) عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية قال « لقد وصلنا الى هذه النقطة ايمانا منا أن التعايش السلمى والتعاون هو السبيل الوحيد الى التفاهم وتحقيق أمانى الطرفين الفلسطينى والاسرائيلى ٠ والاتفاق الذى نوقعه اليوم هو التعبير عن قرارنا فى منظمة التحرير الفلسطينية بأن نفتح صفحة جديدة فى علاقتنا مع اسرائيل ٠

اننا نتطلع بأمل وتفاؤل شديدين الى سنتين من اليوم حيث تبدأ مفاوضات الوضع النهائى لبلادنا لحل القضايا الأساسية الباقية وخاصة قضية القدس واللاجئين والمستوطنات وفى حينها نضع اللبنة الأخيرة فى صرح السلام الذى نرسى قواعده هذا اليوم ٠٠

وكلام أبو مازن يلفت الأنظار بالنسبة لشعبه الفلسطينى بالذات أن اتفاق اليوم ليس نهاية المطاف ٠٠ وانما هو مجرد خطوة على الطريق ٠٠ أو بداية المرحلة الأولى ٠٠ التى تليها المرحلة الثانية ٠٠ التى يحسم فيها الخلاف على النقاط الأساسية مثل القدس وقيام الدولة الفلسطينية ٠٠ ٠٠٠ الخ ٠

وهو نفس السبب الذى جعل ياسر عرفات يتحدث الى الشعب

الفلسطينى فى الأراضى المحتلة فى نفس اليوم عن طريق تليفزيون الأردن يؤكد فيها أن الاتفاق الذى وقع هو فقط اعلان لمبادىء للمرحلة الانتقالية ، وأن الحل الشامل سيأتى بداية من السنة الثالثة لتوقيع الاتفاق ٠

وتحدث أبو عمار فى كياسة ودقة بصيرة عن الخلافات التى أثارها الاتفاق ٠٠ فوصف أعمال العنف التى جرت فى الأرض المحتلة عقب الاعتراف باسرائيل ، فقال ان هذه الأعمال تعبيرات عن رأى الشعب ولا أستطيع أن أمنعه لأن هناك ديمقراطية كما أكد أن وجود الاختلاف مسألة طبيعية وأنه لا يوجد اتفاق من غير اختلاف فاتفاق كامب ديفيد كان له معارضون وكذلك اتفاقية ماستريخت بين الدول الأوروبية ٠

وفى رسالته الموجهة للشعب الفلسطينى هذه تحدث ياسر عرفات عما نشيه فى احتفال واشنطن ٠٠ فأعرب عن شكره للدول العربية التى ساندت الاتفاق ، وخص بالذكر فى هذا الصدد الرئيس حسنى مبارك والملك حسين والملك فهد بن عبد العزيز عاهل السعودية ، كما أثنى فى هذا الشأن على البيان الذى صدر عن مجلس التعاون لدول الخليج العربية ٠

من الخليج .. إلى مدريد ؟ !

خلال أزمة الخليج حاول النظام العراقى أن يكسب الرأى العـام العربى بادخال قضية فلسطين فى المساومة مع الغرب لحل مشكلة احتلاله للكويت ٠٠ وكان يطرح فكرة ذلك الحل الذى يتضـمن جـلاء القوات الاسرائيلية عن الأرض العربية المحتلة كجزء من صفقته ثمنا لجلاء قواته عن الكويت ٠٠

ولكن الغرب رفض ذلك رفضا باتا ٠٠ والقادة العرب الذين وقفوا مع الاستعانة بالأمريكيين لارغام النظام العراقى على الانسحاب من الكويت التى غزاها غيلة واقتدارا ٠٠ لم يتحمسوا لهذا الربط ٠٠ ادراكا منهم للمناورة ٠٠ ولكن ليس هذا وحده هو السبب ٠٠ بل انهم كانوا حريصين على ألا يحصل العراق المعتدى على أى مكانة شعبية وسط الرأى العام العربى بسبب تحقيقه لتقدم من هذا النوع لقضية الشعب الفلسطينى ٠٠

ولذلك يعتقـد كثير من المراقبين السـياسيين أن العرب أضـاعوا فرصة ذهبية عندما لم يدخلوا مع الولايات المتحدة فى مساومة تاريخية من أجل حل مشكلة فلسطين مقابل تأييد حضورها وتدخلها العسكرى لحل مشكلة طرد القوات العراقية من الكويت ٠٠

لقد كانوا يرون أنه كان من الممكن أن يقول أولئك القادة العرب للامريكيين : حسنا ٠٠ لقد ساعدناكم أو بالأحرى مكناكم من الحضور والسيطرة على منابع البترول والخليج عموما ٠٠ فاعطونا شيئا نبرر به ذلك لشعوبنا تعزيزا لمكانتكم انكم قد سـاعدتمونا فى التوصـل لحل المشكلة الوطنية العربية القديمة وهى المتعلقة باحتلال اسرائيل لأرض ثلاث بلاد عربية بعد عدوان ١٩٦٧ ٠٠

لكن القادة العرب رفضوا بل وتجاهلوا أى محاولة لذلك ٠٠ كما أن النظام العراقى نفسه أضاع الفرصـــة الذهبية التى أتاحها اقتراح

الرئيس الفرنسى فرانسوا ميتران عندما قدم مبادرته الشهيرة فى نوفمبر ١٩٩٠ التى اقترح فيها على صدام حسين أن يعلن فقط مجرد اعلان أنه سينسحب من الكويت ثم يعقد مؤتمر على الفور يناقش كل القضايا التى طرحها ومن بينها قضية النزاع العربى الاسرائيلى ٠

ذلك لأن النظام العراقى لم تكن تهمه فى الحقيقة قضية فلسطين ولا يحزنون وانما كان يناور ويكسب وقتا ٠٠ والا فلماذا وجه قواته العسكرية لغزو الكويت بدلا من أن يضغط بها على اسرائيل لو كان جادا ؟

على أى حال ان الرئيس الأمريكى وعد العرب خلال أزمة الخليج أنه بعد انتهاء الأزمة أو الحرب سيبذل جهدا أكبر لحل النزاع ٠٠

وبعد جهود كثيرة ٠٠ وزيارات مكوكية لجيمس بيكر وزير الخارجية الأمريكى حينذاك وزيارة لبوش نفسه لمصر ٠٠ تقرر عقد أول لقاء بين العرب واسرائيل بعد أن رفضت اسرائيل عقد مؤتمر دولى فى جنيف ٠٠ ووضعت حكومة الليكود شروطا متعنتة لانعقاده ٠٠

التهيئة الاعلامية والنفسية فى مدريد !

واذا كان الاتفاق الأخير هو ثمرة جهود كبيرة بدأت بمؤتمر مدريد كما شرحنا من قبل ٠٠ ولما كان ذلك المؤتمر هو أول مؤتمر يلتقى فيه العرب مع اسرائيل ٠ وبالذات الفلسطينيين ٠٠ وتدور مباحثات ٠ بحضور دول عديدة مثل أمريكا والاتحاد السوفيتى (حينذاك) ومصر ٠ لأول مرة ٠٠

فانه استكمالا للفائدة ٠٠ حتى يستطيع القارىء أن يلم بأطراف القضية وتسلسل عملية التوصل الى الاتفاق الأخير الذى يفتح الباب لتحريك عملية السلام حركة واسعة دعت شيمون بيريز من حين لآخر الى استعجال الأمور بدعوة البلاد العربية الى تبادل العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل أو الغاء المقاطعة الاقتصادية التى قررتها ضدها منذ زمان طويل

وسيرى القارىء الصورة فى نوفمبر ١٩٩١ ٠٠ عند اللقاء العربى الاسرائيلى الأول فى مؤتمر مدريد ٠٠ وكيف اختلفت عن الصورة فى اللقاء الكبير فى البيت الأبيض الذى قدمناه فى الصفحات الأولى من هذا الكتاب ٠٠ ليرى أن الأمور تتطور ومن المستحيل ثبات الأحداث وتجمدها طويلا ٠٠

ونحن سنقدم صورة حية لما جرى فى مدريد ٠٠ ولهذا اخترنا بعض

ما كتبته أنا أيامها عن ذلك المؤتمر الذى كان لى حظ حضوره ممثلا لجريدة « العالم اليوم » الجريدة الاقتصادية السياسية الأولى فى الشرق الأوسط والتى يرأس تحريرها الكاتب المعروف الأستاذ عماد الدين أديب رئيس تحرير مجلة « كل الناس » أيضا ..

وسنبدأ أولا بالاجابة على سؤال : لماذا كانت مدريد وأسبانيا مكانا لهذا اللقاء الذى تحملت المملكة العربية السعودية تكاليفه كلها .. اهتماما منها بقضية السلام فى الشرق الأوسط باعتبار ذلك السلام هدفا عربيا لصالح الامة العربية كلها ..

ما الذى يثير اهتمام أسبانيا بمؤتمر للسلام فى الشرق الأوسط بحيث تدعو الى عقده على أرضها مع ما تتحمله من مخاطر ومتاعب بالنسبة للأمن ؟ .

الواقع أن أسبانيا تريد فى اطار التوحد الأوروبى القادم عام ١٩٩٢ أن تثبت وجودا فعليا داخل المجموعة الأوروبية فى وقت تنشط فيه ألمانيا ليكون لها الدور الأساسى فيها .. وهذه المحاولة الأسبانية تحظى بتأييد الولايات المتحدة حتى لا ينفرد قطب واحد بالمجموعة الأوروبية .

وأسبانيا تؤكد للولايات المتحدة وأوروبا أن لها علاقات تاريخية بالعالم العربى بحكم نفوذها السابق فى شمال أفريقيا وتقاربها فى عهد فرانكو مع الدول العربية بسبب موقف عـدم تبادل علاقتها الدبلوماسـية مع اسرائيل سنوات طويلة وبحكم مشاركتها فى حرب الخليج كعامل تدعيم للولايات المتحدة .

وقد سبق لأسبانيا ان حققت تقدما فى مكانتها فى أوروبا من خلال علاقتها الوثيقة بدول أمريكا اللاتينية بحكم علاقاتهـا التاريخية بتلك المنطقة ووحدة اللغة وعدم اتخاذها مواقف مضادة لكوبا .. وهى تقوم عادة بدور البائع الوسيط بين أوروبا وأمريكا اللاتينية .

من ناحية أخرى ان أسبانيا بدأت فى تحسين علاقاتها مع اسرائيل فى السنوات الأخيرة .. ويبيع الاسرائيليون أسلحة لأسبانيا .. ويلعبون الآن على اثارة عقدة الذنب القديم عند الأسبان عندما كانوا يضطهدون اليهود منذ عشرات السنين .

وتجد الحكومة الأسبانية تجاوبا كبيرا من الرأى العام فى حماسها لعقد مؤتمر السلام ومحاولة المشاركة فيه مشاركة فعالة .

نعنى استفتاء نشر أيامها تبين أن ٦٧٪ من الشعب يعتقدون أن الدور الأسبانى يعطى أسبانيا مزيدا من الأهمية بينما رأى ١٥٪ العكس .

ومع ذلك فان ٢١٪ فقط فى الاستفتاء قالوا أن الأطراف العربيـة والفلسطينية تتخذ مواقف ايجابية من أجل تحقيق السلام بينما رأى ١٢٪ فقط أن اسرائيل تأخذ موقفا ايجابيا ٠

واليك صورة فى البداية عن المؤتمر نفسه ٠٠ وطريقة العمل فيه ٠٠

لقد كنا نسمع فى قاعة أولئك الذين اجتمعوا فى القاعة الملكية حول مائدة واحدة من أجل انهاء عهد من العداوة والبغضاء مستمر لأكثر من نصف قرن من الزمان ٠ عبارة رائعة شاعرية كتلك العبارة التى جاءت فى خطاب عمرو موسى وزير الخارجية « لقد كان السلام هو الرسالة التى انبعثت من الشرق ٠٠ من سيناء مصر ٠٠ من الناصرة والقدس ٠٠ من مكة والمدينة ٠٠ فهلا كرس أحفاد ابراهيم عليه السلام أنفسهم من جديد لتلك الرسالة السماوية التى تدعوهم للسلام والاخاء ؟ » ٠٠

لقد عاش الصحفيون فى قلب مصنع كامل للسياسة ٠٠ يضم أربعة آلاف من البشر صناعتهم الاعلام عن السياسة ٠٠ وتتبعها ٠٠ بل والمشاركة فى صنعها ٠٠

وهو مصنع فعلا ٠٠ فلم يحدث فى حياتى ولا حياة أى صحفى كما سمعت من عشرات من الذين ألتقى بهم يوميا بل كل ساعة هنا ٠٠ أن رأيت مركزا صحفيا كهذا المركز الصحفى العالمى الذى يجمع أولئك الذين يغطون مؤتمر السلام فى مدريد ٠٠

اختارت الحكومة الأسبانية أرض المعرض الدولى ٢٢ر٠٠٠ متر ٠٠ أقامت عليها بناء ضخما من طابقين ٠٠ فى ظرف ثمانية أيام فقط ٠٠ هل يمكن تصور هذا ؟ ٠

قال لى الكثيرون أن شيئا كهذا لم يحدث على ظهر الأرض ٠٠ لا لأن البناء أقيم فقط ٠٠ بل بما فيه من أجهزة واستعدادات ٠٠

ان هناك ألف خط تليفونى وفاكس ٠٠ وخمسمائة آلة كاتبة طابعة تبعث بما يكتب الى المكان الذى يختاره الكاتب فى أى بقعة من العالم ٠٠ وأربعة آلاف مقعد فى قاعتين كبيرتين على كل مقعد جهاز استماع للترجمة الفورية لسبع لغات ٠٠ وأكثر من مائتى تليفزيون وشاشة كبيرة متناثرة فى كل مكان حيث تناثرت مئات الفوتيهات ٠٠

ومطعم كبير يقدم وجبات فاخرة ٠٠

ولكن منظمى المؤتمر ٠٠ قد استحدثوا شيئا لاول مرة فى تاريخ المؤتمرات والاجتماعات اذ نصبوا « مولدا » بالفعل ٠٠ ففى كل ركن من أركان المركز الصحفى أقاموا « بوفيها » كبيرا نثروا عليه مئات وليس

عشرات السندوتشات وقطع الحلوى والشاى والقهوة والمشروبات الغازية وكأنهم يقولون للحاضرين فى المركز ابتهجوا واكتبوا عن السـلام فى حماس ! ٠

وتنفق ادارة المركز يوميا حوالى خمسين ألف دولار على مثل تلك البوفيهات التى يشاطر فيها الحراس الصحفيون ورجال الاعلام ؟ ٠

وقد منحت ادارة المركز كل دولة مشاركة فى المؤتمر جناحا كبيرا ٠٠ يلتقى فيه الصحفيون ليكتبوا رسائلهم ٠٠ ويشاهدوا ما يحدث فى المؤتمر على شاشة التليفزيون ٠٠

كما توجد دكاكين لبيع السجاير ومركز لبيع الصحف من جميع أنحاء العالم ٠٠ بما فيها العالم العربى طبعا ٠٠ كما يوجد مركزان للاستعلامات ٠٠ ومركز لتأجير التليفونات والفاكس باليوم ٠٠ وبالأسبوع ٠٠ بل وبالسـاعة ٠٠

والتليفونات والفاكس هى أغلى الأشياء ٠٠ والغريب أنهم يؤجرون التليفونات اللاسلكية المتنقلة التى يحملها الصحفى فى جيبه ويتكلم مع أى مكان فى العالم ! ٠

وأثار دهشتى كوافد من العالم الثالث أن أجد جهازا كالآلة الكاتبة يكتب عليه الصحفى مقالاته فاذا بها تجمع هناك فى مطبعة الجريدة التى يعمل بها ٠٠ وتأتى السطور على شاشة تليفزيونية فيصحح الكلمات ويعيد كتابة بعض العبارات وكأنه يفعل ذلك فى مبنى الجريدة نفسها ٠

ولكن الدخول الى هذه الدار ليست أمرا سهلا على الاطلاق ٠٠ فدون ذلك خرط القتاد كما يقال ٠٠

لابد من الخضوع لاجراءات أمن بعد التحريات التى بموجبها تعطى سـلطات الأمن الأسـبانية كارنيه الدخول للصحفى بناء على ضـمان سفارته ٠٠ وهى اجراءات مشددة جدا ٠٠ خصوصا اذا ما تحرك الصحفيون الى القصر الملكى حيث ينعقد المؤتمر ٠٠ اذ المركز الصحفى يبعد عن القصر بثلاثة كيلومترات ولا يدخله الأربعة آلاف صحفى ٠٠ وانما ستون فقط يوميا على دفعات ٠٠ والباقون يرون كل شىء فى قاعات مزودة بشاشات كبيرة مع ترجمة للغات متعددة فى المركز الصحفى نفسه ٠

والتوجه الى القصر عملية عذاب فى حد ذاتها اذ لابد أن يخرج الوفد الصحفى مخفورا من باب خلفى فى المركز الى سيارة أوتوبيس خاصة تحت حراسة مشددة ٠٠ ثم تسير وأمامها الموتوسيكلات وسيارات النجدة وكذلك

خلفها ٠٠ ثم تدخل القصر من باب خلفى ٠٠ وينزل الصحفيون ليتعرضوا لعمليات تفتيش من جديد بواسطة أجهزة غريبة ٠٠ منها جهاز للتحقق من الورق ذاته فقد يكون مرشوشا عليه متفجرات أو سموم ! ٠

ثم يمشى الصحفيون بين حبلين غليظين من حرير ٠٠ الى قائمة مكتوب عليها قاعة انتظار الصحافة ٠٠ حيث نجد استعدادات وكرما أيضا ٠٠ ثلاثون جهاز تليفون ٠٠ بالثمن طبعا ٠٠ يطلبونه فى أدب وتهذيب ٠٠ لكن البوفيه التقليدى موجود ومفتوح على الآخر فى سخاء ! ٠

ثم ينقلونك الى قاعة الاجتماعات ٠٠ حيث تجد الوفود وقد جلست وجها لوجه على مائدة على هيئة حرف T ٠٠ الطرف الأعلى يجلس عليه بيكر وبانكين وزيرا خارجية أمريكا والاتحاد السوفيتى أيامها ٠٠

والوفد الاسرائيلى يجلس فى مواجهة الوفد الفلسطينى الأردنى المشترك ٠٠ ولم يصافح السوريون والأردنيون والفلسطينيون واللبنانيون الوفد الاسرائيلى ٠٠ وفى كل المؤتمرات الصحفية التى عقدها السوريون والأردنيون والفلسطينيون كان بعض الصحفيين الأجانب والاسرائيليين يصيحون : لماذا لا تسلم على شامير ٠٠ انها عادة عربية أن يقبل الناس بضهم بعضا ويسلمون عليهم ! ٠

التفاؤل لماذا ؟

أهم ما كان يميز مرحلة التفاوض أو البحث من أجل السلام بين العالم العربى واسرائيل فى مدريد ‥ أمران : الدولية ‥ حيث يتم التلاقى والنقاش فى حضن المجتمع الدولى ‥ وفى ظل ما يسمى بالنظام العالمى الجديد ‥ الأمر الثانى هو اللغة التى يستخدمها الأطراف المختلفون فى الحوار ‥ انها لغة جديدة على الصراع العربى الاسرائيلى ‥

فوزير الخارجية المصرى عمرو موسى يتحدث عن مسئولية أحفاد ابراهيم من أجل اقرار السلام ‥ وكيف جاءت دعوة السلام من سيناء على يد سيدنا موسى ‥ ومن الناصرة على يد المسيح ‥ ومن مكة والمدينة على يد محمد بن عبد الله ‥

ثم انه يتمشى مع الشعار الاسرائيلى السلام مقابل السلام ‥ ولكنه يفسره تفسيرا مختلفا ‥ بحيث يعود به الى الشعار الواقعى الذى يوصل حقيقة الى السلام وهو الأرض مقابل السلام ‥

وقد كان الوفد الاسرائيلى فى الاجتماع حول مائدة حرف 'T' التى جلس حولها الأطراف هادئا ‥ وهو يستمع الى خطاب عمرو موسى ‥ الذى تنضح كل عبارة فيه بفيض من الموضوعية والثقافة أيضا ‥ ولكن بن اليسار أول سفير لاسرائيل فى مصر ومن صقور اسرائيل الشبان الجدد ‥ يعض شفتيه فى قلق وتوتر من حين لآخر ‥

ولم تكن هناك العبارات التقليدية التى تثير الاسرائيليين عن الاحتلال الغاشم ‥ والقهر وقسوة الاحتلال ‥ فهذه لغة لم يعد أحد يتحدث بها فى المؤتمر على الأقل حتى الآن ・ انما لا شك أن بن اليسار كان واجما لأنه يعرف أن الأسلوب الجديد فى حوار المؤتمر هذه المرة وفى لغة العرب بالذات يكسب قلوب وعقول الناس ‥ ويضع اسرائيل فى موقع الدفاع ‥ حيث تبدو كل القوى تدق أبوابها مطالبة اياها بوضع حد لذلك النزاع الذى طال زمانه ‥ دون جدوى لا لها ولا للعرب ‥

وحتى العالم وهو يدق باب اسرائيل يدق برفق ٠٠ ويستخدم لغة هادئة أيضا ٠٠ حتى لا يجد المتطرفون أى مبرر للاثارة والاستفزاز وركوب الرأس ٠٠

ففى خطاب جورباتشوف أمام الحاضرين فى المؤتمر اختفت عبارات الامبريالية والصهيونية والتوسع والضم لتحل محلها عبارات رقيقة مثل ٠٠ لنأمل أن يسفر هذا المؤتمر عن شيء أفضل ٠٠ وعن نتائج ايجابية ٠

والأمريكيون كانوا يستخدمون هم الآخرين تكتيكا ذكيا وحذرا جدا اذ انهم يعتبرون أن مهمتهم الأساسية هى جمع الأطراف التى تناقضت مع بعضها البعض لعشرات السنين حول مائدة واحدة وجها لوجه ٠٠ ليتفاوضوا ويتباحثوا فى كل الامور التى يختلفون عليها ٠٠

وبذلك سقطت الحجة الاسرائيلية التقليدية « اننا لا نريد أن يتدخل أحد بيننا وبين العرب ونحن نطالب بالتفاوض المباشر منذ أربعين عاما ٠٠ » ٠٠

وكان المتشددون الاسرائيليون يستخدمون هذه الحجة لاثارة اللوبى الصهيونى فى الولايات المتحدة « لانقاذ اسرائيل من الضغط الأمريكى » ومحاولة فرض الحلول ٠٠ كما أنه كان يثير نوازع « حماس وطنى » داخل اسرائيل نفسها ويغذى كل الاتجاهات المتطرفة ٠٠

فى خطاب الرئيس بوش أمام المؤتمر ٠٠ لم يتحدث قط عن أى وجهة نظر أمريكية حول الحلول المختلفة للمشاكل بين العرب واسرائيل ٠٠ اذ أكد فقط ضرورة الالتزام بالقرار ٢٤٢ ٠٠ كما أوضح امكانية حدوث تنازلات أرضية متبادلة ٠

وفى المؤتمر الصحفى فى المركز الصحفى العالمى الذى عقده جيمس بيكر وزير الخارجية الأمريكى رفض الوزير باصرار أن ينزلق الى الاجابة على اسئلة كثيرة كلها تتحدث عن الحلول للمشاكل ٠٠ وأكد بيكر أنه لم يأت هنا لمناقشة الحاضرين (الصحفيين) فى أمر السياسة الأمريكية ، لأن كل ما يهم أمريكا الآن ٠٠ هو جمع الأطراف لأول مرة منذ أربعين عاما لمناقشة مشاكلهم والتوصل الى تسوية ٠

ولكن ذلك لم يمنع الأمريكيين من أن يؤكدوا أنهم سيتابعون المفاوضات الثنائية التى يعولون عليها كثيرا ٠٠ وأنهم سيتدخلون اذا ما طلب منهم أحد الأطراف التدخل ٠

وانعكس ذلك فى حديث بنجامين نتنياهو نائب وزير الخارجية الاسرائيلى وهو أحد المتشددين المشهورين فى اسرائيل فى حديثه فى

المؤتمر الصحفى فى المركز الصحفى أمام أكثر من ألفى صحفى من كل أنحاء العالم ٠٠ تعليقا على اجتماعات اليوم الأول للمؤتمر ٠٠

فلم يستطع نائب وزير الخارجية أن ينفى اسرائيل قد تنسحب من الأرض المحتلة ٠٠ قائلا اننا لم نقل أننا سننسحب من ٩٩٪ من الأرض ولا من صفر منها ٠٠ ان كل شىء قابل للتفاوض ٠

وركز على قضية حاول أن يكسب بها الرأى العام فى أوروبا وأمريكا ٠٠ وهى قضية الديمقراطية اذ قال ان وجود السلام مرتبط بالديمقراطية زاعما أن شمولية النظم فى الدول العربية هى التى تؤدى الى تقليص فرص السلام ٠٠ ولم ينس طبعا أن يقول ويكرر القول أن اسرائيل هى الدولة الديمقراطية الوحيدة فى الشرق الأوسط ٠٠

وأكد أن اسرائيل تدخل المفاوضات بلا شروط ٠٠ وأنه خلال الاجتماع وجها لوجه مع العرب كان يريد التخلص من كل تلك الاحتفالات والآخرين ليركز على شىء واحد هو التفاوض فقط مع الأطراف العربية ومن المؤكد كما قال أنه سيحقق السلام ٠٠ المرتبط فى نظره بالأمن ٠٠

ورد عليه السيد أبو جابر وزير خارجية الأردن فى مؤتمره الصحفى الذى تلى المؤتمر الاسرائيلى فسأل الصحفيين : من الذى يحتاج الى الأمن ؟ الذى أرضه محتلة مثل لبنان وسوريا والفلسطينيين والأردنيين طبعا !

وكانت اللغة أيضا لغة هادئة ٠٠ بحيث اعتقد المراقبون السياسيون أنها ستفتح بابا للتفاؤل بأن المفاوضات المقبلة مهما ستكون شاقة ٠٠ فان لغة الحوار وأسلوبه سيساعدان على التوصل لتفاهم ٠٠

وقد أبدت الوفود العربية اغتباطها الشديد بتشكيل الوفد المصرى للتفاوض لوجود عدد من المثقفين المصريين البارزين فيه ٠٠ مما يساعد على تسويد مستوى مرتفع من أسلوب التفاهم ٠٠

وقالت الصحف الأسبانية أن عمرو موسى وزير الخارجية ليس وزيرا تقليديا ٠٠ وأنه يتبنى النظرية البريطانية للدبلوماسية التى ترى أن عملية التفاوض يكون الفوز فيها لآخر من يغادر مائدة المفاوضات على حد تعبير جريدة « الاندبندنتس » ٠٠

وقد سأل محرر تلك الجريدة عمرو موسى: هل أصبح العرب يعترفون بحق اسرائيل فى الوجود ٠٠ فيرد عمرو موسى : ليس هذا فقط ٠٠ بل ان العرب يرون أن من حق اسرائيل العيش فى هدوء وأمان ! ٠

وهذا كسب للعرب تأييدا كبيرا ٠٠ حيث لم تكن هناك فى أسبانيا

جريدة سواء محافظة أو راديكالية لم تبد التعاطف مع حق الفلسطينين فى تقرير المصير ٠٠ وأن السلام بين العرب واسرائيل يجب أن يقوم على أساس مبدأ الأرض مقابل السلام ٠٠

كتبت جريدة « الموندو » مثلا كنموذج للنغمة السائدة فى صحف مدريد : ان الاتفاقيات البراجماتية يجب أن تؤدى الى قيام اتحاد فيدرالى أردنى فلسطينى كخطوة أولى لانشاء دولة فلسطينية مستقلة فى المدى البعيد وعلى اسرائيل أن تتخلى عن ممر لها يجمع بين هذه الأرض فى مقابل تنازل الفلسطينيين عن جزء من الأراضى المحتلة فى الضفة الغربية لتفادى ازالة المستوطنات » ٠

وليس غريبا بعد هذا أن نجد جوا من التفاؤل يحيط بالمراقبين السياسيين هنا ٠٠ حتى الذين جاءوا وهم فى حالة تشاؤم غيروا مواقفهم وهؤلاء يؤسسون مواقفهم على الآتى :

أن التوازن السياسى فى النزاع العربى الاسرائيلى ليس فى صالح اسرائيل ٠٠ فانها تواجه الآن : أمريكا والاتحاد السوفيتى وأوروبا ودول عدم الانحياز والاعتدال العربى والفلسطينى ٠٠ وكذلك الانتفاضة الفلسطينية ٠٠

صحيح أن اسرائيل تملك التفوق العسكرى عن كل الدول العربية ! خصوصا بعد سقوط العراق ٠٠ لكنها خاسرة على النطاق الدولى ٠ ولابد من أن يوجد حل ٠٠

وهناك أزمة داخل اسرائيل ٠٠ فقد طغت قضية السلام من جديد هناك ونما التيار السلامى أكثر وان كان بدرجة غير كافية ٠٠

ولابد لاسحق شامير أن يجيب على سؤال محدد : هل تربط اسرائيل نفسها سياسيا واقتصاديا وجغرافيا بمنطقة الشرق الأوسط أم تظل تقدم نفسها كامتداد للغرب وجسم غريب فى المنطقة ؟ ٠

اذا أخذت بالاتجاه الأول فلابد أن تقدم تنازلات من أجل السلام ٠٠ واذا أصرت على الاتجاه الثانى السائد حتى الآن ٠٠ فستظل تذكى فى الشعب الاسرائيلى نعرة اسرائيل أقوى من العرب الذين يهددونها ٠٠ وبالتالى تشحن ذلك الشعب بالعداء والخوف معا ٠٠

من ناحية أخرى يرى المتفائلون ٠٠ أن اسرائيل لا يمكن أن تظل مدللة من الولايات المتحدة الى مالا نهاية لأن الولايات المتحدة ترى أنه يمكنها المحافظة على مصالحها البترولية والاستراتيجية فى مواجهة التحدى

اليابانى والأوروبى بمعونة عربية دون اسرائيل كما دلت على ذلك حرب الخليج ٠٠

فأمريكا لن تستغنى عن الدور الاسرائيلى لكن هناك دور أيضا للعرب ٠٠ فى عالم القطب الواحد حيث ضاقت أو انعدمت بالأحرى مساحة المناورة لدى العرب عندما كان العالم مقسوما الى كتلتين ٠٠

وقد عبر هنرى كيسنجر عن ذلك فى حديث له فى جريدة لوس أنجلوس عندما قال ان الخطر الشديد الذى يواجه اسرائيل أنها لم تعد لها لغة مشتركة مع أمريكا ٠

وأضاف كيسنجر الصهيونى العريق قائلا : لو أن الأمريكيين فتحوا حوارا من أجل أن يتفهموا اسرائيل فانها ستعطيهم ما يريدونه ٠٠ ولكن أمريكا بسياستها الحالية ستنسجع العرب أن يتصوروا أن أمريكا ستأتى لهم بالأرض دون مقابل ! ٠٠

من ناحية أخرى يعتقد المتفائلون أن التيار المعتدل فى منظمة التحرير الفلسطينية قد حقق انتصارا فى توجيه شئون المنظمة ٠٠ وألا سبيل لسيطرة المتطرفين ٠٠ وأن ياسر عرفات قد ثبت أنه يفوز بزعامة وتأييد الشعب الفلسطينى كما قالت د٠ حنان عشراوى أنه يحظى بتأييد ٦٠٪ على الأقل من أبنائه ٠٠

وهذا الاتجاه المعتدل ٠٠ لا يفكر فى الحرب مع اسرائيل على الاطلاق بعد تحقيق الجلاء وحق تقرير المصير ٠٠

كما أنه يتجه الى الموافقة على الصيغة المطروحة من زمان طويل ٠٠ وهى صيغة الكونفدرالية مع الأردن حيث صرح عبد السلام المجالى الوزير ورئيس الوزراء الأردنى عدة مرات أن هناك تصورا ومشروعا لهذه الكونفدرالية يقضى بأن توجد دولتان احداهما أردنية الملك حسين هو ملكها ٠٠ ودولة فلسطين يرأسها فلسطينى ٠٠ ثم تقام دولة موحدة من حكومة مركزية وبرلمان مركزى ورئيس وزراء مركزى ٠٠ ثم الملك حسين رئيسا وليس ملكا للدولة المتحدة ٠٠

هذا ما كان يتردد فى أروقة مؤتمر مدريد من جانب المتفائلين وهم الأغلبية ٠٠

دولى .. ولكن ممنوع المصالحة ؟ !

قال الرئيس بوش لاحدى الصحفيات التى سألته عما اذا كان سيحاول التدخل لدى اسرائيل حتى تتم مبادلة أرض مقابل السلام ..

ـ لندع الأطراف تعمل فى حل هذا كله يا هيلين .. من تكونى أنت أو أنا لكى نجلس هنا فى هذه السفارة السوفياتية الجميلة ونحاول القول بما ستكون عليه الشروط ؟ ..

ويبدو الرئيس الأمريكى هنا متواضعا فى رده .. اذ يتساءل من يكون هو .. مع أنه رئيس كوكب الأرض فى عالم القطب الواحد الذى نعيشه .. ولكن معنى الكلام واضح أن الولايات المتحدة لا تفرض شيئا على اسرائيل .. ولا تنوى أن تتدخل لفرض شىء .. فهل هذا صحيح ؟ .

ان أغلب الذين حضروا الجلسة الختامية لمؤتمر السلام العام فى مدريد فسروا خروج اسحق شامير رئيس الوزراء الاسرائيلى من الجلسة بعد انتهائه من القاء كلمته .. متعللا بأنه يريد أن يكون فى اسرائيل قبل المغرب حتى يلحق باجازة يوم السبت .. نقول مردها أنها نوع من الاعراب عن عدم الرضى على الجهد الأمريكى الذى أدى الى عقد هذا المؤتمر .. ومجىء اسرائيل فيه على أعلى مستوى ..

وقالت جريدة « الموندو » الأسبانية أنه على الرغم من أن بوش كان قد أشار الى أنه لن يحاول فرض اتفاقية على الأطراف المعنية فقد قام بوضع جدول زمنى محدد لكى يقوم الفلسطينيون والاسرائيليون بحل نزاعاتهم فى نفس الوقت الذى قال فيه بنيامين نتنياهو نائب وزير الخارجية الاسرائيلى تعليقا على خطاب الرئيس بوش فى اليوم الأول للمؤتمر أنه خطاب يعبر عن عدم الجدية فى موقف الولايات المتحدة وأنه اذا كان الأمريكيون وسطاء نزيهين فعليهم أن يخلقوا جوا من الثقة وألا يضعونا فى المستقبل أمام الأمر الواقع ..

من ناحية أخرى أنه حدث أمام العالم كله أن جيمس بيكر وزير الخارجية الأمريكية عقد اجتماعا مع اسحق شامير بعد خطابه الأول فى المؤتمر وعبر الوزير الأمريكى عن خشيته من أن الأسلوب الحاد الذى استخدمه رئيس الوزراء الاسرائيلى فى ذلك الخطاب لا يفيد فى تطوير أعمال المؤتمر ويزيد التوتر ..

وبالمناسبة فعل بيكر نفس الشيء مع فاروق الشرع فى اليوم الثالث والأخير من اجتماع المؤتمر .. وأشرك معه وزير الخارجية السوفيتى وقال بيكر فى ذلك الاجتماع أنه من التقاليد المتعارف عليها فى المباحثات الدبلوماسية ألا تحول القضايا الى قضايا شخصية أى لا يمس الأشخاص اشارة الى الورقة التى أخرجها فاروق الشرع من جيبه وقال أنها اعلان بطلب القبض على اسحق شامير باعتباره كان ارهابيا وعمره ٣٢ سنة !

وفى المؤتمر اختلفت اسرائيل مع الولايات المتحدة فى أمور تبدو صغيرة لكن لها دلالتها ..

لقد طالبت اسرائيل باستبعاد صائب عريقات من الوفد الفلسطينى لأنه اعترف بأنه عضو فى منظمة التحرير الفلسطينية ورفضت الولايات المتحدة ذلك ومازال عريقات عضوا فى الوفد يمارس نشاطه فى المؤتمر بل انه ذهب الى حيث يجلس الوفد الاسرائيلى وطلب مصافحتهم .. فقالوا ان لدينا تعليمات بعدم المصافحة حسب القانون الاسرائيلى المضحك بعدم الاتصال بمنظمة التحرير الفلسطينية .. ولكن عريقات مديده باسما .. فامتدت الأيدى الاسرائيلية للوفد تصافحه وهى تضحك أيضا !

طالبت اسرائيل بعقد المؤتمر فى بلد من بلاد الشرق الأوسط .. ولكن العرب رفضوا وقررت الولايات المتحدة بدء المفاوضات الثنائية فى مدريد .. وعلى الأطراف أن تتفاوض بعد ذلك حول المكان فى وقت آخر .. ثم نشأت مشكلة أخرى تدل على الفارق بين ما كان يحدث بالأمس وما يحدث اليوم .. بين الأطراف العربية واسرائيل ..

ففيما طرحه السوريون من أنهم لا يرون عقد الاجتماعات العربية الشاملة أى المرحلة الثالثة مع اسرائيل لبحث المشاكل الاقليمية الا اذا تقدمت المباحثات الثنائية على طريق الاستجابة للحقوق العربية .

ولم تضغط الولايات المتحدة على السوريين لتغيير موقفهم ..

وكان قد سبق أن قال السوريون أنهم يرون أن يحضر الأمريكيون أو حتى السوفيت كشهود معهم فى مباحثاتهم الثنائية مع اسرائيل .. ولكن اسحق شامير ظهر على شاشة التليفزيون الأمريكى يعلن رفض هذا

ويتمسك بثنائية المفاوضات وانفراد طرفيها ببعضـهما البعض دون أى شـهود ! ٠

ولكن ظلت مع السوريين ورقة هددوا باستخدامها فى هذا المجال وهى أنه وفقا للائحة عمل المؤتمر (هو بدون لائحة ولكن جملة قواعد متفق عليها فى خطاب الدعوة وخطابات الضمانات) ٠٠ فان من حق أى طرف فى المفاوضات الثنائية أن يستدعى للحضور أيا من الأطراف المشاركة فى المؤتمر ليحضر حوارا حول قضية ما ! ٠٠

ولكن الأمر ليس بقاصر على هذا فالواقع يقول أن الولايات المتحدة قد أجبرت اسرائيل على حضور مؤتمر دولى ٠٠ وليس مؤتمرا اقليميا ٠٠ وأن افتتاح المؤتمر لم يكن افتتاحا احتفاليا كما كان الاسرائيليون يريدون ٠٠ انه كان افتتاحا استمر ثلاثة أيام ٠٠ مشحونا باللقاءات ٠٠ وعرض القضايا ووجهات النظر أمام الأطراف بعضهم البعض ٠٠ وأمام العالم كله ٠٠ حيث أكثر من مليار من البشر كانوا يشاهدون وقائع المؤتمر ٠٠ ثم أيضا داخل كل بلد من البلاد التى عرضت وجهة نظرها على الأقل للاستهلاك المحلى ٠٠

وأصبح المؤتمر بهذا يحشـد خلفه الرأى العام العالمى ٠٠ الذى يتحمس لنجاحه ٠٠ ومستعد للتدخل أو التحرك من أجل أن يتم هذا النجاح ٠٠ بالاضافة الى أن اجتماعات الأطراف ولو أنها لن تكون تحت الأضواء مثل احتفالات الافتتاح فانها ستكون تحت تلسكوب جهاز الاعلام الجهنمى فى العالم ! ٠٠

والمؤتمر أصبح دوليا أيضا ٠٠ بعد أن تحولت المجموعة الأوروبية الى طرف مشارك وليس مراقبا كما كانت تريد اسرائيل ٠٠ بل كانت ترفض أصلا وجود حتى مراقب ٠

وكذلك أصبحت مصر مشـاركا أيضا بعد أن كان التصـور أنها مراقب ٠٠ بل يمكن القول على حد تعبير عبد السلام المجالى عضو الوفد الاردنى أنها ذات دور مثلها مثل الدولتين الكبيرتين أمريكـا والاتحاد السوفيتى ٠٠ ولم يكن صـدفة أن دور مصر كان الثالث بين الـدول المتكلمة ٠٠

ومن الممكن لأى طرف حتى اسرائيل استدعاء أى طرف من هذه الأطراف للمشاركة فى الحوار والبحث والدراسة ٠٠

وكان جورباتشوف قد قال فى كلمته أن لدى الدولتين الكبيرتين خطة عمل وهوامش تتحرك فيها من أجل انجاح المؤتمر ٠٠

وربما مما يزيد المؤتمر اكتسابا للدولية هو عودة الاتحاد السوفيتى فى كلمة بوريس بانكين وزير خارجيته الى تأكيد مساندته للحق العربى وحق تقرير المصير للشعب الفلسطينى كما كان موقفه من قبل •• وهذا يعنى بأن هناك آمالا جديدة فى تحركـه لدى الولايات المتحدة حليفته وشريكته فى صناعة المؤتمر ••

وهذه المواقف جميعها ولو أنها لم تتعرض لموقف حاسم فى صالح العرب تضغط من أجله أمريكا على اسرائيل فان دوائر كثيرة فى اسرائيل تخشى أن تحس الولايات المتحدة أن « وضع اسرائيل قد تقلص كمصدر نفع استراتيجى للولايات المتحدة فى منطقة الشرق الأوسط مما يدفع اسرائيل الى القلق على مستقبل علاقاتها مع الولايات المتحدة » على حد تعبير شيمون شامير سفير اسرائيل السابق فى مصر فى حديث له فى ندوة بمعهد بروكنجز فى الولايات المتحدة ! •

وكان بعض المراقبين العرب من دول الخليج الذين حضروا مؤتمر السلام فى مدريد يرى ان هذا القلق الاسرائيلى هو أحد نتائج حرب الخليج لا أكثر ولا أقل ••

التكتيك الاسرائيلى ؟ !

كل يوم كان يمر فى مؤتمر السلام بمدريد ٠٠ كشف عن أن اسرائيل توضع فى موقع دفاعى فالاتجاه العام منه كان هو الاعتقاد أن العرب على حق الى حد كبير ٠٠ وأن على اسرائيل أن تقدم تنازلات ٠٠ فكل من شاهد حماس آلاف الصحفيين واقبالهم على المؤتمرات الصحفية التى يعقدها الوفد الفلسطينى استطاع أن يلمس هذا بوضوح ٠٠ بل ان الأسئلة الاستفزازية التقليدية من الصحفيين الغربيين ضد النضال الفلسطينى قد اختفت تقريبا ٠٠٠ خصوصا أن أعضاء الوفد الفلسطينى مثل فيصل الحسينى وحنان عشراوى استطاعوا الاجابة بطريقة مقنعة حاسمة أو مصحوبة بالحجج المنطقية والواقعية ٠٠

مثلا أثناء عبور د٠ حنان عشراوى احدى صالات المركز الصحفى فى اتجاهها الى قاعة المؤتمرات الكبرى ٠٠ لتحضر مؤتمرا صحفيا ٠٠ تزاحم عليها مئات الصحفيين بالكاميرا والميكروفونات وأجهزة التسجيل وأكثر من عشرين من رجال الأمن المركزى الأسبان يحيطونها بجدار بشرى صلب ٠٠ صاح صحفى اسرائيلى باللغة الانجليزية ٠٠

انظر اليها انها ولا جولدا مائير فى مجدها ٠٠ لقد أصبحت زعيمة عالمية ! صرخ فيه صحفى عربى ٠٠

ـ اخرس ٠٠ كيف تشبه قائدة نضال شريف بقائدة المذبحة للشعوب العربية ! ولم يرد الصحفى الاسرائيلى أو أى من زملائه بكلمة واحـدة ٠٠

لم يستطع أى مسئول اسرائيلى أن يرد على حجة مثل حجة فاروق الشرع وزير الخارجية السورى عندما يقول فى اجتماع المؤتمر :

ـ انها لمفارقة غريبة أن ترفض اسرائيل تطبيق قرار الأمم المتحدة رقم ١٩٤ الصادر منذ عام ١٩٤٨ والقاضى باعادة اللاجئين الفلسطينيين الى

ديارهم والتعويض لمن لا يرغب فى العودة بحجة أن الأرض ستضيق بهم ، بينما تستمر فى الوقت ذاته فى دفع مئات الألوف من المهاجرين اليهود الجدد للاستيطان فى هذه الأرض نفسها والتخلى عن أوطانهم الأصلية كالاتحاد السوفيتى الذى تبلغ مساحته سدس مساحة المعمورة ٠٠

ولم يستطع أى مسئول اسرائيلى أن يشكك فى صحة ما قاله فارس بويز وزير خارجية لبنان فى الاجتماع نفسه أن قرار مجلس الأمن ٤٢٥ هو قرار مستقل متكامل يتضمن آلية ذاتية مفصلة لتنفيذه ولا يرتبط بأى شكل من الأشكال بالمساعى القائمة لتطبيق القرارات الدولية المتعلقة بموضوع الأراضى العربية المحتلة عام ١٩٦٧ لا سيما القرارين ٢٤٢ و ٣٣٨ ٠

ماذا كان يمكن لأى مسئول اسرائيلى أن يقول ازاء ما أعلنه د ٠ حيدر عبد الشافى رئيس الوفد الفلسطينى فى كلمته فى المؤتمر انه من بين كل ثلاثة أطفال فى الضفة الغربية وغزة يوجد طفل قتيل أو جريح أو مقعد ! ٠٠ وبينما نحن نتكلم الآن هناك آلاف من اخواتنا واخواتنا يرزحون فى السجون والمعتقلات الاسرائيلية بدون محاكمة ٠٠ ويعذبون ويتعذبون ؟! ٠٠

وفى اشارة حضارية رائعة أشار الى قطاع الشعب الاسرائيلى الذى يتضامن مع نضال الشعب الفلسطينى فيقول : ولهذا فنحن نبدى اعجابنا الوقور دائما بأولئك الذين يأتون لتقديم المواساة والتضامن لأولئك الذين دمرت بيوتهم من بيننا ٠٠ ويقومون بالتشجيع لأولئك الذين طوتهم أسوار السجون ٠٠ لقد مشينا معا فى مسيرات واحدة ٠٠ وتعرضنا للغاز المسيل للدموع ٠٠ وصرخنا من الألم عندما انهالت الهراوات على رءوسنا فلسطينيين واسرائيليين معا فى نفس الوقت ! ٠٠

وغير ذلك الكثير منذ ألقى عمرو موسى وزير الخارجية المصرى فى اليوم الأول الذى ناشد فيه أحفاد ابراهيم (اليهود والمسيحيين والمسلمين) أن يسعوا للسلام ٠٠ الذى نزل من قبل فى سيناء مصر (على النبى موسى) ٠٠ وفى الناصرة (على المسيح) ٠٠ وفى مكة والمدينة (على محمد ابن عبد الله) ٠٠

لكن الاعلام الاسرائيلى تفتق ذهن صانعيه عن حيلة ذكية ماكرة ٠ ويبدو أنهم خصصوا شخصية اسرائيلية معينة لتطبيق الخطة واختاروا فعلا بنجامين نتنياهو نائب وزير الخارجية الاسرائيلى حينذاك ٠ وهو تلميذ نابغة فى مدرسة آرنز وزير الدفاع الاسرائيلى أيامها ووزير الخارجية من قبل ٠٠ وهى مدرسة « القتل بدم بارد » ٠٠ فآرنز يحدثك برقة شديدة

ويستقبلك في تهذب شديد .. ويتحدث حديثا عذبا .. ولكن فى نفس الوقت يصدر أوامر باطلاق الرصاص على الأطفال الفلسطينيين .. ويغلق جامعات ومدارس ويطرد ٣٠٠ مواطنا فلسطينيا من بيوتهم بعد تدميرها بالبولدوزر .. ويأمر بحبس شعب بأسره وراء أسوار البيت فى الضفة والقطاع طوال أيام حرب الخليج ! .

هكذا كان نتنياهو يذيق شعب غزة بالذات العذاب كممثل لقوة الاحتلال .. ثم هو فى مثل هذه المؤتمرات يتحدث بشياكة شديدة .. وذلاقة لسان حتى يبدو كرجل علاقات عامة لا كسوط عذاب لسلطات الاحتلال الغاشم !

لقد دفعوا به الى عقد مؤتمرات صحفية متتالية .. ويتولى الاجابة على أى سؤال مهما كان حادا وكاشفا لجرائم اسرائيل ..

لكن بماذا يجيب ؟ .. لقد أصر على لغة واحدة .. عندما يثير أحد أى مشكلة فى سؤاله : ان هذا هو الدافع لعقد هذا المؤتمر .. علينا أن نتفاوض حول أى شيء يطرحه أى طرف منا ..

يسأله سائل مثلا .. لماذا تنكلون بالفلسطينيين فى الضفة الغربية . فلا يتعرض لأحداث التنكيل .. وانما يقول فى بساطة : ان بيننا تناقضات .. ونحن لا ننكر وجودها .. دعونا نتفاوض حولها ..

تقول ان اللاجئين يعانون العذاب .. فيقول ونحن لا نريد عذابا لا للفلسطينيين ولا للاسرائيليين .. ولذلك نحن هنا كى نتفاوض ..

تقول أنتم تحتلون أرضا ليست أرضكم .. يقول .. نحن هنا لبحث هذا كله .. ولابد أن نجد طريقة للاتفاق .. ويحصل كل صاحب حق على حقه ..

وقفت فتاة عربية متحمسة .. تسأله سؤالا حماسيا : هل تقبل من ناحية المبدأ الاعتراف بأن اسرائيل دولة استعمارية تحتل أرض ثلاث دول عربية فيجيب فى رقة وهدوء .. على مائدة المفاوضات لا شك أن جيراننا عربا سيطرحون هذا الكلام .. وسنرد عليه فى المفاوضات طبعا .. وسيردون .. وهكذا حتى نصل الى تحقيق السلام ..

وهو يتحدث فى براءة متسائلا : لماذا لم يرد أحد من زعماء العرب على الدعوة التى وجهها رئيس الوزراء اسحق شامير للزعماء العرب لزيارة تل أبيب للتفاوض ؟ .

ويبدى أسفه وهو يتحدث بأسى .. فاذا وقف أحد الصحفيين وقال له ولكن معنى تلك الزيارة أنك حصلت على الاعتراف العربى والتطبيع وانت تحتل الأرض وتقتل النساء والأطفال ..

قال وهو يبتسم ٠٠ اذن نتفاوض ٠٠ أليس الأفضل أن نتفاوض قريبا فمن يملك اصدار القرار ٠٠ لنتفاوض عندكم فى عمان أو دمشق !! ٠

وهذه بداية للمراوغة ٠٠ والألاعيب الاسرائيلية المتوقعة ٠٠ خلال مرحلة المفاوضات ٠٠ التى يجب أن يتوقع العرب طولها ٠٠ ويجب أن يصمدوا فيها ٠٠ فمثل ذلك التكتيك ٠٠ يمكن بسهولة تحقيق الهزيمة له ٠٠ ولكن باصرار ٠٠ كان الاسرائيليون يلحون على عقد مفاوضات السلام فى بلد عربى ليكونوا قد حصلوا على اعتراف مسبق دون أى تنازل من أى نوع ٠٠

ولكن ماذا كانت وجهة نظر اسرائيل بالضبط فى ذلك المؤتمر ٠٠ وهل كان لديها أى اتجاه للتراجع أو المرونه منذ جاءت أم الاستمرار فى خط التشدد الليكودى ؟ ٠٠ ومن يقف وراء الاتجاهين ؟ ٠

الواقع أن خطاب شامير فى المؤتمر عبر عن الاتجاه الذى ما زال سائدا فى اسرائيل ٠٠ وهو اتجاه السلام مقابل السلام ٠٠ أى السلام المجانى ٠٠ وان كان قد أوضح أنه من الممكن التفاوض حول مشكلة الأرض ٠٠

خلف كل التيارات السياسية التى نراها تصطرع فى اسرائيل قضية واحدة أساسية كما قال لى أسعد أسعد العضو الدرزى وهو هل ترتبط اسرائيل بمنطقة الشرق الأوسط وتصبح دولة شرق أوسطية أم لا ٠٠

وعلق العضو الاسرائيلى على خطاب عمرو موسى وزير الخارجية المصرى بأنه قد دعا اسرائيل الى الأخذ بهذا الاتجاه ٠٠ لتتعايش وتشارك فى التطبيع مع دول المنطقة ٠٠ ولذلك يعتبر الخطاب مشجعا لأولئك الذين يدعون الى تحقيق هذا الارتباط ٠٠

ولكن المتطرفين ما زالوا يدعون الى اعتبار اسرائيل امتدادا للغرب فى المنطقة ٠٠ وهم لذلك ضد دعوة عمرو موسى ٠٠ وموقف العرب جميعا ٠

والسبب فى أن اسحق شامير هو الذى تولى قيادة الوفد الاسرائيلى أنه رأى أنه الوحيد القادر على التعبير عن التوازن الموجود فى اسرائيل مع ترجيح كفة الاتجاه الثانى ٠٠

هذا الاتجاه الذى ينبنى عليه الدق على نغمة أن العرب يهددون اسرائيل ولا يقبلون بوجودها ٠٠ وبالتالى لابد أن تستمر قوية وأقوى منهم مجتمعين ٠٠ ولا تقدم تنازلات فى الأرض لأن ذلك سيشجع العرب على المطالبة بالأرض كلها ٠٠ ولابد من الارتباط بالغرب فهو الحامى الأول لاسرائيل ٠٠

أما الاتجاه الأول أن تكون اسرائيل دولة شرق أوسطية يعنى تقديم التنازلات ٠٠ ويرى أن الولايات المتحدة لم تعد ترى أن اسرائيل هى الحليف الوحيد لها فى المنطقة بل هناك دول عربية يمكنها أن تشاركها فى الدفاع عن مصالحها فيها دون وجود اسرائيل ٠

ولعل الندوة التى عقدت فى معهد بروكنجز عن العلاقات الأمريكية الاسرائيلية فى ٣٠ أكتوبر ١٩٩١ قبل انعقاد المؤتمر بأيام وحضرها أمريكيون واسرائيليون توضح هذا الرأى ٠ ففى هذه الندوة قال السفير الأمريكى السابق لدى اسرائيل سام لويس أن نهاية الحرب الباردة وتأثير حرب الخليج قد أحدثا تغيرات فى الشرق الأوسط أثرت على العلاقات الامريكية الاسرائيلية ٠ بحيث أن القيمة الاستراتيجية لاسرائيل قد حدث فيها تغيير ٠٠ ومع ذلك فانه مازالت هناك بين البلدين شبكة من العلاقات المتمثلة فى القيم المشتركة والذكريات التاريخية والشعور بالذنب والأيدولوجية والآمال والوشائج العائلية التى كانت فى البداية وما زالت قائمة عبر عقود من الزمان !! ٠

الدور السعودى ..

رغم أن السعودية ليست من دول المواجهة مع اسرائيل ٠٠ الا أنه كان لها حضور فى مؤتمر جنيف ٠

ولم يقتصر ذلك الوجود على حضور الأمير بندر سفير السعودية فى الولايات المتحدة مؤتمر مدريد باعتبـاره عضوا فى وفد منظمة التعـاون الخليجي الذى حضر مؤتمر السلام باعتباره مراقبا ٠٠ وانما كان الملك فهد يقوم باتصالات مستمرة مع الرئيس حسنى مبـــارك ٠٠ والرئيس حافظ الأسد والمستر بوش الرئيس الأمريكى ٠٠

وكانت هناك أطراف طالبت بالحضور السعودى فى المؤتمر الذى تحملت نفقاته كما ذكرنا من قبل ٠

ولكن من هى هذه الأطراف التى طلبت الحضـور السعودى ؟ ٠٠ السوريون أولا ٠٠ واللبنانيون أيضا ٠

ورحبت باقى الأطراف العربية بذلك الحضور ، فمصر تنسق مع السعودية باستمرار حتى تم انعقاد المؤتمر ٠٠ والفلسطينيون يرون فى ذلك الحضور فرصة لاضطراد التحسن فى العلاقات الفلسطينية السعودية الذى بدأ قبل انعقاد المؤتمر ٠٠ عندما التقى وزير الخارجيـة السعودى بفاروق القدومى كمـــا تم الافراج عن الثـلاثة ملايين دولار التى كانت محجوزة فى السعودية لأهالى الأرض المحتلة ٠

كما أنالفلسطينيين يرون فى ذلك التحسن بداية لتحسين علاقاتهم مرة أخرى بباقى دول الخليج تحقيقا لشعار أن العرب جميعا يتحدون حول القضية الفلسطينية ٠ بعد أزمة الخليج التى مزقت العلاقات الفلسطينية الخليجية ٠

والأردن يريد سبيلا لعودة الصفاء بينه وبين السعودية خصـوصا بعد أن « عفت » عنه الولايات المتحدة اذا جاز التعبير ورفعت الحظر عن

تقديم المساعدات المالية له وأشاد المستر جيمس بيكر بدور الملك حسين ٠٠ وعودة عصر المحادثات التليفونية بينه وبين الرئيس حسنى مبارك ٠٠

لكن لماذا أراد السوريون حضور السعودية فى المؤتمر والى جوارهم ؟ ٠٠ السوريون يعرفون أن العلاقة بين السعودية والولايات المتحدة قوية جدا ٠٠ كما أن هناك علاقات وثيقة تربط السعودية بسوريا حتى فى أشد أيام الحكم فيها تطرفا ٠٠ فقد كانت سوريا دائما فى نظر السعودية نقطة توازن مع العراق قبل أن تصيبه النكسة الحالية ٠٠ ولذلك لم تنقطع المعونات السعودية أبدا عن سوريا حيث كان يرى السعوديون فيها وسيلة من وسائل تخفيف التطرف السورى ولو الى حد محدود خصوصا أيام التحالف السورى السوفيتى عندما كان الاتحاد السوفيتى دولة اشتراكية وعظمى !

ربما كان ما قاله فاروق الشرع وزير الخارجية السورى للأمير بندر بن سلطان فى احدى الجلسات التى حضرها عرب آخرون فى فندق ريتز الفاخر بمدريد : قولوا للأمريكان يتقلوا شوية من الضغط على اسرائيل ! ٠٠ تكشف الهدف السورى من ذلك الحضور ٠٠

فقد كان جيمس بيكر دائم الالحاح على السوريين أن يقبلوا تواكب أو تزامن المرحلة الثالثة للمفاوضات (حول المشاكل الاقليمية) مع المرحلة الثانية ٠٠ وضرورة قبول المباحثات الثنائية المباشرة مع اسرائيل دون حضور أى طرف من الأطراف تحت أى اسم مثل اصطلاح « الشهود » الذى استحدثه الوفد السورى فى مرحلة من المراحل ليحضر الجلسات أمريكيون أو سوفيت !

وكان بيكر يلح أيضا على ضرورة أن تكون لغة الحوار هادئة ٠٠ لاتثير الاستفزاز خوفا من حدوث أزمات ٠٠ كما حدث فعلا بعد ذلك عندما هاجم اسحق شامير النظام السورى ورد فاروق الشرع التحية بأحسن منها باشهار اعلان السلطة البريطانية أنه ارهابى مطلوب القبض عليه !

وكانت مصر تلعب دور الموفق ٠٠ ولكن السوريين طلبوا الاستعانة بالسعودية أيضا ٠٠ ولم يعارض الأمريكيون بل وجدوهافرصة من جانبهم لاستثمار علاقة السعودية بسوريا « لتليين » مواقفها المتصلبة ٠٠

وكان الأمريكيون يعرفون أنه اذا نجحت السعودية فى احداث ذلك « التليين « فان ذلك يعنى نجاحا فى كسب الوفد اللبنانى لنفس السلوك ٠٠ فالواضح منذ انعقاد مؤتمر السلام أن هناك تنسيقا بل اتفاقا بين الوفدين السورى واللبنانى على اتخاذ خط واحد ٠٠ مما دعا اسحق

شامير للحديث فى كلمته عن مواساته للشعب اللبنانى باعتبار أن سوريا « تحتل » أرضه !

فماذا فعل الوفد السعودى ؟ ..

فى اجتماعات التنسيق بين الوفود العربية الخمسة كان الوفد السعودى يقدم حلولا وسطا بين الحل الأمريكى والحل السورى .. فمثلا عندما أصر السوريون على عقد اجتماع كل وفد فى مكان منفصل ورفض الاسرائيليون .. وأيدهم الأمريكيون .. كان السعوديون هم الذين اقترحوا عقد الاجتماعات فى مكان واحد على أن يتوالى حضور الوفود وتعقد الاجتماعات منفردة على التوالى وهكذا ..

وأيد السعوديون موقف السوريين من ضرورة بحث كل القضايا الأساسية حتى من الجلسة الأولى ..

ماذا أراد الأردن ؟

ماذا كانت وجهة نظر الجانب الأردنى فى الوفد الأردنى الفلسطينى المشترك فى مباحثاته الثنائية مع اسرائيل ؟ ..

هل طالب باعادة الضفة الغربية لنهر الأردن الى الأردن باعتبارها كانت جزءا من المملكة الأردنية الهاشمية ؟ أم ماذا ؟ .

وما هى الأرض التى تحتلها اسرائيل من أرض المملكة وتطالب بها ..

وكيف يفسرون فى عمان القرار ٢٤٢ ؟ .

وما مستقبل العلاقات بين الأردن والشعب الفلسطينى الذى يريد اقامة دولته المستقلة ؟ .. ولاحظ أننا نتكلم عن أمور فى نوفمبر ١٩٩١.

أذكر أنه فى لقاء مع رئيس وفد الأردن السيد أبـــو جابر وزير الخارجية وعضو الوفد السيد عبد السلام المجالى الذى شغل منصب وزير ونائب رئيس وزراء عدة مرات فى الحكومة الأردنية ورئيس الوزراء الآن بدأ حوارنا ..

يقول رئيس الوفد .. ردا على سؤال .. لماذا هم هنا فى مؤتمر مدريد وبماذا سيطالبون ؟ .

ـ ان هناك ثلاثة أبعاد للحضور الأردنى هنا .

بعد أردنى خالص .. فهناك قضايا أساسية بيننا وبين اسرائيل والتى لابد من معالجتها ..

هناك الأراضى الأردنية المعتدى عليها والمحتلة ..

وهناك معالجة موضوع حرية الملاحة فى خليج العقبة وهذا علاوة على أنه أمر ثنائى بيننا وبين اسرائيل الا أن للسعودية دخلا فيه ..

ثم هناك مشكلة الحدود مع اسرائيل ·· فنحن حتى الآن ·· لانعرف حدود اسرائيل ·· ولا أظن العالم نفسه يعرف ! ·

وأيضا هناك مشكلة آلاف اللاجئين الفلسطينيين الذين يتوافدون علينا بأعداد ضخمة ولايزال الكثير منهم يريدون العودة أو التعويض ··

وربما لايعرف الكثيرون أن اسرائيل بدأت في تنفيذ قناة البحرين أى القناة ما بين البحر الابيض والبحر الميت ·· حيث أن هذه القناه ستؤثر فى مشاريعنا العديدة فى تلك المنطقة ·

● ماذا عن البعد الثانى ؟

ـ البعد الثانى ·· هو البعد الفلسطينى الاردنى ·· هناك قضايا فى جوهرها فلسطينية لكنها تعكس نفسها علينا ـ بشكل أو بأخر فمثلا موضوع الاستيطان يهم الفلسطينيين بالدرجة الأولى ولكنه يهمنا أيضا اذ أن اسرائيل وهى تخطط وتنفذ عملية توطين مئات الألوف من المهاجرين اليهود السوفيت ·· فان ذلك سيضيق الأرض على الشعب الفلسطينى اذ فى كل يوم تقتطع اسرائيل قطعة من الارض الفلسطينية ·

ومثلا قضية القدس ليست شأنا فلسطينيا فقط بل هى شأن أردنى ومصرى وسعودى واسلامى وعربى ··

● ما مدى تأثير وجود فلسطينيين كثيرين فى الأردن على صنع القرار الأردنى فى قضية الشرق الأوسط ··

ـ أجاب وزير الخارجية الأردنى ··

الحقيقة هذا هو البعد الثالث ·· ونحن ندخل مؤتمر السلام ·· فليس هناك مشكلة وجود فلسطينيين بين شعب الأردن ·· لأن الحقيقة أن الشعب الأردنى خليط من الفلسطينيين والأردنيين ·· فالفلسطينيون الذين يحملون جوازات سفر أردنية موجودون فى كل مكان فى كل مستويات الدولة ·

وهم يشكلون جزءا من الرأى العام الأردنى ·· والحكومة التى هم جزء فيها تدرك تطلعاتهم لأنهم أصحاب قضية ·· فأى شىء يحدث فى الضفة الغربية ينعكس علينا ·

● ما شكل العلاقة المستقبلية بينكم وبين الشعب الفلسطينى وما ستعبرون عنه فى المؤتمر ؟·

ـ التصور العالمى لذلك المستقبل بل والطرح الفلسطينى نفسه

والطرح العربى يحتم ضرورة ايجاد معادلة أردنية فلسطينية هى المتعارف عليها اليوم تحت شعار الكونفدرالية • فنحن مرتبطون بالفلسطينيين ديموجرافيا وجغرافيا وباللغة والدين والصالح المشترك بل والأذى المشترك اذ يقع الضرر علينا وعلى الشعب الفلسطينى والعالم يطالبنا بالتعادلية •

● وما تصوركم عن السلام ؟

السلام أمر متفق عليه بين العرب •• فهو ليس أردنيا فقط بل عربيا وعالميا أيضا •• ويهمنا طبعا الاتفاق على الترتيبات لنزع السلاح والأمن فى المنطقة كلها •• فالموازين مختلة فى المنطقة حاليا كما ترون جميعا •

● والأمن مع اسرائيل ؟

هو جزء من الأمن العربى العام •• وكذلك الأمن الفلسطيني • ولن يتحقق الاستقرار الا اذا أعيدت الأرض للشعب الفلسطينى •

● هل يمكن أن تطالبوا باسترداد الضفة الغربية لمملكة الأردن ؟

ـ ليس فى نيتنا عمل شىء كهذا •• لكننا نتفق وننسق مع الوفد الفلسطينى فى الوفد المشترك •• وكل ما يريدون منا عمله لتحقيق آمالهم وتطلعاتهم سنفعله •

نحن نتفهم المعاناة الفلسطينية •• ونتغاضى عن أى تجاوزات بسبب ادراكنا لهذا كله ••

ولكن ما هى الأرض التى تحتلها اسرائيل من أرض الأردن ، ومدى انطباق القرار ٢٤٢ عليها أجاب السيد عبد السلام المجالى عضو الوفد على هذا السؤال •• فقال لى ••

ـ القرار ٢٤٢ ينص على انسحاب اسرائيل من الأرض العربية المحتلة ، ومنها أرض الضفة الغربية وقطاع غزة •

وعندنا مشكلة أرض أردنية فى العقبة تحتلها اسرائيل ومساحتها ٣٩٠ كيلو متر مربع •• احتلتها اسرائيل قبل عام ١٩٦٧ •

ثم هناك البحر الميت مفروض أنه مقسوم نصفين بين اسرائيل والأردن ولكنها تسيطر عليه كله ••

وهناك أرض محتلة عند بحيرة طبرية ••

ثم هناك مياه نهر الأردن تسرقها اسرائيل يوميا بعد مياه اليرموك •

● هل ولت سحابة الصيف بينكم وبين مصر ··

ـ القضية الرئيسية الآن هي قضية الاحتلال الاسرائيلى ·· وكل خلافاتنا مع العرب يمكن أن تزول ولابد أن تزول ·

● هل تخشون من أن يستولى الفلسطينيون على الأردن ويزيحوا الأسرة المالكة فى الأردن من الحكم ؟

ـ هذه كلها تحرضات ودسـائس وافتراءات ·· ان الفلسطينيين اخوان لنا وجزء كبير منهم من شعب الأردن ·· ولا أحد يفكر فى هذا ·· ان كل فلسطينى يفكر فى تحرير أرضه ·· أما المستقبل فهو مسألة مصيرية بالنسبة للشعب الأردنى ·· والشعب الفلسطينى ·

● ما تصوركم للفيدرالية أو الكونفدرالية بعد حق تقرير المصير للشعب الفلسطينى ··

ـ تكون هناك دولتان ·· ثم برلمان مشـترك ورئيس حكومة مشترك ، ثم الملك يصبح رئيسا للدولة المتحدة · وسـيظل ملكا على الأردن ويكون للفلسطينيين رئيس أو ما يشاءون ·

● هل أنت متفائل بنجاح المؤتمر ؟ ··

ـ أعتقد أن عوامل النجاح كثيرة عن أى وقت !

السوفيت « تحت الطلب » الأمريكي ؟

رغم أنه في نوفمبر ١٩٩١ لم يكن الاتحاد السوفيتي قد زال عن خريطة العالم السياسية ·· بتفككه وانهياره بعد الانقلاب العسكرى المريب الذى جرى فيه ·· وكان مازال يمثل دولة عظمى باعتباره واحدا من الدولتين الداعيتين والراعيتين لمؤتمر مدريد ·· الا أن دوره كان باهتا فى المؤتمر ·· وفيما يلى ما كتبته عن ذلك الدور فى جريدة العالم اليوم فى ٢ نوفمبر ١٩٩١ ليسترجع القارىء ظروف تلك الأيام ·· التى أثرت تاثيرا بالغا فى قضية النزاع العربى الاسرائيلى ··

لم يكن أحد فى مؤتمر السلام فى مدريد يصدق أن الاتحاد السوفيتى هو فعلا دولة كبرى من الدولتين اللتين ترعيان المؤتمر وتؤثران تاثيرا فعالا فى مسار تطور الأحداث فيه ··

ان الواضح للجميع أن الولايات المتحدة هى القوة الكبرى الفعالة الأساسية ان لم تكن الوحيدة تقريبا ·· وكلمة تقريبا هذه ذكرناها لترك مساحة محدودة وضيقة غاية الضيق للدور السوفيتى ·

وأنت لا ترى فى المؤتمر الصحفيين يتزاحمون على المؤتمرات الصحفية التى يعقدها متحدثون سوفيت ·· ودائما وزير الخارجية بوريس بانكين تجده فى مؤتمر مشترك مع جيمس بيكر وزير الخارجية الأمريكى ·· وتلاحظ دائما أن هناك عددا قليلا من الأسئلة توجه له ·· من ناحية أخرى لا يلاحظ أى أحد أى تناقض بين ردوده وردود الوزير الأمريكى بل هو كثيرا ما يورد فى عبارته تأييدا وتأكيدا لها ··

بل ان الوزير بانكين دائما يؤكد أنه لولا التعاون بين بلاده وأمريكا لما أمكن عقد المؤتمر ·

وفى المؤتمر الصحفى الأخير مع جيمس بيكر قال ان النزاع العربى الاسرائيلى من مخلفات الحرب الباردة ·· فى خلال تلك الفترة لم يكن باستطاعة الشعوب أن تجد أو لم تكن قادرة على أن تجد سبيلا لفتح حوار

او مفاوضات بقصد حماية حقوقها وكذلك شعوبها عبر سبيل عادل ووسائل متكافئة .

وأضاف الوزير السوفيتى قائلا ان لدى الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى علاقات جيدة انعكست حينما قلنا وصرحنا أننا لم نعد بعد الآن فى حالة مواجهة بل أصبحنا حاليا فى وضع صداقة وقد أمكن فى ظل ذلك عمل أشياء على طريق حل النزاعات وعلى سبيل المثال كمبوديا .. والآن تبدأ بعد عقود عملية لاحلال السلام فى الشرق الأوسط ..

هكذا يرى السوفيت أن « وفاقهم أو صداقتهم » مع الولايات المتحدة تسهل حل المشاكل الاقليمية .. ولا يهم اذا ما كان ذلك على الطريقة الامريكية أو غيره .. فان ذلك مرتبط بالدرجة الأولى بتوازن القوى بين الأطراف المتصارعة ..

والشعور العام فى مدريد كان يتلخص فى أن السوفيت لا دور فعال لهم فى المفاوضات للأسباب التالية :

ـ تفكك التحالف بين سوريا والاتحاد السوفيتى وقفز سوريا من السفينة اذ اتجهت للولايات المتحدة باعتبارها مصدر القوة الأساسى لتحريك الأمور .

ـ لم يعد هناك تحالف بين الاتحاد السوفيتى وأى بلد عربى .. اليمن الجنوبى انتهى . ليبيا علاقتها عادية .. وعجز سوفيتى عام عن تقديم أى عون اقتصادى للتنمية .

ـ مع اسرائيل السوفيت سعداء بالهجرة من عندهم لاسرائيل أكثر من سعادة اسرائيل .. وقد قبضوا الثمن .. ولا تقدم لهم أى للسوفيت أى شيء .. فالقرار السوفيتى بتصدير اليهود السوفيت لاسرائيل نابع من اتفاق مع الولايات المتحدة .

.. ولم يعد هناك عداء سوفيتى لاسرائيل .

ـ تطور المنظمات الصهيونية فى الاتحاد السوفيتى تطورا كبيرا .. واصبح لها نفوذ بحيث أن الجماعة السوفيتية الشهيرة التى تكافح الصهيونية محدودة التأثير جدا مثلها مثل الحزب الشيوعى الاسرائيلى فى اسرائيل فى الخمسينيات (٥٪ من الأصوات فقط أغلبها أصوات عربية) ..

ـ القيادات الجديدة فى الجمهوريات السوفيتية ليست لديها أى تربية سياسية كافية عن النزاع العربي الاسرائيلي .. وليس لديها وعي

بالصهيونية وأهدافها التوسعية بل انها كلها فى غاية الاعجاب بالولايات المتحدة ونظامها وسياستها •• وتعتقد كما تعتقد القيادات الجديدة فى أوروبا الشرقية أن أمريكا هى التى ساعدتهم على التحرر بواسطة طبع مطبوعاتهم وايواء المنشقين وتشجيعهم علاوة على أنه ثبت أن النظام الأمريكى أقوى من النظام السوفيتى ويقدم له حتى المعونات الغذائية اليوم •

وطوال أيام المؤتمر كان الصحفيون العرب يشنون حملات اذا جاز التعبير على الموقف السوفيتى أمام الصحفيين السوفيت وبعض أعضاء الوفد السوفيتى باعتباره موقفا متخاذلا أو ذيليا للولايات المتحدة •

وكان الصحفيون الذين استقدمهم الوفد الفلسطينى معه يغذون ويشجعون هذه الحملات ويحرضون عليها للتأثير فى الموقف السوفيتى!•

وقد بلغ فقدان الثقة فى الموقف السوفيتى الى حد أن أغلب الصحفيين العرب أصابتهم دهشة شديدة مع شعور بالابتهاج لم يخفوه •• عندما تحدث بوريس بانكين فى الجلسة الثالثة للمؤتمر العام التى أبرز فيها معالم الخط السوفيتى للنزاع بعد أن استمع الى كل كلمات رؤساء الوفود فى اليومين الأولين للمؤتمر ••

ذلك لان ما قاله بانكين ذكر هؤلاء العرب « بالأيام الجميلة الماضية » اذ أكد مبدأ الأرض مقابل السلام •• وأن القضية الفلسطينية هى مصدر الانفجارات فى المنطقة •• وأنه لابد من اعادة الأرض المحتلة الضفة الغربية وغزة والجولان الى أصحابها •• وأن حق تقرير المصير للشعب الفلسطينى لازم وضرورى •• كما طالب بايجاد حل لمشكلة القدس مع وضع فى الاعتبار أهميتها للمسلمين والمسيحيين واليهود •• ودعا الى وقف الارهاب واعتقال الرهائن •

وأكد بانكين أنه لا يمكن استبعاد اسرائيل أو الفلسطينيين •

ورغم أن هذه المواقف السوفيتية واضحة جدا •• وتختلف عن المواقف الأمريكية غير الواضحة •• الا أن البعض كان يرى أنه ليس بوسع الاتحاد السوفيتى بوضعه الحالى أن يؤثر تأثيرا حقيقيا فى فرضها لان القوة الوحيدة القادرة على عمل ذلك هى الولايات المتحدة •

ولاحظت دوائر المؤتمر أن الولايات المتحدة تصر على وجود الاتحاد السوفيتى فى كل نشاطات المؤتمر •• وأن الممثل السوفيتى سيكون من حقه التدخل مع الممثل الأمريكى لدى أى طرف من أطراف النزاع خلال المباحثات الثنائية أو الشاملة •

والسؤال الذى كان يتردد هنا فى « القعدات » فى ردهات الفنادق

بين أعضاء الوفود والصحفيين بعد انتهاء جلسات المؤتمر ·· لماذا يصر الأمريكيون على الوجود السوفيتي ومعاملة الاتحاد السوفيتي كدولة عظمى رغم اضمحلال قوته وتفككه ؟ ·

يقول البعض ·· ان الاتحـــاد السوفيتي في الحقيقة مازال دولة كبرى ·· لماذا ؟ لأنه يملك ترسانة عسكرية ذرية هائلة ·· أي أن خطر هجوم ذرى على أمريكا مازال قائما مهما كانت محدودية ذلك الخطر ·· أى أن الاتحاد السوفيتي هو الدولة الوحيدة التى يمكن أن تشكل تهديدا للسلامة الأمريكية على طريقة الاحتياط لأى احتمال مهما كان صغيرا ·· ولم ينته خطر حدوث انقلاب جديد بأى صورة فى الاتحاد السوفيتي ·

من ناحية أخرى ان الاتحـــاد السوفيتي لم يكن حتى ذلك الوقت قد تفكك تماما ·· ومازال يمثل سدس مساحة العالم وفيه موارد هائلة ·· ومن المحتمل أن يترابط مرة أخرى بشكل أو بآخر ·· وبالتـــالى يستعيد قوته الاقتصادية المنهارة حاليا ·· أى أن الولايات المتحدة تعمل حسابا للمستقبل ·

والولايات المتحدة يعنيها استمرار علاقتها قوية بالاتحاد السوفيتي حتى يمكن أن يكون حليفا لها فى المواجهة مع أوروبا واليابان فى المستقبل ·· اذ أن الاتحاد السوفيتي الذى « تطعمه » أمريكا حاليا سيظل أسيرا للتحالف مع أمريكا فهى أقدر وأفضل ·· كمـــا أن هذه العلاقة الطيبة تساعد أجهزة الولايات المتحدة المتعددة على مساعدة وتنشيط القوى التى تعمل على انهاء الاشـــتراكية فى الاتحاد الســـوفيتي وتحقيق انهياره الكامل ! · وحتى لو حقق الاتحاد السوفيتي حلم جورباتشـــوف القديم عن البيت الاوروبى فان ذلك بصرف النظر عن أنه أصبح حلما بعيد التحقيق حاليا لفترة مجهولة بعد عجز أوروبا الشرقية عن دخول البيت فمن الأفضل أن يكون السوفيت قوة توازن ازاء النمو المتوقع لألمانيا حتى يأذن الله بانهيار الاشتراكية تماما !!

وترى دوائر مهمة فى الادارة الأمريكية كما حدثنى صحفى أمريكى بارز أن تجاهل الدور السوفيتي يؤدي الى نتائج عكسية اذ يثير قلقـــا ومخاوف من تلاشى الاتحاد السوفيتي بين قوى عديدة فى الاتحاد السوفيتي لاترضى عن جورباتشوف وتتهمه بتدمير الوجود السوفيتي ويزداد تحركها ضده · ومن هنا فلابد من اتباع ســـياسة حكيمة متوازنة · تعتمد على تحقيق تدمير الاتحاد السوفيتي من خلال التظاهر بالتمسك بوجوده على قيد الحياة !

ولذلك فان الولايات المتحدة مازالت تتمسك بجورباتشوف حتى الآن ‥ لأنه الأقدر على جمع كل الخيوط فى داخل الاتحاد السوفيتى التى تمكنها من تطبيق هذه السياسة ‥ كما أنه الوجه المقبول أمام العالم ولم يتبلور بعد موضع ومكانة يالتسين ودور روسيا الاتحادية وموقعها من الاتحاد الهلامى الحالى الذى لم تكتمل ملامحه بين عدد من الجمهوريات السوفيتية رغم أنه من الواضح أن يالتسين هو الرجل القوى الذى تفضله الولايات المتحدة هناك ٠ ورأى بعض المراقبين السياسيين فى المؤتمر أن الدور السوفيتى حاليا يبدو غير مؤثر اذا ما حدث وتناقض مع السياسة الأمريكية وأن الولايات المتحدة تحافظ على الاتحاد السوفيتى كدولة عظمى فى حدود ما تريد هى من « هذه العظمة » لتحقيق سياستها وتخفيف الصورة الحقيقية وهى أنها التى تنفرد أساسا بتوجيه السياسة العالمية فى وقت مازال يبدو فيه السوفيت كقوة عظمى ٠

والأمر بعد ذلك يتوقف على التطورات فى الاتحاد السوفيتى ذاته علما بأن الولايات المتحدة قد خلقت لها ركائز ضخمة وقوية داخلة على المستويين الحكومى والشعبى أيضا متمثلا فى أحزاب وهيئات يؤثر فى توجيه سياستها الأمريكيون بل وعملاء المخابرات المركزية جهارا نهارا ‥

من هنا فعلى حد تعبير وزير عربى ‥ ان حجم المناورة العربية بين السوفيت والأمريكيين محدود جدا ‥ وعليهم اتباع سياسة الاعتماد على الذات بالتضامن والتنسيق والخطط الواقعية الواعية ولا باس من الاعتماد أيضا على الولايات المتحدة فالذات وحدها لاتكفى !!

الفلسطينيون والاسرائيليون معا ؟

لكن كيف كان الجو بين الفلسطينيين والاسرائيليين في مؤتمر مدريد ؟ .

رغم عدم المصافحة .. فان الاتصالات كانت تجرى على قدم وساق بين الوفدين الفلسطينى والاسرائيلى .. وبشكل واضح وكما كان يقول الوزير المصرى عمرو موسى .. أنها تجرى بشكل علنى .. ولا داعى للسرية فى أغلب الأحيان .. لأن الجميع قدموا للتفاوض وجها لوجه !..

ومع ذلك تجرى اتصالات بين الكواليس .. أحيانا بين أعضاء الوفد .. وأحيانا يكون الوسطاء صحفيون من الجانبين : اسرائيليين وفلسطينيين ..

والطريف أن المركز الصحفى الاسرائيلى كنت تجده مليئا بأعداد من الصحفيين الفلسطينيين ويقدم لهم المركز كل الخدمات فيسمح لهم باستخدام التليفونات والفاكس ويقدم لهم الأوراق والأقلام ..

ويتقدم التليفزيون والراديو الاسرائيلى منهم ويأخذ الأحاديث التى يذاع بعضها على الهواء .. ولا يوجد أى حرج فيما يقوله أى متكلم ..

لقد سقطت كل الحواجز فى هذا المؤتمر .. بحيث كنت تجد صحفيين اسرائيليين كثيرين يتحدثون عن اعجابهم بخطاب رئيس الوفد الفلسطينى .. وببراعة د . حنان عشراوى فى الرد على أسئلة الصحفيين ..

بل كانت النغمة التى يرددها بنجامين نتنياهو مهندس الاعلام الاسرائيلى فيما يبدو علاوة على كونه نائبا لوزير الخارجية بالنسبة للقضية الفلسطينية هو أن يؤكد فى المؤتمرات الصحفية أنهم يقدرون مأساة الشعب الفلسطينى وما يعانونه فى معسكرات اللاجئين .. ويرثى لضحايا الانتفاضة وأننا لا نريد ضحايا من الأمهات الفلسطينيات ولا الاسرائيليات ! .

وذلك لامتصاص التعاطف الظاهر والكاسح لدى أغلب الأربعة آلاف صحفى هنا مع القضية الفلسطينية ..

فى ظل هذا « المولد » تجرى الاتصالات بين الصحفيين من هنا وهناك على الأقل كبالونات اختبار .

أما الاتصالات المباشرة فتتركز بين الياكيم روبنشتين رئيس الوفد الاسرائيلى الذى سيتفاوض مع الوفد الفلسطينى .. وبين فيصل الحسينى مستشار الوفد الذى كان الصحفيون الاسرائيليون ينظرون اليه على أنه رئيس حكومة الحكم الذاتى القادمة .. ورئيس الدولة الفلسطينية فى الكونفدرالية الأردنية !

وأحيانا يحضر هذه اللقاءات صحفى فلسطينى أو اثنان .

ماذا يدور فى هذه الاتصالات .

فى البداية ركز الاسرائيليون على ضرورة حضور المندوبين الفلسطينيين المفاوضات الثنائية لهم اذ خشوا أن يؤثر الموقف السورى عليهم وهو القائل بعدم حضور تلك المفاوضات الا اذا حضرها ممثلون أمريكيون أو سوفيت ..

بعد ذلك تدور المفاوضات حول مسائل اجرائية بشأن الاجتماعات.. حتى يمكن أن تكون أغلبية الحاضرين من الوفد الأردنى الفلسطينى فلسطينيين .. اذ أن المتفق عليه بين الجانبين الأردنى والفلسطينى أن يحضر كل من الطرفين مفاوضات الطرف الثانى مع الاسرائيليين ولكن يختلف عدد الحضور حسب موضوع المباحثات ما اذا كان فلسطينيا أو أردنيا خالصا ..

ويطرح الفلسطينيون فى تلك الاتصالات التى تهدف بالدرجة الأولى الى اكتشاف مواقف ونوايا الأطراف الأخرى .. اقتراحات يقولون أنها ضرورية لتهدئة الجو وتخفيف المقاومة لمشاركة الفلسطينيين فى المفاوضات مع اسرائيل ..

مثل فتح الباب لعودة بعض الفلسطينيين الذين تم ابعادهم وعددهم ٣٥٠ شخصا باعتبار أن ذلك يضيف عناصر جديدة ـ تساعد على الدفاع عن التفاوض .. وتهدىء التوتر .

وأيضا فتح المدارس والجامعات .. وعدم منع السفر الى الخارج والتوقف عن هدم المساكن ..

ويطالب الاسرائيليون ببذل جهود لوقف الانتفاضة ‥ ولكن الفلسطينيين يرفضون مثل تلك الفكرة ويقولون أنها مبكرة جدا وسابقة لأوانها اذ أن كل شيء يتوقف على تقدم المباحثات أى تقدم الموقف الاسرائيلى عن خطوط التعنت التى وضعها !

مفاوضات علنية ‥ وسرية معا ‥

ماطل الليكوديون بعد انتهاء مؤتمر مدريد ‥ ولكنهم اضطروا فى النهاية الى الموافقة على الحضور الى واشنطن لاجراء مفاوضات مع الوفود العربية ‥ كل وفد على حدة وفقا لطلبهم الملح فى عقد مفاوضات ثنائية ‥

وبدت المفاوضات جامدة لا تتقدم خطوة واحدة الى الأمام ‥ ودورة وراء دورة ‥ مع أن حكم الليكود كان قد سقط وفاز حزب العمل وحلفاؤه فى الانتخابات وكان أهم هؤلاء الحلفاء هو حزب ميريت ‥ الذى كان يدعو الى التفاوض مباشرة مع منظمة التحرير ‥ ويدعو أيضا الى حق تقرير المصير للشعب الفلسطينى وحقه فى اقامة دولته المستقلة ‥

وأمام العالم كان يبدو الجمود فى تلك المفاوضات مستمرا رغم التصريحات المتفائلة ‥ والعبارات الجديدة التى بدأت ترددها ألسنة المسئولين الكبار مثل أسحق رابين رئيس الوزراء نفسه ‥ كأن يتحدث عن امكانية الجلاء جزئيا عن الجولان ‥ وكانت هذه أول مرة يتحدث فيها مسئول اسرائيلى عن شيء كهذا ‥ وكذلك وقف بناء نوع معين من المستوطنات ‥ وهكذا ‥

وبذلت القيادة السياسية المصرية جهدا هائلا خلال تلك الفترة سواء مع اسرائيل أو الولايات المتحدة أو سوريا أو منظمة التحرير الفلسطينية .

وتقدم الأمريكيون بورقة عمل ‥ أعدها دينيس روس الذى عينه الرئيس كلينتون منسقا للجمهود الأمريكية بالنسبة للمفاوضات العربية الاسرائيلية ‥ وتتالت بعد ذلك التطورات حسبما يرويها زميلنا الصحفى البارز حمدى فؤاد مراسل الأهرام فى واشنطن ‥

ورقة العمل الأمريكية الأولى التى تقدم بها وأعدها دينيس مع كبار مساعديه فى يوم ١٢ مايو كانت مرفوضة تماما من الوفد الفلسطينى وأعقبتها ورقة أخرى فى ٣٠ يونيو كانت مرفوضة أيضا .

وكما قالت الدكتورة حنان عشراوى فان المفاوضات التى استمرت ٦٠ ساعة قد أقنعت المفاوض الفلسطينى أن ورقتى العمـل الأمريكيـة تحرصان على حماية اسرائيل ٠٠ ربما أكثر من الوفد الاسرائيلى نفسه ٠

هذه الاتصالات كانت مستمرة فى واشنطن بينما كانت القناة الأخرى للتشاور بين اسرائيل ومنظمة التحرير تتم فى أوسلو ٠

وكان اعتراض وفد المفاوضات فى واشنطن على الورقة الأمريكية أنها خالية من أى اشـارة الى الشعب الفلسطينى ، ودون أى توضـيح لانسحاب القوات الاسرائيلية أو الاشارة الى الحقوق السياسية أو حتى النص على أن الحل سوف يعتمد على القرار ٢٤٢ ، وقد زاد « الطين بلة » رحلة دينيس روس للمنطقة فى أول الصيف ، وكانت حجته أن أمريكا لا تستطيع تقديم ورقة عمل ترفضها اسرائيل ، كما أن الولايات المتحدة لاتريد فتح القنوات مع منظمـة التحرير ولكن البديل كان موجـودا ، فالاتصالات التى تتم بين المنظمة واسرائيل مباشرة كانت توحى بأنه من الممكن أن ما يقوله الوفد الاسرائيلى فى واشنطن ، وتعاطف أمريكا معه لايعكس حقيقة موقف الحكومة الاسرائيلية الذى يتم ابلاغه الى وفد منظمة التحرير فى أوسلو ٠

وقد تعثرت مباحثات الوفود العربية الأخرى نتيجة للتوتر الذى ساد المباحثات الرسمية بين اسرائيل والوفد الفلسطينى فى واشنطن ، بينما كانت القناة الأخرى فى أوسلو تحرز بعض التقدم ، فقد أوضحت سوريا فى مباحثاتها مع الأمريكيين ، ومع الوفد الاسرائيلى فى العاصمة الأمريكية أنه لابد من اتفاق شامل ، وسوف لايتم التوصل الى هذا الهدف طالما أن الوفد الاسرائيلى لم يحقق تقدما مع الوفد الفلسطينى ، واتخذ الأردن نفس الموقف اذ أن ورقة العمل كانت تنتظر حدوث تقدم فى المسار الفلسطينى الاسرائيلى ، ولذلك أصبحت كل الوفود تنتظر الفرج ، ولكن هذا الأمل لم يتحقق ٠٠ على الأقل على مائدة المفاوضات الرسمية ٠

يقول الدكتور نبيل شعث أن الوفد الاسرائيلى فى اجتماعات لندن للوفود المشاركة فى المحادثات المتعددة الأطراف قد أشار الى أن حكومة تل أبيب لاتعارض فى فتح قنوات اضافية مع الفلسطينيين وبالذات مع منظمة التحرير ٠٠ وكان من الواضح أن اسحق رابين سوف يترك الفرصة لوزير خارجيته لاجراء هذه الاتصـالات ، وبحيث تظـل هذه القنوات مفتوحة ، والتخلى عنها واغلاقها اذا فشلت فى احراز أى تقدم ٠

وقد انتقلت المناقشات الى داخل « البيت الفلسطينى » قبل اتخاذ أى قرار بفتح قناة اتصال بين المنظمة ، وحكومة رابين ، ومن خلال اتصالات

تتم مع شيمون بيريز ، بالتوازى مع مباحثـــات الســلام فى واشنطن ، والمباحثات المتعددة الأطراف ، والتى تتم فى عدة عواصم أخرى وفى فترات متفاوتة ٠

وكما يقول الدكتور نبيل شعث أن الوفد الفلسطينى الذى ذهب الى النرويج لم يكن يعرف مدى التقدم الذى يمكن أن يتحقق ، كما أن الجانب الأمريكى الذى لديه بعض الصعوبات عن اتصالات اسرائيل والمنظمة لم يكن مقتنعا بجديتها ، وكانت لديه قناعة كافية بأنها سوف لاتسفر عن شيء ٠

وهنا يكشف نبيل شعث عن قصة طريفة وغريبـــة ، عندما قرر ياسر عرفات عودة الوفد الفلسطينى الى مائدة المفاوضات للاشتراك فى الجولة التاسعة ، وقد كان الاجتماع الفلسطينى فى عمان ، وتلقى الوفد الفلسطينى مكالمة تؤكد بان الجانبين الاسرائيلى والأمريكى لديهما الشريط الكامل لما حدث فى هذا الاجتماع والذى استمر ٨ ساعات ، وكان أبو عمار يدرك بأن شريط التسجيل سوف يتسرب الى جهات أخرى ، ولذلك حرص على أن يظهر مدى تشدده وتمسكه بمواقف ثابتة لارجعة فيها لأنه يريد اعطاء الانطباع بأنه سوف يرفض أية تنازلات وأن موقفه المتشدد سوف لايقبل حلولا وسطا ، وكان هذا الاجتماع قد تم فى مارس من هذا العام بينما كانت المشاورات مستمرة بين المنظمة ووفد حكومة اسرائيـــل فى النرويج ، اما بالاعداد له أو من خلال اتصالات أسفرت عن لقاء تم فى أوسلو بين وفد فلسطينى يمثل منظمة التحرير ووفد من حكومة اسرائيل بحضور وزير خارجية النرويج جوهان جورن هولست ٠

ظلت منظمة التحرير الفلسطينية منذ بدء جهود السلام ، تحتفظ بعلاقات قوية مباشرة مع الدول الأوروبية ، وكان عدد من وزراء خارجية هذه الدول يحملون رسائل من عرفات ومساعديه الى حكومات اسرائيل ، وان كان الحوار غير المباشر بين المنظمة وتل أبيب لم يأخذ مجراه الحقيقى الا قبيل سقوط وزارة شامير واقتراب انتقال السلطة الى حكومة رابين ٠ وكان شيمون بيريز أكثر أعضاء الائتلاف الوزارى الحاكم الذى يتطلع الى زعامة جديدة فى الدولة اليهودية حريصا على ابقـــاء قنوات الاتصال مع منظمة التحرير بالذات ، ومع ياسر عرفات عن طريق قنوات غير رسمية ٠

وكانت الدول الأوروبية ومنظمة التحرير على السواء ، حتى الادارة الأمريكية نفسها على قناعة بعدم جدوى اقناع شامير بتغيير مواقفه وقد اتضحت هذه الحقائق بصورة حاسمة خلال فترة الاعداد لمؤتمر مدريد فى أواخر أكتوبر عام ١٩٩٠ ، وقد أتيحت الفرصة بفوز رابين برئاسة الوزارة وانتخاب بيل كلينتون للرئاسة ، لكى يبدأ فرصة جديدة من

مراحل معالجة أزمة الشرق الأوسط على ضوء واقع متغير ، فالليكود فقد القيادة فى اسرائيل ، والجمهوريون خسروا معركتهم الانتخابية فى أمريكا، ومباحثات السلام لم تحقق أى نتائج حتى ديسمبر عام ١٩٩٢ ، بينما تفجرت أزمة المبعدين ، وصدر قرار من مجلس الأمن بعودتهم فورا الى أراضيهم ٠

وقد انتهز شيمون بيريز الفرصة ، وهى نفس الفرصة التى انتهزها ياسر عرفات ومساعدوه لبدء حوار مباشر بين المنظمة وحكومة حزب العمل ، وكان هذا الحوار قد بدأ فعلا عندما كان الحزب فى المعارضة ويستعد لتولى السلطة فى نفس الوقت الذى كانت فيه مباحثات واشنطن تدور فى حلقة مفرغة ٠

وهنا يبرز دور جوهان جورن هولست وزير خارجية النرويج ، الذى يتمتع بعلاقات قوية مع قادة حزب العمل ، وفى نفس الوقت يرتبط بصداقة مع ياسر عرفات وكان من المعجبين الحذر الذى انتهجه الزعيم الفلسطينى فى اجتماعات الجمعية العامة فى جنيف عام ١٩٨٨ ٠

وقد أعلن عرفات فى بيانه الهام عن نبذ الارهاب ، والاعتراف بحق اسرائيل فى الوجود ، وكانت دول الشمال الاسكندنافية حريصة على ابقاء « شعرة معاوية » أو « عقدة أخيل » كمقدمة لبدء حوار مباشر بين المنظمة وحكومة تل أبيب فى ظل رئاسة اسحق رابين ٠

رجل آخر لفت اهتمام دول السوق الأوروبية وهو أحمد قريع وهو اقتصادى ومفكر فلسطينى قام باعداد تقرير تم توزيعه فى عواصم دول المجموعة الأوروبية ركز اهتمامه فيه على قيام سوق « شرق أوسطية » على غرار « السوق الأوروبية » للتعاون بين دول منطقة الشرق الأوسط ، وكما تخلصت أوروبا من عقدة العداء بين ألمانيا وفرنسا فانه من الممكن أن يتحقق نفس الاطار بتعاون اقليمى بين دول الشرق الأوسط وقد التقط شيمون بيريز هذا الخيط وتوجه الى عواصم أوروبا ، وخصوصا النرويج، ولقى من وزير خارجيتها اهتماما وحرصا على بدء مشاورات فى أوسلو بين اسرائيل والمنظمة ٠

وكان عرفات من جانبه حريصا على بدء هذا الحوار من خلال اتصالاته مع هولست وزير خارجية النرويج ٠

استطاع جوهان جورن هولست وزير الخارجية النرويجى أن يقنع الجانبين الاسرائيلى والفلسطينى بعقد لقاءات مباشرة بين وفد اسرائيلى

رسمى من الخارجية ، مع وفد رسمى من منظمة التحرير فى أوسـلو عاصمة النرويج على أن تتم هذه الاتصالات بصفة سرية جدا ، وكانت وزارة الخارجية الاسرائيلية تجرى اتصالات مماثلة أقل سرية مع الدكتور نبيل شعث فى عدة عواصم ، ولذلك كان المناخ مناسبا لتكليف مجموعة صغيرة جدا من منظمة التحرير للتفاوض مع وفد يتمتع بنفس قلة الدور من وزارة الخارجية الاسرائيلية ، وفعلا قرر عرفات تكليف « أبو علاء » وهو اسم أحمد قريع ، وياسر عبد ربه « أبو مازن » من كبار مسئولى المنظمة وحسن عصفور ممثلها فى دول الشمال ، وفى النرويج بالذات ، وتألف الوفد الاسرائيلى من يورى سائير مدير الخارجية ، ويؤيل سنجر أحد المستشارين القانونيين ٠

وقد لوحظ أنه فور الاعلان عن نجاح المهمة استقال الياكيم روبنشتين الذى اختاره رابين لرئاسة وفد التفاوض مع الفلسطينيين فى واشنطن ، وكان يشغل بصفة مؤقتة منصب مدير ادارة الخارجية الاسرائيلية ٠

كانت الاجتماعات قد بدأت فى فبراير من العام الحالى ، وكانت تتم فى فندق « أوسلو بلازا » فى عاصمة النرويج واستمرت حتى أبريل، وانتقلت الى مزرعة وزير الخارجية النرويجى فى بور جارد ٠

ومن خلال هذه الاجتماعات تقدم الوفد الاسرائيلى بورقة عمل أقرب ماتكون الى ورقة العمل التى تقدموا بها فى مباحثات الحكم الذاتى مع مصر وأمريكا بعد اتفاقية كامب ديفيد ، وقد طرح أبو مازن ما اسـماه « بجلد الفهد المنقط » أى ما هو أشبه بجلد الفهد الذى تغطيه عدة نقط وهذا معناه الانسحاب من غزة كلية ، وأغلب المدن الفلسطينية مثـل نابلس ورام الله وبيت لحم فى القدس وأريحا وبحيث تبـدو الخريطـة وكأنها جلد فهد تنتشر عليه نقط أى مثل جلد الفهد المنقط بينما كان ياسر عرفات حريصا على انسحاب عسكرى مثلما حدث فى اتفاقيتى الفصل بين القوات الأولى والثانية بين مصر واسرائيل ٠

وقد وصل شيمون بيريز الى أوسلو يومى ١٩ و ٢٠ أغسطس ، وأقر الاتفاق الصعب الذى تم التوصل اليه وبعد التوقيع ، وبعد عودته الى اسرائيل اتصل بوزير الخارجية الأمريكى وطلب عقد اجتماع معـه بصفة عاجلة خلال العطلة الصيفية القصيرة التى كان يتمتع بهـا وارين كريستوفر فى سانتا بربارة ٠

وعلى شاطىء المحيط الهـادى التقى بيريز وكريستوفر وانتقلت الاتصالات من عاصمة النرويج وعزبة وزير خارجيتهـا الى مقر عطلة وزير خارجية أمريكا فى سانتا بربارة ٠ ثم كان الاتفاقان ٠٠

الأول حول ترتيبات الحكم الذاتى للشعب الفلسطينى الذى سمى اتفاق « غزة ـ أريحا أولا ٠٠ » وكلمة أولا أضيفت حتى تزيل اللبس الذى حدث لدى البعض اذ تصوروا أن الحكم الذاتى سيقتصر على قطاع غزة ومدينة أريحا فى الضفة الغربية فقط ٠٠

والثانى حول الاعتراف المتبادل وجاء فى شكل خطابين متبادلين بين ياسر عرفات وأسحق رابين ٠٠ أى بين رئيسين : الأول رئيس منظمة التحرير الفلسطينية بصرف النظر عن أنه رئيس دولة فلسطين ٠٠ والثانى رئيس وزراء اسرائيل ٠٠

اتفاق غزة ـ أريحا ٠٠

ويسمى نص اعلان المبادىء لترتيبات الحكم الذاتى الفلسطينى ٠٠

ويبدأ هكذا ٠٠ ان حكومة اسرائيل والفريق الفلسطينى (فى الوفد الفلسطينى المشترك) لمؤتمر السلام فى الشرق الأوسط (الوفد الفلسطينى) ممثلا للشعب الفلسطينى ، وقد وافقا على أنه قد حان الوقت لوضع حد لعقود المواجهة والنزاع وتبادل الاعتراف بحقوقهم الشرعية والسياسية وليكافحوا للعيش فى سلام وتعايش وبكرامة وأمن متبادل ، وليحققوا تسوية سلمية عادلة دائمة وشاملة ، ومصالحة تاريخية من خلال العملية السياسية المتفق عليها ٠

وعليه فان الجانبين قد اتفقا على المبادىء التالية :

المادة ١

هدف المفاوضات :

(أ) ان هدف المفاوضات الاسرائيلية ـ الفلسطينية ، من خلال عملية سلام الشرق الأوسط الجارية هى ، من بين أشياء أخرى ، لتأسيس سلطة حكومة ذاتية فلسطينية انتقالية ، المجلس المنتخب « المجلس » للشعب الفلسطينى فى الضفة الغربية وقطاع غزة ، لمرحلة انتقالية لا تزيد عن خمس سنوات ، تقود الى تسوية دائمة على أساس قرارى مجلس الأمن الدولى رقم ٢٤٢ ، ٣٣٨ ٠

ومن المفهوم ان الترتيبات الانتقالية هى جزء لا يتجزأ من مجمل عملية السلام وان مفاوضات الوضع النهائى ستقود الى تنفيذ قرارى مجلس الأمن رقم ٢٤٢ ، ٣٣٨ ٠

المـادة ٢

الاطار العام للمرحلة الانتقالية :

ان الاطار العام المتفق عليه للمرحلة الانتقالية مثبت لاحقا فى اعـلان المبادىء هذا ٠

المـادة ٣

الانتخـابات :

(أ) لتمكين الشعب الفلسطينى فى الضفة الغربية وقطاع غزة من حكم أنفسهم حسب مبادىء الديمقراطية ، فان انتخابات مباشرة ، حرة ، وسياسية عامة ، سوف يتم اجراؤها لانتخاب « المجلس » تحت اشراف متفق عليه ورقابة دولية ، بينما سيتولى البوليس الفلسطينى تأمين الأمن العام ٠

(ب) سيتم ابرام اتفاقية حول شـكل الانتخابـات وشروطها حسب البروتوكول المرفق (الملحق رقم ١) ، بهدف اجراء الانتخابات فى مـدة لا تزيد على تسعة شهور من تاريخ التصديق على اعلان المبادىء هذا ٠

(ج) ستشكل هذه الانتخابات خطوة تمهيدية انتقالية هامة باتجاه تحقيق الحقوق المشروعة للشعب الفلسـطينى ومتطلباته العادلة ٠

المـادة ٤

الولاية (نطاق السلطة) :

ان نطاق سلطة المجلس سيغطى أرض الضفـة الغربية وقطاع غزة ، ما عدا القضايا التى سيتم التفاوض عليها فى مفاوضات الوضـع النهائى ٠ ينظر الجانبان الى الضفة الغربية وقطاع غزة كوحدة اقليمية واحدة ، وان وحدة وسلامة أراضيها يجب حمايتها خلال المرحلة الانتقالية ٠

المـادة ٥

المرحلة الانتقالية ومفاوضات الوضع النهائى :

١ ـ سوف تبدأ السنوات الخمس للمرحلة الانتقالية بعد الانسحاب من قطاع غزة واريحا ٠

٢ ـ ستبدأ مفاوضات الوضع النهائى بين الحكومة الاسرائيلية وممثلى الشعب الفلسطينى فى أسرع وقت ممكن ، ولكن بما لا يتجاوز بداية السنة

الثالثة من الفترة الانتقالية بين الحكومة الاسرائيلية وممثلى الشعب الفلسطينى ·

٣ ـ من المفهوم ان هذه المفاوضات سوف تشمل القضايا المتبقية بما فيها : القدس اللاجئين المستوطنات ، الترتيبات الأمنية ، الحدود ، العلاقات والتعاون مع الجيران الآخرين وأية قضايا أخرى ذات فوائد مشتركة ·

٤ ـ اتفق الطرفان على ان حصيلة مفاوضات الوضع النهائى يجب أن لا يجحف بها أو « Preempted » بالاتفاق الذى يتم التوصل اليه للمرحلة الانتقالية ·

المادة ٦

تحويل السلطات والمسئوليات التمهيدى :

١ ـ عند التصديق على اعلان المبادىء هذا ، والانسحاب من غزة ومنطقة أريحا فستبدأ تحويل سلطات من الحكومة العسكرية الاسرائيلية وادارتها المدنية للفلسطينيين المفوضين لهذه المهمات ، كما هو مبين هنا · سيكون تحويل السلطات هذا ذا طبيعة تمهيدية الى حين تنصيب المجلس ·

٢ ـ حالا وبعد التصديق على اعلان المبادىء هذا والانسحاب من قطاع غزة ومنطقة أريحا ولأغراض تشجيع وترويج التنمية الاقتصادية فى الضفة الغربية وقطاع غزة فان السلطات التالية سيتم تحويلها للفلسطينيين : التعليم والثقافة ، الصحة ، الشئون الاجتماعية ، الضرائب المباشرة ، والسياحة · سيبدأ الجانب الفلسطينى فى بناء قوة البوليس الفلسطينى كما يتفق عليه · الى حين تنصيب المجلس فانه يمكن للطرفين أن يتفاوضا على تحويل سلطات ومسئوليات أخرى كما يتفق عليه ·

المادة ٧

الاتفاقية الانتقالية :

١ ـ سيتفاوض الوفدان الاسرائيلى والفلسطينى لعقد اتفاقية للفترة الانتقالية « الاتفاقية الانتقالية » ·

٢ ـ ستفصل الاتفاقية المؤقتة من بين أشياء أخرى ، هيكلية المجلس، عدد أعضائه ، وتحويل السلطات والمسئوليات من الحكومة العسكرية الاسرائيلية وادراتها المدنية الى المجلس ، ستفصل الاتفاقية الانتقالية كذلك

السلطة التنفيذية ، السلطة التشريعية حسب المادة ٩ ادناه ، وجهاز القضاء الفلسطينى المستقل •

٣ ـ ستشمل الانفاقية الانتقالية ترتيبات للتنفيذ بعد تنصيب المجلس ، لاستلام السلطات والمسئوليات التى تم تحويلها سابقا حسب المادة ٥ أعلاه •

٤ ـ ليتمكن المجلس بعد تنصيبه من الترويج والتشجيع للنمو الاقتصادى ، فان المجلس سيشكل من بين أشياء أخرى : السلطة الفلسطينية للكهرباء ، سلطة ميناء غزة البحرى ، بنك التنمية الفلسطينى ، سلطة مجلس تشجيع الصادرات الفلسطينية ، السلطة الفلسطينية للبيئة ، السلطة الفلسطينية للأراضى والسلطة الفلسطينية لادارة المياه ، وأية سلطات أخرى يتم الاتفاق عليها • وذلك حسب الاتفاقية الانتقالية التى ستفصل سلطاتها ومسئولياتها •

٥ ـ بعد الاحتفال بتشكيل المجلس فان الادارة المدنية سيتم حلها والحكومة العسكرية سيتم انسحابها •

المادة٨

الأمن والأمن العام :

لضمان الأمن العام والأمن الداخلى للفلسطينيين فى الضفة الغربية وقطاع غزة فان المجلس سيشكل بوليسا فلسطينيا قويا ، بينما ستستمر اسرائيل فى تحمل مسئوليات الدفاع ضد التهديدات الخارجية وكذلك جميع مسئوليات الأمن للاسرائيليين لأغراض حماية أمنهم الداخلى والعام •

المادة ٩

القوانين والأوامر العسكرية :

١ ـ سيكون المجلس مخولا للتشريع حسب الاتفاقية الانتقالية ، فى اطار جميع السلطات المخولة اليه •

٢ ـ سيقوم الطرفان بمراجعة مشتركة لجميع القوانين والأوامر العسكرية السارية المفعول الآن فى المجالات المتبقية •

المـادة ١٠

لجنة الارتباط الفلسطينية الاسرائيلية المشتركة :

لضمان تنفيذ هادىء لهذا الاعلان وأية اتفاقيات لاحقة تتعلق بالمرحلة الانتقالية ، فسيتم بعد التصديق على هذا الاعلان تشكيل لجنة ارتباط فلسطينية ـ اسرائيلية مشتركة للتعامل مع القضايا التى تتطلب التنسيق والقضايا ذات الاهتمام المشترك أو الخلافية •

المـادة ١١

التعاون الفلسطينى ـ الاسرائيلى فى المجالات الاقتصادية :

اقرار المنفعة المتبادلة من التعاون فى تشجيع التنمية للضفة الغربية وقطاع غزة واسرائيل فانه سيتم بعد التصديق على اعلان المبادىء هذا تشكيل لجنة تعاون اسرائيلية فلسطينية لتطوير وتنفيذ البرامج المبينة فى الملحق (٣) والملحق رقم (٤) بشكل تعاونى •

المـادة ١٢

الارتباط والتعاون مع الاردن ومصر :

سيقوم الطرفان بدعوة حكومة الأردن ومصر للمشاركة فى تشكيل مكتب لترتيبات التعاون بين حكومة اسرائيل وممثلى الشعب الفلسطينى من جهة وحكومتى مصر والأردن من جهة أخرى لتشجيع التعاون بينهم •

ان هذه الترتيبات سوف تشمل تشكيل لجنة دائمة لتقرر بالاتفاق حول أشكال السماح للأشخاص النازحين من الضفة الغربية وقطاع غزة عام ١٩٦٧ ، الى جانب الاجراءات الضرورية لمنع الفوضى والاضطراب وستتعامل هذه اللجنة كذلك مع القضايا الأخرى ذات الاهتمام المشترك •

المـادة ١٣

اعادة توضيع القوات اسرائيلية :

١ ـ بعد التصديق على اعلان المبادىء هذا ، وبما لا يتجاوز عشية انتخابات المجلس ، ستقوم اسرائيل باعادة لتوضيع قواتها فى الضفة الغربية وقطاع غزة ، اضافة الى انسحاب القوات الاسرائيلية المبينة فى المادة ١٤ •

٢ ـ ستسترشد اسرائيل فى اعادة توضيع قواتها العسكرية بمبدأ ان قواتها العسكرية يجب أن يتم توضيعها خارج المناطق المأهولة بالسكان •

٣ ـ اعادة توضيـيع أخرى لمواقع محددة سيتم تنفيذها تدريجيا مع تسلم قوة البوليس الفلسطينى لمسئوليات الأمن العام والأمن الداخـلى بما يتوافق مع (المادة ٨) أعلاه ٠

المــادة ١٤

الانسحاب الاسرائيلى من قطاع غزة ومنطقة أريحا :

ستنسحب اسرائيــل من قطاع غزة ومنطقــة أريحا كما هو مبين فى البروتوكول المرفق كملحق رقم (٢) ٠

المــادة ١٥

القرارات والخلافات :

١ ـ الخلافــات الناشئة عن تطبيق أو تفسير اعلان المبــادىء هذا ، أو أية اتفاقيات لاحقة متعلقة بالمرحلة الانتقالية سيتم حلها بالمفاوضات من خلال لجنة الارتباط المشتركة التى سيتم تشكيلها حسب المادة (١٠) أعلاه ٠

٢ ـ الخلافات التى لا يمكن حلها بالمفاوضات فيمكن حلها من خلال آلية للتسويات يتم الاتفاق عليها بين الطرفين ٠

٣ ـ يمكن للطرفين أن يعرضا الى التحكيم خلافات متعلقــة بالمرحلة الانتقالية والتى لا يمكن حلها من خلال « التسوية » والى هذا الحد وباتفاق الطرفين فان الطرفين سيشكلان لجنة تحكيم ٠

المــادة ١٦

التعاون الاسرائيلى ـ الفلسطينى فى البرامج الاقليمية :

ينظر كلا الطرفين الى مجموعات العمل المتعددة الأطراف كالية مناسبة للترويج لمشروع « مارشال » وللبرامج الاقليمية والبرامج الأخرى ، وبما يشمل برامج خاصة للضفة الغربية وقطــاع غزة كما هو مبين فى (الملحق ٤) ٠

المــادة ١٧

ملاحق نثرية :

١ ـ ان اعلان المبادىء هذا سيدخل حيز التنفيذ بعد شهر من تاريخ التوقيع عليه ٠

٢ ـ جميع البروتوكولات الملحقة باعلان المبادىء هذا ، ومحضر الاجتماع المتفق عليه ذو العلاقة ستعتبر جزءا لا يتجزأ منه •

عمل فى واشنطن يوم الاثنين تاريخ ١٩٩٣/٩/١٣ •

عن حكومة اسرائيل توقيع

عن الوفد الفلسطينى توقيع

بشهادة

الولايات المتحدة الأمريكية ـ الاتحاد الروسى •

ولم يقتصر اعلان المبادىء على هذه المواد السبعة عشر بل كانت له أربعة ملاحق ••

الملحق الأول :

فلسطينو القدس لهم حق المشاركة فى الانتخابات

تضمن الملحق الأول لاعلان المبادىء بروتوكولات حول صيغة وشروط الانتخابات •

وشمل البروتوكول ما يلى :

١ ـ فلسطينيو القدس الذين يعيشون هناك لهم حق المشاركة فى عملية الانتخابات ، بموجب الاتفاق بين الطرفين •

٢ ـ اضافة الى ذلك ، فان اتفاقية الانتخابات يجب أن تشمل بين أشياء أخرى ، القضايا التالية :

(أ) نظام الانتخابات •

(ب) صيغة المراقبة المتفق عليها ، والاشراف الدولى وعدد الأشخاص •

(ج) الأحكام والأنظمة الخاصة بالحملة الانتخابية ، بما فى ذلك ترتيبات تنظيم الحملات الاعلامية ، وامكانية الترخيص لمحطة تليفزيون •

٣ ـ الوضع المستقبلى للنازحين الفلسطينيين الذين كانوا مسجلين فى ١٩٦٧/٦/٤ لن يجحف به لأنهم لم يتمكنوا من المشاركة في العملية الانتخابية لأسباب عملية •

الملحق الثانى :

التوصل الى اتفاقية انسحاب القوات الاسرائيلية وتوقيعها خلال شهرين من التصديق على الاعلان

وكان الملحق الثانى بعنوان :

بروتوكول حول انسحاب القوات الاسرائيلية من قطاع غزة ومنطقة أريحا •

١ ـ سيبرم الجانبان ويوقعان خلال شهرين من تاريخ التصديق على اعلان المبادىء هذا اتفاقية حول انسحاب القوات العسكرية الاسرائيلية من قطاع غزة ومنطقة أريحا • ستشمل هذه الاتفاقية ترتيبات شاملة للتطبيق فى قطاع غزة ومنطقة أريحا لاحقا للانسحاب الاسرائيلى •

٢ ـ سوف تنفذ اسرائيل انسحابا متصاعدا ومجدولا لقواتها العسكرية من قطاع غزة ومنطقة أريحا ، يبدأ حالا مع توقيع اتفاقية غزة ـ أريحا ، ويتم الانتهاء منه خلال فترة لاتزيد على أربعة شهور من توقيع هذه الاتفاقية •

٣ ـ ستشمل هذه الاتفاقية من بين أشياء أخرى :

(أ) ترتيبات لنقل سلمى وهادىء للسلطات من الحكومة العسكرية الاسرائيلية وادارتها المدنية الى الممثلين الفلسطينيين •

(ب) بنية سلطات ومسئوليات السلطة التنفيذية الفلسطينية فى هذه المناطق باستثناء : الأمن الخارجى ، والمستوطنات ، الاسرائيليين ، العلاقات الخارجية والقضايا الأخرى التى يتم الاتفاق عليها •

(ج) ترتيبات لتسلم قوات البوليس الفلسطينى ـ للأمن الداخلى والأمن العام ـ والتى تتكون من بوليس يتم تجنيده محليا ومن الخارج (ممن يحملون جوازات سفر أردنية ، والوثائق الفلسطينية الصادرة من مصر) • أولئك الذين سيشاركون فى البوليس الفلسطينى والذين سيأتون من الخارج يجب تدريبهم كقوات بوليس وضباط بوليس •

(د) حضور دولى أو أجنبى مؤقت متفق عليه •

(هـ) تشكيل لجنة فلسطينية ـ اسرائيلية ـ مشتركة للتنسيق والتعاون لأغراض الأمن المتبادل •

(و) برنامج تنمية واستقرار ، بما يشمل تأسيس صندوق للطوارىء لتشجيع الاستثمارات الأجنبية ، والدعم المالى والاقتصادى • كلا الطرفين سيتعاونان وينسقان بشكل مشترك وبشكل منفرد مع الأطراف الاقليمية والدولية لدعم هذه الأهداف •

(ز) ترتيبات لمر أمن للأفراد والمواصلات بين قطاع غزة ومنطقة أريحا •

٤ ـ الاتفاقية أعلاه سوف تشمل ترتيبات للتنسيق بين الطرفين بشأن المعابر :

(أ) غزة ـ مصر •

(ب) أريحا ـ الأردن •

٥ ـ المكاتب التى ستتولى السلطات والمسئوليات للسلطة الفلسطينية فى هذا الملحق ٢ وفى المادة ٦ من اعلان المبادىء سيكون مقرها فى قطاع غزة ومنطقة أريحا الى حين تنصيب المجلس •

٦ ـ وخلاف هذه الترتيبات المتفق عليها ، فان وضع قطاع غزة ومنطقة أريحا سوف تستمر كجزء لا يتجزأ من الضفة الغربية وقطاع غزة ، وسوف لن تتغير فى المرحلة الانتقالية •

الملحق الثالث :

لجنة فلسطينية ـ اسرائيلية للتعاون الاقتصادى المشترك

واذاعت وكالات الأنباء الملحق الثالث لاعلان المبادىء •

وتضمن ذلك بروتوكولا حول التعاون الاسرائيلى ـ الفلسطينى فى البرامج الاقتصادية والتنموية •

يتفق الجانبان على اقامة لجنة فلسطينية اسرائيلية دائمة للتعاون الاقتصادى تركز بين أمور أخرى على التالى :

١ ـ التعاون فى مجال المياه بما فى ذلك مشروع تطوير المياه فى الضفة الغربية وقطاع غزة وسيتضمن مقترحات لدراسات وخطط حول حقوق المياه لكل طرف وكذلك حول الاستخدام المنصف لموارد المياه المشتركة وذلك للتنفيذ خلال وما بعد الفترة الانتقالية •

٢ ـ التعاون فى مجال الكهرباء بما فى ذلك برنامج لتطوير الطاقة

الكهربائية والذى سيحدد كذلك شكل التعاون لانتاج وصيانة وشراء وبيع الموارد الكهربائية ٠

٣ ـ التعاون فى مجال الطاقة بما فى ذلك برنامج لتطوير الطاقة يأخذ فى الاعتبار استغلال البترول والغاز لأغراض صناعية خاصة قطاع غزة والنقب وسيشجع على المزيد من الاستغلال المشترك لموارد الطاقة الأخرى وسيأخذ هذا البرنامج فى الاعتبار أيضا بناء مجمع صناعات بتروكيماويه فى قطاع غزة وكذلك تمديد أنابيب لنقل البترول والغاز ٠

٤ ـ التعاون فى مجال التمويل بما فى ذلك برامج تطوير وعمل مالى لتشجيع الاستثمار الدولى فى الضفة الغربية وقطاع غزة وفى اسرائيل وكذلك اقامة بنك فلسطينى للتنمية ٠

٥ ـ التعاون فى مجال النقل والاتصالات بما فى ذلك برنامج يحدد الخطوط العامة لانشاء منطقة ميناء بحرى فى غزة يأخذ فى الاعتبار انشاء خطوط نقل واتصالات من والى الضفة الغربية وقطاع غزة الى اسرائيل والى بلدان أخرى ٠٠ بالاضافة الى ذلك سيعمل هذا البرنامج على تنفيذ بناء الطرق اللازمة وسكك الحديد وخطوط الاتصالات ٠٠٠ الخ ٠

٦ ـ التعاون فى مجال التجارة بما فى ذلك الدراسات وبرامج النهوض بالتجارة بما يشجع التجارة الداخلية والاقليمية وما بين الاقليمية وكذلك اعداد دراسة جدوى اقامة مناطق تجارة حرة فى قطاع غزة وفى اسرائيل وحرية الوصول المتبادل الى هذه المناطق والتعاون فى مجالات أخرى تتعلق بالتجارة ٠

٧ ـ التعاون فى مجال الصناعة بما فى ذلك برامج التنمية الصناعية التى ستوفر مراكز البحث والتنمية الصناعية الاسرائيلية ـ الفلسطينية المشتركة التى ستشجع المشروعات الفلسطينية الاسرائيلية المشتركة وتضع الخطوط العامة للتعاون فى صناعات النسيج والمنتجات الغذائية والأدوية والالكترونيات والالماس والصناعات المتعلقة بالكمبيوتر والعلوم ٠

٨ ـ برنامج للتعاون وتنظيم علاقات العمل والتعاون فى المجالات الاجتماعية ٠

٩ ـ خطة لتنمية الموارد البشرية والتعاون حولها تعرض لاقامة ورش عمل وندوات فلسطينية مشتركة ومؤسسات أبحاث وبنوك معلومات مشتركة ٠

١٠ ـ خطة لحماية البيئـة تعرض لاجراءات مشتركة أو منسقة فى هذا المجال ٠

١١ ـ برنـامج لتطوير التنسيق والتعـاون فى مجـال الانصـالات ووسائل الاعلام ٠

١٢ ـ أى برامج أخرى ذات مصلحة مشتركة ٠

الملحق الرابع :

التعاون الفلسطينى الاسرائيلى فى التنمية الاقليمية

كما اذاعت وكالات الأنبـاء الملحق الرابع لاعـلان المبـادىء ويتضمن بروتوكولا حول التعاون الاسرائيلى ـ الفلسـطينى حول برامج التنمية الاقليمية ٠

١ ـ سوف يتعـاون الجانبان فى اطـار جهود المفاوضـات المتعـددة الأطراف للنهوض ببرنامج تنمية للمنطقة بما فى ذلك الضفة الغربية وقطاع غزة تبادر اليه الدول السبع الكبار ، وستطلب الأطراف من السبع الكبار السعى لاشراك دول أخرى مهتمة فى هذا البرنامج مثل أعضاء منظمة التعاون والتنمية الاقتصاديـة ودول ومؤسسات عربية اقليمية وكذلك أعضـاء من القطاع الخاص ٠

٢ ـ سوف يتشكل برنامج لتنمية من عنصرين :

(آ) برامج التنمية الاقتصادية للضفة الغربية وقطاع غزة ٠

(ب) برنامج التنمية الاقتصادية الاقليمى ٠

٣ ـ برنامج التنمية الاقتصادية للضفة الغربية وقطاع غزة سيتشكل من العناصر التالية :

(آ) برنامج لاعادة التأهيل الاجتماعى بما فى ذلك برنامج للاسكان والبناء ٠

(ب) خطة لتنمية المشروعات الاقتصادية الصغيرة والمتوسطة ٠

(جـ) برنـامج لتنمية البنيـة التحتيـة (المياه والكهربـاء والنقـل والانصالات ٠٠ الخ) ٠

(د) خطة للموارد البشرية ٠

(هـ) برامج أخرى ٠

٤ ـ ويمكن أن يتشكل برنـامج التنمية الاقتصاديـة الاقليمية من العناصر التالية :

(أ) اقامة صندوق تنمية للشرق الأوسط كخطوة أولى وبنك تنميـة للشرق الأوسط كخطوة ثانية ٠

(ب) تطوير خطة اسرائيلية ـفلسطينية ـ أردنية مشتركة لتنسيق استغلال منطقة البحر الميت ٠

(جـ) قناة البحر المتوسط (غزة) ـ البحر الميت ٠

(د) تحلية المياه اقليميا ومشروعات تطوير أخرى للمياه ٠

(هـ) خطة اقليمية للتنمية الزراعية وتتضمن مسعى اقليميا للوقاية من التصحر ٠

(و) ربط الشبكات الكهربائية فيما بينها ٠

(ز) التعاون الاقليمى من أجل نقل الغاز والبترول وموارد الطاقة الأخرى وتوزيعها واستغلالها صناعيا ٠

(ح) خطة تنمية اقليميـة للسياحة والنقـل والاتصالات السلكيـة واللاسلكية ٠

(ط) التعاون الاقليمى فى مجالات أخرى ٠

(ى) سيعمل الطرفان على تشجيع مجمـوعات العمل المتعـددة الأطراف ٠

وينسقان بهدف انجاحها كما سيشجع الطرفان الأنشطة الواقعة ما بين اجتماعات العمل وكذلك دراسات الجدوى والدراسات التمهيدية لها ضمن مجموعات العمل المتعددة الأطراف المختلفة ٠ من المفهوم انه لاحقا للانسحاب الاسرائيلى ستستمر اسرائيل فى مسئوليتهـا عن الأمن الخارجى وعن الأمن الداخلى والنظام العام للمستوطنـات الاسرائيلية ويمكن للقوات العسكريـة وللمدنيين الاسرائيليين أن يستمروا فى استخدام الطرقات بحرية داخـل قطاع غزة ومنطقة اريحا ٠

ابرم فى واشنطن العاصمة بتاريخ ١٣/٩/١٩٩٣ ٠
عن حكومة اسرائيل ٠٠٠٠
عن الوفد الفلسطينى ٠٠٠٠
الشاهدان ٠٠٠٠
الولايات المتحدة ٠٠٠٠
روسيا الاتحادية ٠٠٠٠

مذكرة تفسيرية ؟ !

ونشرت الصحف الأمريكية ما وصفته بالمحضر المتفق عليه بين اسرائيل والفلسطينيين لاعلان المبادى بشأن ترتيبات الحكومة الفلسطينية الذاتية الانتقالية ويتضمن ذلك المحضر نقاطا أشبه بالمذكرة التفسيرية أو التوضيحية ·· وهى كما ورد فى تلك الصحف ··

ولاية المجلس الانتقالى تشمل الضفه الغربيه باستثناء القضاء التى يجرى الاتفاق عليها

اشارت وكالات الانباء الى ما وصف بالمحضر المتفق عليه لاعلان المبادىء حول ترتيبات الحكومة الذاتية الانتقالية · وتضمن ذلك :

١ ــ اتفاقات عامة : أى صلاحيات أو مسئوليات تنقل الى الفلسطينيين وفقا لاعلان المبادىء قبل تنصيب المجلس ستخضع لنفس المبادىء المتعلقة بالمادة الرابعة كما هو مبين فى اعلان المبادىء · ويفهم من ذلك :

١ ــ ولاية المجلس سوف تغطى الضفة الغربية وقطاع غزة باستثناء القضايا التى سيتم التفاوض عليها فى مفاوضات الوضع الدائم : القدس والمستوطنات ومواقع الجيش والاسرائيليين ·

٢ ــ تطبق ولاية المجلس فيما يخص الصلاحيات والمسئوليات والمجالات والسلطات المنقولة والمتفق عليها ·

كما اتفق على انه بالنسبة للمادة السادسة ، البند الثانى يتم نقل السلطة كما يلى :

١ــ يقوم الجانب الفلسطينى بابلاغ الجانب الاسرائيلى بأسماء الفلسطينيين المفوضين الذين سيتولون الصلاحيات والسلطات والمسئوليات

التى ستنتقل الى الفلسطينيين وفقا لاعلان المبادىء فى المجالات التالية ..

التعليم والثقافة والصحة والشئون الاجتماعية والضرائب المباشرة والسياحة وأى سلطات أخرى منفق عليها .

٢ ـ من المفهوم ان حقوق والتزامات هذه المناصب لن تتأثر .

٣ ـ ستستمر كل من المجالات المشار اليها أعلاه فى التمتع بالتخصصات الموجودة فى الميزانية وفقا لترتيبات يتم الاتفاق عليها من الطرفين وستأخذ هذه الترتيبات فى الاعتبار التعديلات الضرورية المطلوبة من أجل تضمين الضرائب التى تتم جبايتها من خلال مكتب الضريبة المباشرة .

٤ ـ فور تنفيذ اعلان المبادىء سيبدأ الوفدان الاسرائيلى والفلسطينى على الفور مفاوضات حول خطة مفصلة لنقل السلطة الى المناصب السابقة وفقا للتفاهمات المذكورة أعلاه .

وبالنسبة للمادة السابعة ، البند الأول فان الاتفاق الانتقالى يتضمن الترتيبات للتنسيق والتعاون وبالنسبة للمادة السابعة ، البند الخامس ، فان انسحاب الحكم العسكرى لن يمنع اسرائيل من تنفيذ الصلاحيات والمسئوليات التى لم تنقل الى المجلس . أما البند الثامن : فمن المفهوم ان الاتفاق الانتقالى سيتضمن ترتيبات للتعاون والتنسيق بين الطرفين بالنسبة لهذا الموضوع . كما اتفق على ان نقل الصلاحيات والمسئوليات الى الشرطة الفلسطينية سيكتمل على مراحل ، كما سيتفق عليه فى الاتفاق الانتقالى . أما المادة العاشرة فتتضمن بندا منفصلا وصف بأنه الملحق الخامس : انه من المتفق عليه انه فور دخول اعلان المبادىء حيز التنفيذ سيقوم الوفدان الاسرائيلى والفلسطينى بتبادل أسماء الأفراد المعينين من الطرفين كأعضاء فى لجنة الارتباط الاسرائيلية ـ الفلسطينية المشتركة كما انه من المتفق عليه أن يكون لكل طرف عدد متساو من الأعضاء فى لجنة الارتباط وستتخذ اللجنة المشتركة قراراتها بالاتفاق ويمكن للجنة المشتركة ان تضيف أسماء فنيين وخبراء آخرين حسب الضرورة وستقرر اللجنة المشتركة وتيرة ومكان أو أماكن عقد اجتماعاتها .

اتفاق الاعتراف المتبادل ٠

وهو ليس اعلانا بمبادىء كما حدث فى اتفاقية الحكم الذاتى ٠٠ وانما جاء ذلك الاعتراف فى شكل رسالتين متبادلتين كما أشرنا الى ذلك من قبل ٠ وكان هولست وزير خارجية النرويج قد حصل على نصهما من كل من رابين وياسر عرفات ٠٠ ثم حصل هولست بعد ذلك على رسالة ثالثة من عرفات لم تظفر باهتمام الصحف ولا يعرف أغلب الناس عنها شيئا ٠٠

وفيما يلى الرسائل الثلاث :

رسالة ياسر عرفات

الخطاب الاول من عرفات الى رابين السيد رئيس الوزراء :

ان التوقيع على المبادىء يرمز لعصر جديد فى تاريخ الشرق الأوسط ومن منطلق ايمان راسخ ٠ أحب أن أؤكد على التزامات منظمة التحرير الفلسطينية الآتية :

١ ـ تعترف منظمة التحرير بحق دولة اسرائيل فى العيش فى سلام وأمن ٠

وتقبل المنظمة قرارى مجلس الأمن رقمى ٢٤٢ و ٣٣٨ ٠

٢ ـ ان المنظمة تلزم نفسها بعملية السلام فى الشرق الأوسط وبالحل السلمى للصراع بين الجانبين وتعلن أن كل القضايا الأساسية المتعلقة بالأوضاع الدائمة سوف يتم حلها من خلال المفاوضات ٠

٣ ـ وتعتبر المنظمة أن التوقيع على اعلان المبادىء يشكل حدثا تاريخيا ويفتتح حقبة جديدة من التعايش السلمى والاستقرار ، حقبة خالية من العنف وطبقا لذلك فان المنظمة تدين استخدام الارهاب وأعمال العنف

الأخرى ، وسوف تأخذ على عاتقها الزام كل عناصر أفراد منظمة التحرير بذلك من أجل تأكيد التزامهم ومنع الانتهاكات وفرض الانضباط لمنع هذه الانتهاكات .

٤ ــ وفى ضوء ايذان عصر جديد والتوقيع على اعلان المبادىء وتأسيسا على القبول الفلسطينى بقرارى مجلس الأمن ٢٤٢ و ٣٣٨ فان منظمة التحرير تؤكد أن بنود الميثاق الوطنى الفلسطينى التى تنكر حق اسرائيل فى الوجود وبنود الميثاق التى تتناقض مع الالتزامات الواردة فى هذا الخطاب أصبحت الآن غير ذات موضوع ولم تعد سارية المفعول وبالتالى فان منظمة التحرير تتعهد بأن تقدم الى المجلس الوطنى الفلسطينى موافقة رسمية بالتغييرات الضرورية فيما يتعلق بالميثاق الفلسطينى .

المخلص

ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية .

رسالة اسحق رابين

● **أما الخطاب الثانى الموجه من رابين الى عرفات فنصه كما يلى :**

السيد الرئيس .

ردا على خطابكم المؤرخ فى ٩ سبتمبر ١٩٩٣ ، فاننى أحب أن أؤكد لكم ، فى ضوء التزامات منظمة التحرير الفلسطينية المتضمنة فى خطابكم ، فان اسرائيل قررت الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية باعتبارها الممثل للشعب الفلسطينى ، وستبدء مفاوضات مع منظمة التحرير فى اطار عملية السلام فى الشرق الأوسط .

اسحق رابين
رئيس وزراء اسرائيل

رسالة ياسر عرفات الثانية

● أما الخطاب الثالث الموجه من الرئيس الفلسطينى الى جوهان هولست وزير خارجية النرويج فنصه كما يلى :

عزيزى الوزير هولست .

أرغب فى أن أؤكد لكم أنه بمقتضى التوقيع على اعلان المبادىء فاننى سوف أضمن المواقف التالية فى بياناتى العلنيه :

فى ضوء العصر الجديد الذى رمز اليه التوقيع على اعلان المبادىء فان منظمة التحرير تشجع وتدعو الشعب الفلسطينى فى الضفة الغربية وقطاع غزة الى الاشتراك فى الخطوات المؤدية الى تطبيع الحياة ومعارضة العنف والارهاب والمساهمة فى السلام والاستقرار والمشاركة بفعالية فى اعادة البناء والتنمية الاقتصادية والتعاون ٠

المخلص

ياسر عرفات
رئيس منظمة التحرير
الفلسطينية

وهذا الخطاب يعنى بوضوح تعهد ياسر عرفات بالعمل على وقف الانتفاضة الفلسطينية ٠٠ كما أنه سيدعو الى تعاون الشعب الفلسطينى مع اسرائيل فى التنمية وتحقيق الاستقرار وتطبيع العلاقات ٠

وكان هذا الخطاب بناء على طلب اسرائيل ٠٠ والذى عبر عنه عرفات بعد ذلك كلما سئل من مراسل صحفى عما اذا كانت الانتفاضة ستتوقف ٠ فيرد : الانتفاضة ستكون ضد من اذا ما خرج الاسرائيليون من البلد وحكمها فلسطينيون ٠٠ الانتفاضة هى ضد قوات الاحتلال ٠٠

لماذا غزة ؟

وقد أثار اعلان بدء الحكم الذاتى فى غزة وأريحا أولا ٠٠ سؤالا لدى أغلب الناس ٠٠ لماذا غزة ؟ ٠٠ ربما يطرحون سؤالا آخر ٠٠ لماذا أريحا ٠٠ لأن أريحا بلدة صغيرة ٠٠ وغير مشهورة لدى المصريين وسائر العرب ٠٠ أما غزة فيسكنها على الأقل حوالى ثلاثة أرباع مليون فلسطينى ٠ وهى ساحة نضال وطنى شريف رائع ضد قوات الاحتلال الاسرائيلى ٠٠ منذ دنس ذلك الاحتلال الأرض الطيبة هناك ٠٠

وللاجابة على هذا السؤال ٠٠ أنقل لك مقالا كتبته بهذا العنوان نفسه فى جريدة العالم اليوم ٠٠ فى شهر يونية الماضى (١٩٩٣) ٠٠ عندما ردد شيمون بيريز وزير الخارجية وغيره من المسئولين تصريحات بامكانية بدء الحكم الذاتى فى غزة ٠٠

لم تكن هذه هى المرة الأولى التى يصرح فيها مسئول اسرائيلى انهم مستعدون لتسليم قطاع غزة للفلسطينيين ليبدءوا فيه تطبيق الحكم الذاتى ٠٠ فقد صرح قبل شيمون بيريز وزير الخارجية مسئولون عديدون بمثل هذا التصريح ٠٠ فلماذا نسمع منهم هذه التصريحات ولا نسمع تصريحا واحدا عن امكانية « تطوعهم » بتقديم الضفة الغربية الى الشعب الفلسطينى صاحب الأرض الأصلى ليبدأ تطبيق الحكم الذاتى ؟ ٠٠

الواقع أن اسرائيل قد قامت باغلاق الضفة وغزة عن اسرائيل منذ نهاية شهر ابريل الماضى بقرار من اسحق رابين وقد شمل هذا الاغلاق القطاع العربى للقدس وهو المركز السياسى والاقتصادى للضفة الغربية ٠

ورغم أن الحصار هو نوع من تعويد الاسرائيليين على أن هناك منطقتين منفصلتين مما يتناقض مع فكرة اسرائيل الكبرى التى تشمل الضفة الغربية فان خسارة فادحة قد لحقت بمائة وعشرين ألف فلسطينى أغلبهم يعول أسرا من الأجر الذى يتقاضونه مقابل العمل فى اسرائيل ٠

بالاضافة الى أن منع الفلسطينيين من أهل الضفة والقطاع من زيارة القدس الشرقية يوضح صعوبة الحصول على المطلب الذى يطالبون به فى مفاوضات السلام من أن تكون القدس هى عاصمة الدولة الفلسطينية المستقلة ·· أو جزءا من الأرض التى سيطبق عليها الحكم الذاتى على الأقل ·· ففى القدس الشرقية توجد فى الحقيقة مراكز عصب النشاط الفلسطينى من معاهد وصحف ومستشفيات ·

وفى استفتاء جرى أخيرا فى اسرائيل اتضح أن ٧٥٪ من السكان يؤيدون اغلاق الأراضى المحتلة حتى ولو خسروا الأيدى العاملة الرخيصة التى تأتى منها ··

وقد حاولت الحكومة تعويض هذا عن طريق اعطاء ثلاثين ألف تصريح خاص لاستقدام عمال من أوروبا الشرقية وتايلاند ··

ولا يبدو فى الأفق احتمال فك ذلك الحصار أو الغاء ذلك الانفصال بين اسرائيل والأرض المحتلة فكما قال موشى شاهال وزير الشرطة أن هذا الوضع سيستمر « ولن يعود الموقف الى ما كان عليه قبل اغلاق الأراضى المحتلة » ·

وهذا ما يثير قلق كثير من الاسرائيليين المتعصبين ويتحدثون كثيرا فى استنكار عن تشكيل شرطة فلسطينية تستوقف اسرائيليين للكشف عن هوياتهم كما عرض فيلم عن ذلك أخيرا فى التليفزيون الاسرائيلى بهدف حشد الرأى العام ضد أى تنازلات تقدمها حكومة حزب العمل !

هذا هو الوضع بالنسبة للأراضى المحتلة عموما ·· لكن لماذا تريد اسرائيل البدء بغزة أولا بالنسبة للحكم الذاتى ·

وأولا بالمناسبة ان العرض الاسرائيلى يصر أيضا على ذلك الحكم الذاتى لا يشمل الأرض أى أنه حكم ادارى من مجموعة من السكان ذات طبيعة ووضع خاص ··

ان الضفة الغربية تحيط بها أفكار وتهاويم ومعتقدات دينية وعنصرية ذات طابع تاريخى عن أنها جزء من أرض اسرائيل تشكل قوام الفكر اليهودى المضلل ·· وتغذى ذلك الفكر وتتمسك به كتلة سياسية هامة هى كتلة الليكود وأحزاب دينية أخرى ··

وترتبط الضفة الغربية أيضا بمدينة القدس التى اعلنت اسرائيل عقب حرب ١٩٦٧ ضمها اليها واعتبارها « عاصمة دولة اسرائيل الى الأبد » ·· وهذا موضع نزاع في المفاوضات العربية الاسرائيلية ·

اما غزة فلا توجد مشكلة عقائدية أو تاريخية ذات شأن ٠٠ ولم يتوافر من قبل لدى قادة وكهنة اليهود تمسكهم بها كجزء من دولة اسرائيل٠

من ناحية أخرى لا تعتبر غزة ذات نفع اقتصادى لاسرائيل اللهم الا فيما يتعلق بكونها مصدرا للعمالة ٠٠ انما الاقتصاد فى غزة قد أصبح فى حالة منحطة عامة ٠٠ فالأرض الواقعة حولها التى كانت يوما منطقة ساحلية خلابة حيث كان يزرع فيها صغار الفلاحين البرتقال والشمام والخوخ ٠٠ قد أصبحت اليوم تقريبا خرابا يبابا ٠٠ يشيع فيها البؤس واليأس معا ٠٠

ولا يوجد ميناء ٠٠ ولا عمليات صيد أسماك لها أى قيمة ٠٠

بينما الصناعة والتجارة تدور أساسا فى الضفة الغربية وتحصل الجمارك الاسرائيلية على أكثر من ٨٠ مليون دولار كل عام رسوما جمركية من سلع يستوردها رجال الأعمال الفلسطينيون فى الضفة الغربية لتشغيل مصانعهم وورشهم ٠٠

وقد لا يعرف الكثيرون أن من بين ٨٠٠ ألف نسمة هم سكان قطاع غزة يوجد سبعون فى المائة منهم يعيشون فى خيام ومعسكرات منذ ربع قرن هى مدة الاحتلال الاسرائيلى ٠٠

ويزيد الأمر خطورة اذا علمنا أن ستين فى المائة من سكان القطاع سيكون فى نهاية القرن الحالى من الشبان الذين تبلغ أعمارهم أقل من تسعة عشر عاما ٠٠ وبالمناسبة يقدر الخبراء أن عدد السكان سيصل حينذاك الى مليون نسمة ! ٠٠ أى مرة ونصف عدد سكان اسرائيل عند اعلان قيامها عام ١٩٤٨ ؟! ٠٠

وليس لدى هؤلاء الشبان أى مستقبل ٠٠ بل ليس لديهم أى حاضر حيث أن السلطات الاسرائيلية لم تفعل شيئا على الاطلاق فى مجال تطوير المنطقة اقتصاديا منذ احتلالها ٠٠

وظلت غزة فى وضع المتلقى للاعانات والتبرعات دون اضافة حقيقية للاقتصاد ٠٠ أو تنمية للاقتصاد فيها ٠٠ ولذلك فهى بلد اللاجئين فعلا ٠٠

من ناحية أخرى لا تمثل غزة أهمية لاسرائيل من ناحية موارد المياه ٠٠ فلا توجد أنهار ٠٠ ولا آبار ٠٠ هناك ٠٠ وبالتالى فهى ليست مجالا للمساومة فى أى مفاوضات بعكس الضفة الغربية حيث يتهرب المفاوض الاسرائيلى دائما من الموافقة على السماح لسلطات الحكم الذاتى الفلسطينى بالسيطرة على موارد المياه ٠٠ لأن لديه تخطيطا واسعا لعملية

تقسيم المياه بطريقة تفيد اسرائيل أساسا ·· وليس ذلك بقاصر على مياه الضفة الغربية فقط بل يشمل أيضا مياه لبنان ·· وسوريا ·· والأردن ·· وذلك واضح جدا فيما يطرحه المفاوض الاسرائيلي فى اجتماعات المفاوضات المتعددة الأطراف ·

أيضا هناك عامل يدفع الاسرائيليين الى البدء بغزة فى طريق الحكم الذاتى ·· وهو محاولة تقسيم القضية الفلسطينية ذاتها ·· ربما اذا ما قدمت غزة هدأ الفلسطينيون قليلا ·· وانشغلوا ·· بل وربما حدثت فرقة وخلافات عميقة ·· اذ أن نفوذ منظمة حماس فى غزة كبير ·· وربما أمكنها الانفراد بالسيطرة على الحكم الذاتى فيها أو لعب دور أكثر فاعلية ·· وبالتالى يدب الانشقاق بينها وبين منظمة التحرير الفلسطينية وسينعكس ذلك كله طبعا على حركة التحرير الفلسطينية عموما فى المفاوضات مع اسرائيل للتوصل الى الحكم الذاتى فى الضفة الغربية ·· وفى التوصل للحل النهائى للمشكلة بعد فترة الانتقال ! ·

على أن قطاع غزة قد أصبح يشكل عبئا من الناحية الأمنية على اسرائيل ·· اذ أن سلطات الاحتلال الاسرائيلى تقوم بعمليات قمع مروعة ضد أبناء الشعب هناك ·· وتقول مجلة دير شبيجل الألمانية بالحرف الواحد « ان الجيش الاسرائيلى يستغل عملية اغلاق قطاع غزة لصيد الارهابيين بأقصى الوسائل وحشية وذلك بحجة تعقب أشخاص مطلوب البحث عنهم·· كما تقوم قيادة الجيش الاسرائيلى بتدمير منازل المواطنين بواسطة مدافع مضادة للدبابات ! وقد تم تدمير أكثر من مائة مسكن بهذه الكيفية ··!·· »أعطت المجلة الألمانية صورة مروعة عما يجرى فعلا ·· وهى مجلة لا يمكن وصفها بأنها معادية لاسرائيل أو موالية للعرب ··

ولنقرأ ترجمة لسطور فى تلك المجلة عن موقعة من مواقع التصفية الاسرائيلية لسكان قطاع غزة البواسل :

« زحفت فى حى التفاح فى الرابعة صباحا فرقة اسرائيلية مكونة من حوالى مائة جندى حيث قامت هذه الفرقة بطرد السكان من منازلهم وألزموهم بأن يتركوا نوافذها وأبوابها مفتوحة ··

وحلقت طائرات الهليكوبتر فى السماء بينما كان الجنود يستخدمون المدافع المضادة للدبابات لتدمير المنازل المجاورة ·· وبعد ذلك اقتحموا المساكن وحطموا كل ما وجدوه من دواليب وأسرة وأرفف وموبيليا وكافة أنواع الأجهزة الكهربائية ··

والحصيلة تدمير عشر منازل في ذلك الفجر ·· وتشريد مائة

فلسطينى فضلا عن فقدانهم كل ما يمتلكونه ٠٠ وهذا العمل التخريبى المنظم استغرق ما يقرب من خمس عشرة ساعة انما سجله الجيش على أنه عملية ناجحة اذ أنهم على حد قولهم أطلقوا الرصاص على ارهابى خطير وألقوا القبض على اثنين من المتطرفين السياسيين !! ٠٠

انتهى تصوير دير شبيجيل الألمانية لأسلوب اسرائيل فى مواجهة الشعب الفلسطينى عموما وأهالى غزة خصوصا ٠٠ والغريب أن أغلب الصحف العربية لا تنشر تحقيقات صحفية فيها تفاصيل كهذه ٠٠ وانما كلام عام ٠٠ ولا يوجد محققون صحفيون يذهبون الى الأراضى المحتلة ليكتبوا كلاما كهذا الذى تسجله الصحف الغربية الموالية فى الأصل للصهيونية العالمية ٠٠ بل ان المراسلين للصحف العربية والمصرية بالذات لا يبعثون فى رسائلهم تفاصيل ما يجرى من تنكيل وعمليات اجرامية من جانب سلطات الاحتلال الاسرائيلية ٠٠ ازاء السكان ٠٠ وقس على ذلك محطات الاذاعة والتليفزيون ٠٠ فقد لاحظت خلال زيارتى الأخيرة للولايات المتحدة أنى أرى على شاشة التليفزيون الأمريكى المتعدد المحطات أشرطة ولقطات عما يجرى فى الأرض المحتلة أكثر بكثير مما أراه فى التليفزيون المصرى أو الأردنى ٠

هل يعرف المواطن العربى مثلا أن الاسرائيليين قد بلغت بهم درجة الهوس الى حد اضطهاد الموتى أنفسهم ؟ ٠٠ ان السلطات هناك أصدرت أوامر بدفن الضحايا الفلسطينيين ليلا فى معظم الحالات وفى أضيق نطاق عائلى ٠٠ ويخضع المعزون الوافدون لرقابة شديدة من الجنود الاسرائيليين ٠٠

وكثيرا ما يهدم الجيش الاسرائيلى « الصوانات » التى تقام لتقبل العزاء فى الشهداء من أبناء الشعب الفلسطينى ٠٠

وتعود الجيش الاسرائيلى اطلاق النار على الشبان والغلمان الفلسطينيين لمجرد كتابتهم شعارات وطنية على الجدران ٠٠ وهذا لم يحدث الا فى عهود النازى ٠٠

ففى كل بلد كان فيه احتلال انجليزى أو فرنسى أو أمريكى كانت عقوبة مثل ذلك العمل (الكتابة على الجدران) شهرا أو سنة فى السجن ٠٠ لا اطلاق للرصاص كما يفعل الاسرائيليون يوميا ٠٠

وهذا الارهاب اليهودى اليومى ٠٠ المتخذ طابع الجماعية قد زاد من نفوذ الجماعات المتطرفة الاسلامية وتقول كل تقارير المراقبين فى الأرض المحتلة أن الاقبال من جانب الشباب على الانضمام الى تلك الجماعات يزداد

كل يوم ·· كما أن الانتفاضة لم تتوقف بل تزداد وتتسع رغم ازدياد عدد الضحايا يوميا ··

وقد علق المحامى الأمريكى دوجلاس ايرلى من لجنة حقوق الانسان الأمريكية على عمليات القمع الاسرائيلية بأنها سوف تؤدى على المدى البعيد الى زيادة أتباع مناضلى المنظمات السرية الفلسطينية حيث أن كل ميت يجند أعداء جددا !! » ·

وهذا هو الحاصل فعلا ·· وان كان يقابل هذا شعور يتزايد فى اسرائيل ·· أن أهل غزة لا يمكن أن يكونوا جزءا من اسرائيل ·· وأن الأفضل أن يعيشوا بعيدا عنا ·· ونحن بعيدا عنهم ··

من هنا جاءت التصريحات الاسرائيلية المتكررة بالبدء بقطاع غزة على طريق الحكم الذاتى ! ··

لكن سيظل المفاوض الاسرائيلى يراوغ ·· ويماطل ·· حتى فى شىء يراه مناسبا له ليحصل على أكبر تنازل ممكن فى الضفة الغربية ·· والجولان ·· وجنوب لبنان ·· وغزة أيضا ؟!

كامب ديفيد ١٩٩٣ .

الفرق بين كامب ديفيد التى وقعها عرفات بالأمس القريب وكامب ديفيد التى كان مفروضا أن يوقعها عام ١٩٧٩ أيام المرحوم أنور السادات هو الفرق بين عامى ١٩٧٩ و ١٩٩٣ ٠٠

لو أن عرفات وقع عام ١٩٧٩ لكان قد وقع اتفاقية شاملة للحكم الذاتى كاملا على كل أراضى الضفة والقطاع ما عدا القدس الشرقية ٠٠ ولكان التوصل الى تسوية شاملة بعد خمس سنوات مضمونا الى حد كبير ٠٠ فقد كان معززا لا بمساندة مصر فقط ٠٠ بل بقوة منظمة التحرير الفلسطينية التى كانت خالية من كل سوء الانقسام والتشرذم ٠ وأيضا بقوة تضامن عربى لم تعصف به حماقات قائد مؤتمر بغداد الشهير الذى بدد جهد شعبه وجيشه ومال العرب فى حرب ضد ايران ٠٠ ثم بعد ذلك حرب الكويت خطيئته الكبرى ٠٠ وأيضا كانت هناك مساندة الاتحاد السوفيتى الذى لم يكن قد تفكك وانهار بعد ٠

ولو أن ياسر عرفات وقع كامب ديفيد عام ١٩٧٩ لما كانت اسرائيل قد غزت لبنان وذاقت بذلك اللحم العربى والعرب سكوت سلبيون يتفرجون على الجيش الاسرائيلى وهو يزحف الى بيروت وهم على بعد مائة متر من جحافله ٠٠ لأنه اذا ما كانت القضية قد حلت فانه لم يكن هناك ما يبرر لأى قوة مقاومة فلسطينية أن تواصل الكفاح المسلح من أرض جنوب لبنان ضد شمال اسرائيل ناهيك عن أن توقيع عرفات حينذاك الذى كان يعنى حل القضية الفلسطينية التى هى جوهر النزاع العربى الاسرائيلى كان سيسهل حل مشكلة الجولان وما كانت اسرائيل ستجرؤ على ضمها كما فعلت ٠

الآن ٠٠ يحدث التوقيع على كامب ديفيد ١٩٩٣ ٠٠ لأن توازن القوى يحكم ذلك ٠٠ ولا يوجد بديل ٠٠

فلا يمكن للاسرائيليين أن يقبلوا اقامة حكم ذاتى شامل فى كل الأرض المحتلة دفعة واحدة بعد أن أصبحوا القوة العسكرية الأولى فى المنطقة وبعد الانقسام العربى المزرى ·· بل انقسام المقاومة الفلسطينية ذاتها ·· وهل هناك أدعى للأسى من أن فريقا من تلك المقاومة يكرس جهده منذ شهور لاتهام منظمة التحرير بالخيانة وبيع القضية ويحاول الفصل بين فلسطينى الداخل وفلسطينى الشتات ·

بل أن أحد زعماء المقاومة (أحمد جبريل) يهدد باغتيال ياسر عرفات زعيم المنظمة ·· وآخرون من زعماء حماس يهددون بحرب اهلية ! ··

حرب اهلية كيف ؟ ·· ومن المستفيد بهذه الحرب الأهلية ·· وهل تتوقعون أن تنتزعوا شبرا واحدا من اسرائيل بقطع رقاب بعضكم البعض ؟!

لهذا ·· كان الحل الممكن والوحيد · هو اقامة تجربة ·· نموذج للحكم الذاتى ·· فى منطقة محددة ومحدودة لدى الاسرائيليين – نعم ليرى الاسرائيليون كيف تسير التجربة ·· فحكومة حزب العمل تقول ·· كما صرح سفير اسرائيل فى القاهرة ان المعارضة ضد حكومة رابين قوية ولا يستهان بها ·· وهى تحكم بصوت واحد فى البرلمان ··

وقد أخذت تلك المعارضة المبادرة ضد الاتفاقية فور الاعلان عنها ··

وتقول اسرائيل أيضا هناك المستوطنون الذين تسلحوا ·· وأصبحوا يشكلون قوة ميليشيا عسكرية فى اسرائيل وفى الأرض المحتلة·· ويستعدون لمواجهة الشرطة الفلسطينية اذا ما طبق الحكم الذاتى ··

لذلك كان ضروريا أن يتم تطبيق ذلك الحكم على طريقة الخطوة خطوة ·

غزة وحماس :

وكان الزعيم الفلسطينى ياسر عرفات قد أعلن مرة انه لا يمانع فى تطبيق الحكم الذاتى فى غزة كبداية تعليقا على تصريحات المسئولين الاسرائيليين وبالتأكيد كان فى ذهن عرفات النمو المتزايد لنفوذ منظمة حماس الاسلامية ومنازعتها للمنظمة النفوذ والتأثير ·· فغزة هى القاعدة الأساسية لكل أنواع التطرف الاسلامى ··

وكشف السفير الاسرائيلى فى القاهرة بعضا مما دار فى الاتصالات بين اسرائيل والفلسطينيين ·· فقال ان ياسر عرفات رحب باقتراح البدء

بغزة ولكنه قال انه لايستطيع أن يقبل غزة وحدها فى تلك البداية لأنه سيتهم بأنه يقسم القضية الفلسطينية ٠٠ فلابد من منطقة أخرى فى الضفة الغربية ٠

فعرضت أسماء مدن عديدة : جنين ٠٠ الخليل ٠٠ نابلس ٠٠ بيت لحم ٠٠ وأخيرا استقر الاتفاق على مدينة أريحا التى تبعد عن القدس بنصف ساعة ٠٠ وتعتبر اقدم مدينة فى العالم مأهولة بالسكان منذ القرن الداسع قبل الميلاد ٠٠ ويتردد عليها الاسرائيليون دائما فى الشـــتاء لاعتدال جـوها ٠٠ كمـا أنهـا أقل المـون الفلســطينية اشـــتعالا بالانتفاضـــة !!

ولكن ألا يوجد خوف من أن يقتصر الحكم الذاتي على غزة وأريحا ٠٠ ثم يتجمد الموقف بعد ذلك ؟ ٠٠

لا يوجد مبرر لمثل ذلك الخوف ٠٠ لسبب بسيط لأن هناك اعلانا لمبادىء الطرفين يحدد شكل وهيكل وشروط ومواعيد الحكم الذاتى ٠٠

وتكون غزة وأريحا فى البداية ٠٠ كنموذج وتجربة تحـدد الاطار والتطبيق فى كل المناطق ٠٠

اى أن الحكم الذاتى سيزحف من غزة وأريحـا الى باقى الأرض المحتلة ٠٠

ولكن الحقيقة أن الحكم الذاتى لن يشمل كل الأرض المحتلة ٠٠ اذ يستثنى منها :

أولا : القدس الشرقية ٠

ثانيا : المستوطنات الاسرائيلية ٠

ثالثا : المناطق الأمنية التى ترى الســلطات الاسرائيـلية ضرورة الاحتفاظ بها بحجة المحافظة على أمن اسرائيل ٠٠

وهى أرض لم يتفق عليها الطرفان بعد ٠٠ وستخضع فى الغالب أو معظمها للتسوية النهائية ٠٠ ذلك أن اسرائيل تفسر قرار مجلس الأمن ٢٤٢ على أنه لايعنى الانسحاب من كل الأراضى المحتلة ٠٠

ولكن هل سينسحب الجيش الاسرائيلى من الأراضى المحتلة بعد تطبيق الحكم الذاتى ؟

الغريب أنه معروف حتى منذ اتفاقية كامب ديفيد أن أمر الانسحاب الاسرائيلى الكامل من الأرض المحتلة يخضع لمفاوضات التسوية النهائية التى ستبدأ فى العام الثالث لتطبيق الحكم الذاتى الذى سيستمر ٥ سنوات· فان هناك لبسا عند الكثيرين اذ يتصورون أن القوات الاسرائيلية ستنسحب تماما من الأرض المحتلة ·

ان القوات الاسرائيلية ستنسحب من المناطق الكثيفة السكان وسيعاد توزيعها وانتشارها خارج المدن حتى لا تحتك بهؤلاء السكان ·

هل يعنى اقامة الحكم الذاتى الآن ·· موافقة اسرائيل على قيام دولة فلسطينية ؟

رغم انه معروف ان ذلك غير صحيح فان المهاجمين للاتفاق يضحكون على عقول الناس فيتصايحون أن الاتفاق لا يتضمن الموافقة على اقامة دولة فلسطينية ! ··

مع أن موقف اسرائيل حتى الآن ·· ضد اقامة تلك الدولة ·· وقد صرح اسحق رابين فى حديث عندما سئل هل ستؤدى الاتفاقية الى قيام دولة فلسطينية : ان الأمر ليس عبارة عن دولة بل عن تدبير انتقالى لمدة خمس سنوات ·

واستطرد قائلا : ان معارضتنا لاقامة دولة فلسطينية معروفة · وأى محاولة للربط بين التدبير الانتقالى والتدبير النهائى لن يكون لها معنى ·· ولكن الصحفى ألح عليه متسائلا وماذا سيحصل اذا أعلن الفلسطينيون اقامة دولة ؟··

فأجاب رابين : « ان الجيش الاسرائيلى سيكون موجودا هناك » ؟!

ان الاعتراف بحق تقرير المصير للشعب الفلسطينى مسألة تقرر بعد مرحلة طويلة من التجربة بالاحتكاك والتعامل بين سلطات الحكم الذاتى الفلسطينى والحكومة الاسرائيلية وجيرانها ·· وكذلك بغرس الثقة بين الأطراف التى تصارعت طويلا ·· وسالت دماء الشعب الفلسطينى أنهارا بسبب جرائم الغزو والاحتلال الاسرائيليين ·

وهذا يحتاج الى مجهود شاق كما قال بحق الرئيس حسنى مبارك تعليقا على الاتفاق ··

ويبدو هذا واضحا لدى قيادة منظمة التحرير ·· تأمل كلمات ياسر عبد ربه ·· تعليقا على الاتفاق ! « اننا سوف نعمل على اقامة علاقات

متكافئة ومتوازنة بين منظمة التحرير وحكومة اسرائيل وبين الشعبين » ! ٠

وتأمل ايضا كلمات ياسر عرفات : ان سلام الشجعان يقتضي خطوات شجاعة » ٠

وهي لغة مختلفة ٠٠ هدفها الرئيسي بناء جسور من الثقة ٠٠ وعين القيادة الفلسطينية على اسرائيل وصراعاتها من الداخل ٠٠ حتى لا يأتي الليكود المتربص ٠٠ وتعود الدوامة من جديد من حيث بدأنا ٠٠ والشعب الفلسطيني هو الذي يدفع الثمن باهظا ٠٠ فلا دولة في العالم العربي تريد حربا ضد اسرائيل الآن على الأقل ٠٠

لذلك فان المفاوضـــات هي الطريق الوحيد لحل النزاع لمرحلـة استراتيجية طويلة ٠

ومن لا يدرك ذلك يتفضل ويكشف لنا حقيقة غير ذلك ٠٠ والسلاح السري رقم ١٣ الذي كان ينذر به هتلر العالمين !!

حســنا ٠٠ ما هو مصير الانتفاضة اذن ؟

يعني هل ستتوقف ٠٠ بعد توقيع الاتفاقية ٠٠ وبعد اعلان الاعتراف المتبادل بين المنظمة واسرائيل ٠٠

قال لنا السفير الاسرائيلي في القاهرة ردا على سؤال بهذا الشأن : ان من يتكلم ليصفي خلافا ٠٠ لا يضرب من يكلمه ٠٠

ولما استوضحناه أكثر ٠٠ قال ان المفاوضات ٠٠ وتطبيق الحكم الذاتي يحتاجون الى جو هادىء ٠٠ لأننا نبني جسورا من الثقة والتفاهم ٠٠

وهذا كلام معناه أن اسرائيل ترى ان الانتفاضة لابد أن تتوقف ٠٠

وقال راديو اسرائيـــل تعليقـــا على الاتفاقيـــة انه ســـيتعين على المنظمـــة عـــدم القيـــام بأعمال ارهابية » وعدم عرقلـــة تحرك اسرائيلي ضد مرتكبي الاعتداءات جنبا الى جنب الاعتراف باسرائيل والغاء بنودها الداعية لتصفية الدولة العبرية ٠٠

وهذا كلام يعني وقف الانتفاضة ٠٠ وان كانت منظمة التحرير والشعوب والدول العربية وكل قوى التحرر وحتى الأمم المتحدة لا تعتبر الانتفاضة من قبيل الأعمال الارهابية ٠٠ بل نضال شعبي وحتى ليست كفاحا مسلحا ٠٠

ووزير البوليس الاسرائيلي موسى شاحال قال « ان الاتفاق ينص على عدم حصول أي أعمال عنف أو ارهاب خلال الفترة الانتقالية » ٠

وهذا التعبير عن العنف يعنى الانتفاضة :

الاسرائيليون اذن يرون ان جزءا من ثمن الاتفاقية هو وقف الانتفاضة أو بلغة مهذبة نتيجة من نتائجها ..

.. ماذا يرى الفلسطينيون ؟ ..

الحقيقة أن الزعيم ياسر عرفات أجاب على سؤال مباشر وجهته اليه احدى الصحفيات فى المؤتمر الصحفى الذى عقده مع الرئيس حسنى مبارك فى الاسكندرية .. نقول أجاب اجابة غامضة .. اذ سألته الصحفية عما اذا كانت الشرطة الفلسطينية ستعمل على القضاء على الانتفاضة فقال :

ـ هذا ما تقولينه أنت لكن ما سيحدث شىء مختلف تماما عن ذلك حيث تكون الشرطة الفلسطينية مسئولة عن الأمن الفلسطينى .

وهذا كلام قد يعنى انهاء الانتفاضة .. وقد يعنى حماية الشرطة الفلسطينية لها ؟!

ولكن السؤال اذا ما حدث وتسلم الفلسطينيون السلطة فى منطقة ما وأصبح لهم شرطة فيها .. وادارة ذاتية .. والقوات الاسرائيلية انسحبت من المنطقة حيث يوجد سكان فالى من سيوجه الشباب الطوب والحجارة ؟.. ضد من ستكون الانتفاضة كما طرحنا السؤال من قبل .

على أى حال اننا نعرف أن الوفد الفلسطينى الذى تفاوض مع كريستوفر وزير الخارجية الأمريكى فى القدس شكا لى من قسوة تعامل سلطات الاحتلال مع الشعب الفلسطينى .. وطالبوا الوزير بالعمل على ما سموه « بفض الاشتباك فى الأرض المحتلة » ..

نسالهم فى دهشة .. فض الاشتباك بين من ومن ؟.. بين قوات من وقوات من .. بين دبابات من ودبابات من ؟!

فردوا عليه « نحن شعب مناضل يقدم الشهداء والدم كل ساعة .. فالانتفاضة هى اشتباك شعبى ضد قوات الاحتلال .. »

من المتوقع اذن أن تتوقف الانتفاضة ولو خطوة خطوة مع كل شبر يطبق فيه الحكم الذاتى .. وربما استمرت فيما يسمى بالمناطق الأمنية .. وفى المستوطنات ..

ويرى كثير من الفلسطينيين خاصة فى الأرض المحتلة أن توقف الانتفاضة بعد الحكم الذاتى ضرورة ليتنفس الشعب الفلسطينى الصعداء

بعد ضحاياه الكثيرين ·· وبعد الخسائر الاقتصـــادية الهائلة من جراء الاضرابات شبه اليومية ··

والشعب الفلسطينى موجود لاستمرار النضال كما ترى سـلطته الوطنية التى ستكسب دعما عالميا بعد أن أصبحت شرعية ·· وأثبتت نواياها الجدية تجاه السلام ·· وعلى الجانب الأخر سيهدأ بال قطاعات عديدة من الشعب الاسرائيلى بعد أن تتوقف عملية المشاحنات والصدامات العسكرية بين الجنود والشعب الفلسطينى فالانتفاضة أثرت كثيرا فى اسرائيل نفسيا واقتصاديا أيضا :

لكن ماذا كان رد الفعل لدى الشعب الفلسطينى ؟ ··

يجمع المراقبون السياسيون على أن أغلبية الشعب الفلسطينى توافق على الاتفاق ·· وتتفاءل ولكن فى حذر لأن الناس لا يصدقون أنه من الممكن السماح بوجود سـلطة فلسـطينية فى الأرض المحتلة ·· وجلاء للقوات الاسرائيلية من كثرة ما عانوا من الاحتلال بأساليبه الخبيثة ·· ومعه اليأس والاحباط لطول الاحتلال وسلبية وأخطاء أغلب البلاد العربية ·

لكن الخطر يأتى اليوم من داخل صفوف طليعة الشعب الفلسطينى أى فرق المقاومة ·· سواء فى منظمة التحرير ·· أو خارجها ··

القوة المناوئة الرئيسية للاتفاقية هى حركة حماس ·· التى بدأت تطلق العبارات الحماسية مثل أرض فلسطين لن تكون سلعة رخيصة للمساومة ·· سنعلنها حربا لا هوادة حتى ترجع رايات الاسلام الخفاقة على مسرى النبى (يقصد القدس) ·

وأعلن عبد العزيز الرنتيسى زعيـم المبعدين أن الاتفـاق يمثـــل كارثة وان هذا اتفاق باطل ولا يلزم الأجيال المسلمة به ··

وموقف منظمة حماس مفهوم فهى أصـــلا من دعاة القضـاء على اسرائيل باعتبار أن اليهود أعداء الاسلام والانسانية وقتلة الأنبيـــاء ولا مكان لهم فى الدنيا ·· ولا حاجة للقول أن مثل هذا الكلام لا يتفق مع ظروف عالم اليوم ولو حاولنا تطبيقه ·· لحاربنا العالم كله ولو اضطر الى محو وجودنا بالقوة الذرية !! أى الهلاك المبين ··

من ناحية أخرى ان منظمة حماس تعرف أن البدء بغزة فى الحـــكم الذاتى سيؤدى الى تقليص نفوذها وابعادها عن مركز قوتها وسيطرة منظمة التحرير عليها ··

من ناحية أخرى أن أربع منظمات مقاومة فلسطينية عقدت مؤتمرا فى مخيم « مار الياس » واتهمت ياسر عرفات بالقيام بتنازلات « تفريطية » ٠ وهدد عدد من رجال منظمة فتح نفسها بالانشقاق وتشكيل « فتح » جديدة علاوة على « فتح » الانشقاق الأول فى سوريا ولبنان ! ٠

وصرح نايف حواتمة أن الاتفاقية مكيدة قذرة وستؤدى الى حرب اهلية !

وتحدث تيسير خالد عضو اللجنة التنفيذية عن المؤامرة والاستسلام أى أن القصـــة مستمرة ٠٠ نفس النهج السياسى المراهق الذى اتبعته عناصر قيادية فى منظمة التحرير ايام المرحوم انور السادات ٠٠ مما عاد على القضية الفلسطينية بكارثة ٠٠ يتكرر اليوم ٠٠ ولكن ضد قياديين آخرين على رأسهم ياسر عرفات الذى كان على راس المهاجمين للسادات ٠٠

هو يشرب من نفس الكأس ظلما أيضا كما شربها أنور الســـادات ظلما ٠٠ والسؤال الآن ٠٠

ماذا اذا حدث وتشابك الفلسطينيون جديا ٠٠ بحيث يتعطل تنفيذ الحكم الذاتى ؟ ٠٠ الذى لم يكن مفاجأة لأحد فكل الفصائل تعرف أنه يستحيل حل المشكلة الفلسطينية الا بفترة انتقالية يقوم خلالها حـــكم ذاتى ٠٠

اذا تعطل التنفيذ فقل على القضية الفلسطينية الســـلام ربع قرن جديد من الزمان ٠٠ وستزداد التضحيات التى يبذلها الشعب بينما ثوار الفنادق والمؤتمرات والكتابات والثرثرات يستمتعون ٠٠ وسينفض العالم عن تأييد القضية الفلســطينية فالفلسطينيون هم فى تلك الحالة الذين ارتدوا على أعقابهم وانتكسوا بالاتفاق ! ٠٠

وقد يحدث وضع آخر ٠٠ ينفذ الحكم الذاتى مع وجود مقـاومة ومقاومة قد تكون مسلحة من جانب بعض الفلسطينيين ٠٠ هنا سنجــد وضعا شاذا غريبا عبر عنه نسيم زحلى أمين عام حزب العمل ٠٠ عندما قال ان الجيش الاسرائيلى قد يرى نفسه مضـطرا لحمــاية عرفات فى أريحا ٠٠ باعتباره الزعيم الفلسطينى الوحيد المعترف به سياسيا ؟! ٠٠

ماذا عن رد الفعل فى اسرائيل ؟

ذهب اسحق رابين لافتتاح مدرستين بمناسبة بدء العام الدراسى الجديد فاستقبله آباء التلاميذ بالهتاف ضده كخـائن ٠٠ والقوا عليــه

البيض الفاسد ·· فاتسخت ملابسه ·· ومع أن أخر الاستفتاءات أكدت أن ٦٠٪ من الشعب الاسرائيلى يؤيد الاتفاقية · الا أن المعارضة الاسرائيلية قوية وشرسة فالاتفاق يضرب معتقداتها فى الصميم اذ تتكون من الليكود اليمينى المتعصب وبعض الأحزاب الدينية ·

وأخذت المبادرة للتحرك ضد الاتفاقية ودعت الى سحب الثقة من حكومة اسحق رابين ·

قال اسحق شامير : ان تنازلات رابين لم تخطر على باله قط ··

وأنذر نتنياهو الزعيم الجديد لليكود وهو فتى غاية فى التعصب والانغلاق والعنصرية مثل أى فاشى عريق ·· انه سيسقط اسحق رابين ·

واعتصم عدد من نواب الليكود فى المعبد اليهودى فى أريحا ·· وتظاهر آلاف أمام بيت اسحق رابين ··

وقالت جريدة معاريف اليمينية أن الاتفاقية خيانة ·· وعمل فظيع أصاب دولة اسرائيل ··

ووصفت الجيروزاليم بوست وهى يمينية باللغة الانجليزية أن الاتفاقية بمثابة هزة أرضية » ·

لكن لماذا هذا الموقف من المعارضة ·· وماذا نقول للشعب الاسرائيلى ؟

ـ ان منظمة التحرير الفلسطينية منظمة ارهابية فكيف يتم معها تفاوض سرى ·· ثم علنى ·· ثم اتفاق ؟ ··

ـ ان ادعاء المنظمة بأنها كفت عن الرغبة فى القضاء على اسرائيل كلام وهمى !

ـ ان المنظمة تهدف الى تصفية اسرائيل خطوة خطوة ·· وهى تريد مجرد موطىء قدم لممارسة تلك المهمة ·

ـ ان أريحا تقع على بعد نصف ساعة من القدس ·· كيف تأتى بعرفات أكبر ارهابى فى العالم ليقيم فيها حكومة ؟!

ـ غدا سيأتى عرفات ويتمشى فى القدس ·· ويتجمع الناس حوله وتنتعش آماله فى القضاء على دولة اسرائيل !!

مع ذلك فان قوى السلام بدأت تتحرك فى اسرائيل ·· ونظمت مظاهرات تؤيد الاتفاقية ·

وخرجت الصحف المعتدلة مثل « حداشوت » الليبرالية بعنوان

« الشعب يؤيدك » ‥ لأنك تقدم أهم ما يمكن لمسئول سياسى أن يقدمه وهو الأمـل ٠

يديعوت أحرونوت : « كان ممكنا لاسحق رابين أن يحذو حذو شامير ويضيع الوقت بانتظار وفاة ياسر عرفات أو قدوم المسيح ! ٠

جريدة دافار : أصبح لدينا من نفاوضه ‥ ان الاتفاقية محطة مهمة على طريق التعايش السلمى والسلام بين الشعبين ‥

ويتوقف توازن القوى فى اسرائيل على تطورات التفاهم بين المنظمة واسرائيل والعكس بالعكس ٠

ولكن لماذا المعارضة فى بعض الدول العربية للاتفاقية ؟

فى الأردن تحدث الملك حسين فى التليفزيون قائلا أن أحدا لم يستشر الأردن ‥ كما أنه من المفهوم أن يتم أى اتفاق مصيرى للفلسطينيين على أن يكون الأردن طرفا فيه ‥

وبدا فى البداية أن الأردن معارضا للاتفاقيـة ‥ وفسر بعـض المراقبين ذلك بأنه يرجع الى خوف الأردن من زيادة قوات اسرائيل المرابطة على الحدود الأردنية اذا ما أعيد توزيع تلك القوات ٠ كما أن الأردن يخشى من عملية الدمج بين غزة وأريحا من بدء هجرة « غزاوية » الى أرضه ٠ ولكن الأخطر منذلك هو خوف حـكومة الأردن من انتقـال النزاع المتوقع بين حماس ومنظمة التحرير فى الأرض المحتلة الى الأردن حيث يناصر الاخوان المسلمون حركة حماس ‥ التى لها وكلاء فى الأردن٠

وقالت المصادر الاسرائيلية فى القاهرة ان الشعور السـائد فى حكومة اسرائيل ان الأردن غاضب أيضا لأنه كان دائما يطرح شـعار الكونفدرالية بين الفلسطينيين والأردن ‥ مما يعنى عودة نفوذ الأردن من جديد على الضفة الغربية ‥ ولكن لأول مرة يحدث اتفاق اسرائيلى فلسطينى مباشر ‥ مما « يبشر » بذبول ذلك الشعار اذا ما توثقت العلاقة بين الطرفين الاسرائيلى والفلسطينى ٠ ولكن على أى حال لقد عاد ملك الأردن الى تأييد الاتفاق بل ووقعت بلاده على اتفاق مع اسرائيل ٠

من ناحية أخرى ان سوريا قد عبرت صحفها عن عدم رضى عن الاتفاق واعتبرته صحيفة تشرين مثلا « حلا جزئيا » ‥ وهاجمت جريدة البعث استمرار التواجد العسكرى فى مناطق الحكم الذاتى ‥

وواقع الأمر أنه ليس هناك مبرر للتخوف السورى فمن قبل كان قد قيل أن هناك قرب اتفاق بين اسرائيل وسوريا ‥ وأى تقدم بين اسرائيل وطرف عربى يفيد بقية الأطراف ٠

ويســود الدوائر الاسرائيلية فى تل أبيب كمـا قالت المصــادر الاسرائيلية فى القاهرة أن الحكومة السورية كانت تعتقد انها بايوائها لمنظمات فلسطينية عديدة تملك مفاتيح السلام فى المنطقة ٠

وقالت هذه المصادر أن عدد المنظمات فى سوريا حوالى ١٠٥ منظمة على أن الرئيس حسنى مبارك قد التقى بالرئيس السورى حافظ الأسد وكان الهدف من اللقاء تبديد أى مخاوف وكسب تأييد سوريا ولكن هذا التأييد لم يحدث ٠٠ وان كانت قد خفت حدة الهجوم والسوريون فى انتظار نتائج الجهود لنجاح المفاوضات بينهم وبين اسرائيل ٠

وقد أعرب بيريز عن دهشته من القلق العربى فى بعض البـلاد قائلا ألم يكن الجميع يقولون أن سـبب الصراع العربى الاسرائيلى هو المشكلة الفلسطينية ها نحن قد بدأنا فى حلها ! ٠ الا يفتح ذلك الباب لحل سائر المشاكل ؟

وهكذا فان اتفاقية غزة أريحا ٠٠ هى بداية عملية وثمرة واقعية لأول مرة فى مفاوضات متصلة مرهقة ٠٠ وستظل المفاوضات مرهقة بل أشد ارهاقا ٠٠ لكن يشجع على استمرارها دائما ٠٠ وصولنا الى ذلك الاتفاق ٠٠

ولابد أن نذكر هنا ٠٠ دور مصر ٠٠ ليس اليوم فقط ٠٠ بل منذ كامب ديفيد المرحوم أنور السادات ٠٠ الذى تثبت الأيام بعد نظره وقدرته على ادراك الظروف الذاتية والموضوعية ٠٠ ووضع التكتيك المناسب ٠٠ دون أوهام وأحلام ٠٠

ويقرر الجميع بأن حسنى مبارك ظل صامدا ٠٠ فى تأييده لقضـية الشعب الفلسطينى فى التوصل الى حل للنزاع العربى الاسرائيلى ولم يؤثر فى جهده تحرضات أو انكار للجميل أو حتى خروج عن حدود الأدب ٠٠أحيانا من البعض ٠٠

الرفض الاسرائيلى .. هو الأخطر ؟ !

ربما كان أهالى غزة هم أول من عرف بأنباء الاتفاقية حول غزة وأريحا ·· اذ قبل الاعلان عنه انتشرت شائعة فى المدينة ، بأن أبا مازن « محمود عباس » عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية اتصل ببعض الشخصيات فى غزة قائلا لهم : ابدأوا من الآن فى تحضير الناس لاتفاقية ستوقع قريبا مع اسرائيل ·· وبعد ذلك بيومين وزعت منشورات بطول وعرض القطاع تقول ان المسألة فى توقيع الاتفاق مسألة وقت ·

وبعد الاعلان عن الاتفاق ، امتلأت صدور أبناء الشعب الفلسطينى بالآمال والتفاؤل ، الى حد أن أحد المواطنين فى غزة قال أنه ينتوى شراء سيارة جديدة ·· ولكنه قرر تأجيل ذلك حتى تأتى السلطة الفلسطينية ، ليحصل على « لوحة ترخيص فلسطينية » ، وعلى الفور بعد توقيع الاتفاق·· أعلن أن اتفاقا آخر فى الطريق ·· وهو اتفاق الاعلان المتبادل بين المنظمة واسرائيـــل ··

والمعارضة الفلسطينية للاتفاقية ، معارضة قوية ·· فمنظمة التحرير تعتمد على قاعدة شعبية كبيرة فى قطاع غزة بالذات ، أفقر المناطق فى الأرض المحتلة ·· وأكثرها ازدحاما بالسكان (٧٥٠ ألف نسمة) منهم ٣٠٠ الف فى معسكرات اللاجئين ··

وفى غزة اندلعت أول شرارة للانتفاضة الفلسطينية ·· وهناك تاريخ طويل للاتجاه الاسلامى ، منذ ان كانت تحت الادارة المصرية ، فقد كان هناك تلاحم بين ذلك الاتجاه وجماعة الاخوان المسلمين المصرية ·· ومنظمة حماس لا تعترف بدولة اسرائيل ، بل تدعو علنا الى القضاء عليها ·· وترتب على هذا الموقف رفضها للمفاوضات مع اسرائيل ·

ويلتقى بالمعارضـــة الفلسطينية ، المعارضـــة الاسرائيلية ، داخل اسرائيل ، فهذه الاتفاقية التى تعنى بداية جدية الدخول فى تطبيق الحكم

الذاتى ٠٠ وهو الأمر الذى راوغت فيه تلك المعارضة طوال وجودها فى الحكم ، رغم اعلانها دوليا موافقتها عليه ٠٠ ذلك لأن الليكود وبعض الأحزاب الدينية تزعم جميعها أن الأرض المحتلة ، أرض اسرائيلية فى الأصل ٠٠ وخطتها تقضى بأن تكون موطنا لأقلية فلسطينية ، تحت السيطرة الاسرائيلية ، ضمن حدود اسرائيل الكبرى ٠ وهو أمر عارضه حزب العمل دائما اذ أكد زعماؤه أنهم لا يوافقون على أن تقوم اسرائيل ، على قاعدة من شعبين مختلفين : اليهود والعرب ، بل ان احتمال زيادة عدد السكان العرب عن عدد السكان اليهود ، وارد بحيث تذبل (يهودية) اسرائيل فى وقت ما !

والمعارضة الفلسطينية ٠٠ هاجمت الاتفاقية من زاوية أنها قد تكون طعما اسرائيليا ، لتجميد الحكم الذاتى فى منطقتى غزة وأريحا فقط ٠٠ واستبقاء باقى الأرض المحتلة تحت السيطرة الاسرائيلية ، حسب درجات المراوغة والتلاعب ٠

وردت منظمة التحرير على هذا بالقول ، ان البدء فى غزة وأريحا ، هو مجرد اختيار نموذج للتطبيق ، وسيكون فى اطار اعلان اتفاق على مبادىء ، وشروط اقامة الحكم الذاتى ومدته ، والجدول الزمنى اللازم للتطبيق ٠ وقد نشر فى صحف العالم والصحف العربية بالفعل ، مشروع هذا الاتفاق ٠

وبالتالى فان الحكم الذاتى سيطبق لمدة خمس سنوات ، كما هو معروف من قبل ، من أيام كامب ديفيد ٠٠ وستدور المفاوضات حول تحديد مستقبل الحل النهائى بدءا من العام الثالث لتطبيق ذلك الحكم ٠

ويثير معارضو الاتفاق الفلسطينيون ضجة كبرى ، حول مسألة أن الاتفاقية خلت من أى حديث حول القدس ٠٠ أو المستوطنات ٠٠ مع انه معروف جيدا أن هاتين المسألتين من المسائل الاستراتيجية الخاصة بالحل النهائى فى المرحلة التالية من المفاوضات ٠ ولم يكن يتصور فى العالم ، انه من الممكن التوصل للحل النهائى فى النزاع العربى الاسرائيلى الطويل الأمد والمعقد ٠٠ والمرتبط بظروف ومؤامرات دولية عديدة ٠٠ وبالوضع العربى من أول يوم ٠٠ بل كان مفهوما انه من الضرورى أن تكون هناك مرحلة انتقالية ٠٠ يقام فيها حكم ذاتى ٠

والخلاف دائما كان حول مدى هذا الحكم الذاتى ٠٠ وهل هو حكم ذاتى فعلا ، أم حكم ادارى ٠٠ كما كانت تصر اسرائيل دائما ؟ ٠٠ بمعنى أن تكون للادارة الفلسطينية السلطة على الأفراد وليس على الأرض، وينبنى على ذلك عدم السيطرة على المياه والكهرباء ٠

لكن اتفاق المبادىء عن الحكم الذاتى ، قد تفادى هذه المسألة ، بأنه أعطى للادارة الفلسطينية حق انشاء مؤسسة مياه ومؤسسة كهرباء ٠٠ واحتفظ لاسرائيل بالسياسة الخارجيـة والأمن ، أى المحافظة على أمن الاسرائيليين فى الأرض المحتلة ، مع اعادة انتشـار القوات الاسرائيلية خارج المناطق الماهولة بالسكان ٠

وسيكون للشرطة الفلسطينية دور فى المحافظة على الأمن ، حسبما ترى القيادة الفلسطينية ، من تأثيرات ضارة أو مفيدة على سير المفاوضات مع اسرائيل ، وحسب درجة بناء جسور الثقة بين الطرفين ، للتوصل الى حل نهائى مرض للطرفين ، وهذا الدور للشرطة الفلسطينية هو ما حدا بأحد قادة اللجنة الشعبية لتحرير فلسطين ، التى يتزعمها نايف حواتمة ، الى أن الزعم بأن منظمة التحرير ستصبح ذراعا اسرائيليا فى قمع الشعب الفلسطينى !!

لكن الخطر الحقيقى على الاتفـاقية يتمثل فى اسرائيـل نفسها ، فالمعارضة قوية وحكومة اسرائيل ليس لديها أغلبية فى الكنيست سوى صوت أو صوتان ٠٠ وفى رأينا أن نجاح هذه المعارضة فى الاطاحة بحكومة رابين وبالاتفاقية ، يتوقف كثيرا على المسلك الفلسطينى والعربى ٠

هدم هيكل « مقدسات » الليكود ؟ !

وأيضا من بين الحقائق والنتائج التى يفرضها اتفاق الاعتراف المتبادل بين منظمة التحرير الفلسطينية ·· واسرائيل ·· حقيقتان نعتقد أنهما أبرز ما تمخض عنه ذلك الاتفاق بالذات حتى الآن ·

الحقيقة الأولى ·· لا يمكن فهمها الا على ضوء تصريحات سابقة لمسئولين اسرائيليين على درجات متفاوتة من المسئولية ، وأبرزهم جولدا مائير ، التى كانت تتشدق دائما بأنه لا يوجد شعب اسمه « شعب فلسطين » ، وكان مناحم بيجن ينظر ذلك كما قال فى الاسماعيلية فى مؤتمر صحفى : « ان هناك فلسطينيين فى الأصل يهود ·· ثم تدين بعضهم بالدين الاسلامى والمسيحى ·

وانبنى على هذا الهيكل الفكرى حلم الليكود الصريح باقامة دولة اسرائيل الكبرى ·· التى تضم «يهودا والسامرا» ·· والعرب الفلسطينيون يعيشون فيها كأقلية ، كان الأفضل أن تعيش مع سائر أبناء الوطن العربى المتسع لهم وللايين غيرهم ! ··

اليوم تعترف اسرائيل بأن هناك شعبا فلسطينيا ، وأن لهذا الشعب قيادة شرعية معترف بها هى منظمة التحرير الفلسطينية · وأن بينها وبين اسرائيل قضايا يجرى التفاوض حولها للتوصل الى حل دون استخدام العنف ·

ويعنى هذا الاعتراف بشكل غير مباشر ، بوجود حركة وطنية فلسطينية ، تقودها منظمة التحرير الفلسطينية ·· تماما مثلما كانت جبهة التحرير الجزائرية التى كانت تقود نضال الشعب الجزائرى ، وتفاوضت معها الحكومة الفرنسية ، وكما يحدث حاليا فى جنوب أفريقيا حيث تعترف الأقلية البيضاء والعنصرية لأول مرة ، بأن الشعب الافريقى الأسود شعب يمثل الاغلبية ، وتمثله حركة تحرير منظمة المؤتمر الافريقى بقيادة نيلسون مانديلا ، وتجرى مفاوضات معه ·

وكذلك حدث نفس الشيء مع حركة تحرير ناميبيا ٠٠ وامبالا فى أنجولا ٠٠٠٠ وهـــكذا ٠٠

وأصبح الأمر بذلك خاضعا لقــانون تداعى رد الفعل المتسلسل ، فما عاد ممكنا انكار حق تقرير المصير للشعب الفلسطينى والأمانى القومية الفلسطينية فى كل العالم الثالث ٠٠ وفى العالم العربى ٠٠ ونعتقد أنه من كثير من قيادات حركات التحرير فى الماضى ، فقد اعترفت بها من قبل عدة دول من بينها دول كبيرة ، وسمحت لها بفتح سفارات عندها ٠٠ أو على الأقل مكاتب تمثيل من مستويات مختلفة ٠

ولا شك أن موقف هذه الدول الواقعى قد ساهم فى التوصل الى اتفاق الاعتراف الأخير ، بالمنظمة فقد كانت سباقة الى ذلك ٠

وسيساعد هذا الاعتراف أيضـا على تعزيز مكانة منظمـة التحرير الفاسطينية فى كل العالم الثالث ٠٠ وفى العالم العربى ٠٠ ونعتقد أنه بدأ يساهم فى التمهيد لتصفية الخـــلافات بين المنظمـة وبعض الجهات العربية بدليل هذه الاتصالات واللقاءات بين قادة المنظمة وكبار المسئولين فى دول الخليج بالذات ٠

كما أنه سيساهم فى تدعيم وحدة الصف الفلسطينى نفسه ٠٠ أو سيضع الجمـاعات والفرق الانشقاقية فى مأزق ٠٠ ولذلك فان الحكمة ومصلحة الشعب الفلسطينى تقتضى تعاون الفرق الفلسطينية جميعا ، ويا ليت ما صرح به عبد العزيز الرنتيسى المتحدث باسم مجموعة حماس المنفية من الأراضى المحتلة ٠٠ وهو يودع الفريق الذى سمحت له اسرائيل بالعودة ٠٠ وهو أننا بالتأكيد لا نعود لأرض الوطن ليتعارك الفلسطينى مع الفلسطينى ٠٠ نقول يا ليت هـذا يكون قاعدة تلتزم بها كل الجماعات الفلسطينية مهما حدث بينها وبين بعضها البعض من خلاف وأن تكون كل تلك التهديدات مجرد كلام فى الهواء يدرك الجميع أن التناحر لن يفيد الا اسرائيل ٠

أما **الحقيقة الثانية** ٠٠ فانه ثبت ما قلناه أثناء تغطيتنا للانتخابات الاسرائيلية من أن هناك تغييرا متوقعا فى السياسة الاسرائيلية تجاه قضية النزاع العربى الاسرائيلى ٠

ورفضنا المنهج السطحى القائل بأنهم « كلهم اسرائيليون » والمسألة مسألة توزيع أدوار ٠٠ الخ ٠ تلك التصورات التى جعلت كثيرا من العرب لا يفهمون حقيقة العدو الذى يواجهونه ٠

ان نتائج الانتخابات الاسرائيلية التى جاءت بحزب العمل وحلفائه الى السلطة ، كانت أشبه باستفتاء للشعب الاسرائيلى أنه يريد السلام ٠٠

لقد حطم حزب العمل « مقدسات » كانت عند الليكود لم يكن يحيد عنها قط ، بل ولم يبد أى مرونة تجاهها •

لقد كان الليكود يرفض مجرد مناقشة فكرة احتمال الانسحاب الاسرائيلى من الجولان •• لقد ضمها تحت سيطرة القانون الاسرائيلى الى غير رجعة فى تصوره هو •

ولكن حزب العمل تحدث عن امكانية الجلاء عن الجولان ، مرة جزئيا ومرة كليا •• مقابل اتفاق سلام شامل •• وكل هذا يمهد الرأى العام لاتفاق من نوع ما حول ذلك الانسحاب مع السوريين •

لقد كان الليكود يرفض تماما وضع حد لبناء المستوطنات ، فجاء حزب العمل ووضع حدودا وتصنيفات •• صحيح أنها لم تتفق مع ما يطلبه العرب ، لكنه حد من بنائها ومن الميزانيات المرصودة لها ، وهذا يجعل احتمال وقفها تماما أمرا ممكنا •• بل وتدبير وسيلة ما للتخلص منها فى الاتفاق النهائى •

ولكن أخطر « المقدسات » الليكودية التى حطمها حزب العمل ، هى العلاقة مع منظمة التحرير الفلسطينية • كان الليكود يرفض تماما أى فكرة للاعتراف بها •• بل سن قوانين لمعاقبة من يتصل بها من الاسرائيليين والفلسطينيين •• وقدم بعض السياسيين الاسرائيليين الذين اتصلوا بها للمحاكمة وعلى رأسهم لطيف دورى أحد قادة المابام البارزين •

لقد فتح رابين الباب للاعتراف بالمنظمة •• فألغى القانون الذى يحرم الاتصال بها •• ثم يتبع ذلك اتصالات كالسيل معها من اسرائيليين وفلسطينيين •

بل اتصل بها وفد المفاوضات الفلسطينى •

ثم اتصالات سرية بين الحكومة وبينها •

وانتهى الأمر فى النهاية ، بالاعتراف بالمنظمة •• واعتراف المنظمة باسرائيل • وبالتالى سقطت أسطورة أن المنظمة منظمة ارهابية •• وليس غريبا أن نجد ياسر عرفات يجتمع باسحق رابين فى تل أبيب ويوقعان اتفاقات جديدة ، أو على الأقل يتفاوضان حول مسائل صعبة فى المستقبل•

ويفتح هذا الاعتراف المتبادل الباب لاقامة علاقات صحية بين المنظمة والولايات المتحدة •• وأى دولة أخرى لم تعترف بها •• وقد بدأ ذلك فعلا ويتحدثون اليوم عن سفير فلسطين للحكم الذاتى الفلسطينى فى واشنطن ؟!

لقد أصبح المتخاصمون وجها لوجه ٠٠ يتباحثون لحل مشاكلهم ٠٠ وهذا سيساعد من أمر المفاوضات للحل النهائى ٠٠ ما داموا قد بدءوا التفاوض حول الحل المرحلى من الآن ٠ سيتعود الطرفان على بعضهما البعض ، ويدركان نقاط وأساليب التفاهم ٠٠

وستكون المفاوضات شاقة وصعبة جدا ٠٠ لأن الطرف الاسرائيلى سيحاول دائما انتزاع أكبر مكاسب من الطرف الفلسطينى ٠

وفى تقديرنا أن أهم ما سيحاول الحصول عليه مزيدا من الأرض٠٠ بمعنى أنه سيحاول المراوغة لعدم العودة لحدود ما قبل ١٩٦٧ ٠

ونعتقد أن هذه القضية عند الطرف الاسرائيلى ، أهم من حق تقرير المصير للشعب الفلسطينى ٠

ففى رأى أغلب المراقبين السياسيين ، أنه بعد ذلك الاعتراف المتبادل ٠٠ لم تعد هذه مشكلة ٠٠ وسيحصل الفلسطينيون على حقهم فى اقامة دولة ٠٠ مع حثهم على الالتحام بالأردن أو اسرائيل أو الاثنين معا ٠٠ حسب تصوراتى للتعاون الاقتصادى المقبل !

لكن المشكلة ستكون الأرض ٠٠ وستساوم اسرائيل على الممر الذى ستعطيه للدولة الجديدة بين الضفة الغربية وغزة ٠٠ من أجل اقتطاع مساحات أرض تضمها اليها ٠

كما أن مسألة المستوطنات ، حيث يقيم ١٠٠ ألف اسرائيلى ستكون قضية مهمة وصعبة جدا ٠٠ وستكون ضمن مشكلة الأرض ٠

أما القدس ٠٠ فقضية أخرى غاية فى الصعوبة ٠

لكن الأمر كله يتوقف على نمو علاقات الثقة والتعايش خلال الحكم الذاتى ٠

ومن هنا فان المهم الآن ٠٠ أن يتحقق الحكم الذاتى على أسس مواتية للشعب الفلسطينى ، الذى ستحكمه منظمة التحرير فى الداخل والخارج٠٠ وتبدأ تجربة التعايش مع اسرائيل ٠٠ جيشها قبل شعبها !! لأن الجيش سيكون فى فترة الحكم الذاتى هو السلطة العليا هناك ٠

وايران أيضا :

واذا كان الخطر يأتى من احتمال نجاح المعارضة الاسرائيلية فى قلب المائدة على اسرائيل على الاتفاق ٠٠ فان أى تحرك طائش من قبل المعارضين للاتفاقية خصوصا من جانب منظمة حماس فانه سيكون مساعدة مباشرة لمثل هذه المعارضة المتعصبة ٠

والواقع أن حماس تمثل النفوذ الايرانى فى المنطقة ‥ وقد بدأ قادة ايران فى الهجوم على الاتفاقية حتى أن خامينى ورافسنجانى قد وصفا عرفات بأنه خائن ولا يعتبر ممثلا للشعب الفلسطينى ٠

وايران تعرف جيدا أن نجاح الاسرائيليين والفلسطينيين ومعهم سائر الدول العربية فى عقد اتفاقية سـلام عادل دائم ـ فان ذلك سيؤدى بالضرورة الى انحسار النفوذ الايرانى من المنطقة ‥

فقد كان مدخل ايران بعد ثورة الخمينى الى العالم العربى من قضية فلسطين والاحتلال الاسرائيلى لأراض عربية ‥

فاذا ما انتهت تلك المشكلة فلن يكون لها مبرر للتواجد أو النفوذ اللهم الا بدعوى تمثيل التيار الاسـلامى السـياسى والدعاية لوصـوله للحكم ‥ وهذه قضية تستطيع أن تواجهها الحركة الديمقراطية والليبرالية العربية وتتكتل ضدها حتى قوى من قوى اليمين فى العالم العربى ٠

فالتدخل الايرانى فى شئون المنطقة حتى الآن مغلف بنكهة معادية للصهيونية والاحتلال الاسرائيلى ‥ الخ ‥ فاذا ما انتهى ذلك سقطت الاقنعـة ‥ وأية أقنعـة أخرى قد تستجد أسهل فى المواجهة من قناع القضية الوطنية والدفاع عن الاستقلال الوطنى !

نماذج ومقارنات

ومن سيل ما كتبته الصحف والوكالات العالمية حول الاتفاق اخترنا ٠٠ ثلاثة نماذج ٠٠ كى يستطيع القارىء الاحاطة بالموقف من كل جوانبه ٠٠

النموذج الأول ٠٠ مقال لسفير مصر السابق فى موسكو الأستاذ صلاح بسيونى وهو ليس سفيرا فقط انما مثقف سياسى بارع ويلعب دورا نشيطا فى حركة التنوير السياسية الليبرالية فى مصر ٠

وقد كتب مقالا بعنوان البعد الآخر للاتفاق الفلسطينى الاسرائيلى ٠٠ فى جريدة العالم اليوم فى ٢ سبتمبر ١٩٩٣ ٠

النموذج الثانى تقرير لوكالة رويتر صدر فى ١٥ سبتمبر ١٩٩٣ تحت عنوان مصر تفتخر بأنها سبقت العرب الى السلام بأربعة عشر عاما ٠٠

والنموذج الثالث مقتطفات من تقرير نشرته جريدة الشرق القطرية بعنوان ١٥ عاما بين كامب ديفيد ـ وغزة أريحا ٠٠

البعد الآخر ٠٠

للاتفاق الفلسطينى ـ الاسرائيلى ٠٠

الملاحظ أنه منذ أن أعلن عن الاتفاق الاسرائيلى ـ الفلسطينى تتوالى التصريحات الفلسطينية من جانب الرئيس الفلسطينى ياسر عرفات وغيره من المسئولين السياسيين فى المنظمة حول تفسير هذا الاتفاق وجميعها تصريحات محورها الدفاع عن الاتفاق والتأكيد على أنه لا يخل على أية صورة بالحقوق الوطنية والسياسية الفلسطينية والواقع أن هذه التفسيرات تدور أساسا حول :

— ان اتفاق غزة ـ اريحا هو اتفاق اعلان مبادىء واحد ملاحقه هو الانسحاب الاسرائيلى من غزة واريحا ويعنى ذلك ـ طبقا

لأبى عمار – أن الجانب الفلسطينى نجح فى أن تدخل غزة وأريحا فى الحل النهائى منذ بداية الحل المرحلى ٠

— ان خطوة انسحاب اسرائيل من غزة وأريحا تعتبر خطوة عملية تمهيدية لتنفيذ القرارين ٢٤٢ ، ٣٣٨ لمجلس الأمن ، وبالتالى تشكل بداية انسحاب القوات الاسرائيلية من بقية الضفة الغربية والقدس ٠

— ان الاتفاق يتضمن اقرارا للمرة الأولى بالحقوق السياسية المشروعة للشعب الفلسطينى ، وان الجانب الفلسطينى يرى أن الانتخابات التى ستتم لانتخاب المجلس المؤقت فى واقع الأمر ممارسة لحق تقرير المصير ٠

— الاتفاق يتضمن ربطا واضحا – زمنيا وعضويا – بين المرحلتين الانتقالية والنهائية ٠

— هناك التزام اسرائيلى – لأول مرة – بالتفاوض فى المرحلة النهائية على مواضيع القدس واللاجئين والحدود والترتيبات الأمنية والمستوطنات والعلاقة مع الجيران ٠

— قبول اسرائيل التفاوض حول القدس الشرقية يعنى اعترافا ضمنيا وغير مباشر بعدم شرعية ضمها فى ١٩٦٧ ، كما أن هناك النص الصريح على مشاركة أهالى القدس فى الانتخابات وهو ما يعنى التصويت والترشيح ٠

— يسجل الاتفاق بوضوح وحدة التراب الفلسطينى فى الضفة والقطاع، فهو ينص على أن الولاية الجغرافية تشمل هذه الأراضى باعتبارها وحدة اقليمية وان كانت تستثنى مؤقتا حتى المرحلة النهائية المستوطنات والقدس وفى هذا الاطار تقر اسرائيل بأن المجلس المؤقت له سلطة على الشعب والأرض ويتمتع بصلاحيات تشريعية وجهاز قضائى ٠

— يفتح هذا الاتفاق الباب أمام عودة القيادة السياسية للارض ٠

— رغم ان عودة لاجئى ١٩٤٨ مؤجل البحث فيها ، الا أن مبدأ العودة تم اقراره بالنسبة للاجئى ١٩٦٧ ٠

— ان هذا الاتفاق ليس حلا منفردا لأنه يتم فى اطار العملية التفاوضية الجارية مع كل الأطراف العربية فى واشنطن ثم انه ليس حلا فى حد ذاته بل اتفاقا يتبعه الحل ٠ وما تقدم فى تقديرى أهم ما تقدمه منظمة التحرير الفلسطينية من تفسيرات محددة حول ما يثار من

انتقادات واعتراضات وبالطبع لا يجب أن تؤخذ التفسيرات كما هى ، لأنها تعكس الفهم الفلسطينى ولكنها لا تعبر بالضرورة عن الفهم الاسرائيلى لهذا البند أو ذاك وهذا أمر طبيعى بالنسبة لمثل هذا الاتفاق اذا وضعنا فى الاعتبار الخلفية السياسية والتاريخية لكل طرف ثم الحاجة الى مواجهة المعارضة سواء بين الفلسطينيين أو الاسرائيليين ولكن أهم ما يجب أن نشير اليه هو أن الاتفاق يعكس حقيقة مهمة وهى أن هناك « تفاهما » فلسطينيا ـ اسرائيليا وان هذا التفاهم لابد أن يكون قد تم بناؤه على تصورات مستقبلية للعلاقة بين الطرفين • وبالطبع فانه ليس من المنتظر أن يتم الكشف عن مثل هذه التصورات بصورة محددة فى الوقت الحاضر ، ولكن ذلك لايمنع من القول بأن هذه التصورات والتى كشف عنها شيمون بيريز تدور حول مستقبل الشرق الأوسط فى اطار السلام ، وهنا يبرز بالطبع الدور الفلسطينى المحورى سواء بالنسبة لعلاقته مع اسرائيل أو فى اطار كونفيدرالية مع الأردن ، أو بالنسبة لعلاقاته مع بقية الدول العربية • ولا شك أن فلسطين المستقلة مهيأة لهذا الدور وقادرة على أن تلعبه باقتدار عند هذه النقطة نستطيع أن نقرر أن النجاح فى تنفيذ الاتفاق مع اسرائيل يرتبط ارتباطا مباشرا بمستقبل الدور السياسى والاقتصادى الفلسطينى فى المنطقة ، فهناك مصلحة أساسية لاسرائيل فى ذلك وبالتالى ليس لها مصلحة فى أن تضع صعوبات فى عملية الانتقال مع الأوضاع التى يرتبها الاتفاق الى أوضاع المرحلة النهائية التى تسمح لدولة فلسطين أن يكون لها دورها فى المنطقة •

لعل ما تقدم يضيف تفسيرا الى الموقف الحالى ويوضح حجم التفاؤل الكبير لدى كل من المنظمة والحكومة الاسرائيلية بالنسبة لتنفيذ الاتفاق ولذلك فان قضية تبادل الاعتراف السياسى بين الطرفين تكتسب أهمية خاصة بل وأصبحت ملحة قبل أن يتم التوقيع الرسمى باعتبار أنها تشكل قاعدة التعامل بينهما خلال مراحل تنفيذ الاتفاق وتتوافق مع التصور الذى أشرنا اليه •

واذا قمنا بضم هذه التفسيرات الى بعضها وتجاهلنا القلق والمخاوف والمعارضة فى الجانب الفلسطينى والعربى أو الجانب الاسرائيلى وهى أمور طبيعية ومتوقعة فى هذه الظروف فانه يمكن أن تكون الصورة أوضح بالنسبة للمستقبل والمهم بل والحيوى بالنسبة لنا كعرب أن نتعامل مع الموقف الجديد بواقعية وحكمة لأن من أخطر الأمور عدم مساندة الفلسطينيين سياسيا وماديا فى هذه المرحلة وبحيث يستطيعون توظيف دورهم على النحو الذى لا يتعارض مع مصلحة هذه

(ز) ان الفلسطينيين رفضوا بالاجماع مقترحات الحكم الذاتى الفلسطينى فى الضفة الغربية وقطاع غزة التى تضمنتها اتفاقيات كامب ديفيد لعام ١٩٧٨ على أمل أن بمرور الوقت فانهم قد يمكنهم الحصــول على صفقة أفضل وبالنسبة لمعظم العرب فان كلمتى «كامب ديفيد » كانتا رمزا للخزى وبعد ١٥ عاما من اراقة الدماء وبعد أن دمرت اسرائيل القوة العسكرية لمنظمة التحرير فى لبنان عام ١٩٨٢ وبعد خمس سنوات من فشل الانتفاضة الفلسطينية فى طرد اسرائيل من الأراضى المحتلة فانهم حلوها حلا وسطا ٠

(ح) ان كثيرا من المصريين الذين أغضبهم مقاطعــة العــالم العــربى لهم فى ذلك الوقت يشعرون بالفرحة وينتقدون الفلسطينيين والعرب لانتظارهم كل هذا الوقت ٠

(ط) ان مهندسا مصريا اسمه عبد النبى على قال « الفلسطينيون وصفونا بأننا خونة وعندما أرادوا أن يقيموا سلاما جاءوا الى مصر طلبا للمساعدة فالسادات أدرك ببصيرته ما لم يتمكن جميع العــرب من ادراكه وها هم الآن جميعا يفعلون ما دعا اليه ٠

(ى) ان وسائل الاعلام المصرية الرسمية ذكرت أمس أن الولايات المتحدة والفلسطينيين واسرائيل يقدرون دور مصر الرئيسى ووســـاطتها النشطة فى المساعدة فى ايجاد الاتفاق بين اسرائيل ومنظمة التحرير وأعربت فى الوقت نفسه عن شعورها بالغضب وخيبة الأمل لعــدم قيام أى من الموقعين على الاتفاق بتوجيه أى اشارة لمصر فى كلماتهم فى حفل التوقيع وقال ابراهيم نافع رئيس تحرير صحيفة الأهــرام فى مقال الأفراح والاحتفالات وهى بلادنا العزيزة مصر ورئيسنا المكافح حسنى مبارك ٠٠ وأضاف قوله : لقد نسوا مصر للاسف ٠٠ نسوا حسنى مبارك الذى لا يكل ولا يمل من العمل لتحقيق السلام العادل للفلسطينيين وكل شعوب المنطقة والذى لولا تمسكه بطريق السلام الذى حفره السادات ، ولولا اصراره عليه طوال الســنوات الماضية ولولا جهوده المتصلة مع كل الأطراف لما توصل المجتمعون فى حديقة البيت الأبيض الى ما يفخرون به الآن ٠

(ك) انه بصرف النظر عن ذلك فان محللين قالوا ان الاتفاق بين منظمة التحرير واسرائيل أراح مصر من القيود التي اتسمت بها روابطها حتى الآن مع اسرائيل ٠

الدولة العـــربية او الأخرى ولو لم يفعـــل العرب ذلك منذ الآن ، فلـن يلوموا غير أنفسهم ٠

تقرير وكالة رويتر :

(ا) ان المصريين الذين كان العرب قد قاطعوهم لتوقيعهم معاهدة سلام مع اسرائيل يشعرون بالفخر لأنهم سبقوا جيرانهم الى السلام مـع اسرائيل بأربعة عشر عاما ٠

(ب) ان الساسة والمثقفين وحتى رجل الشارع المصرى يشعرون بأن مصر كانت محقة فى توقيع معاهدة السلام مع اسرائيل فى عـام ١٩٧٩ وان اخوانهم العرب والفلسطينيين اخطأوا برفضهم اياها ٠

(ج) انه حتى يوم ١٣ سبتمبر عندما صافح ياسر عرفات اسـحق رابين بعد التوقيع على اتفاق لحكم ذاتى فلسطينى فى الضفة الغـربية وقطاع غزة المحتلين فان بعض المصريين كانوا يتحفظون فى الحديث عن الســـلام بينهم وبين اسرائيل لكن الآن فان مشاعرهم تبدلت وأصبحوا يفتخرون بأنهـم تزعموا مسيرة الســلام فى الشرق الأوسط ٠

(د) ان الصحفى المصرى سـلامة احمد سـلامة قال لرويتر « تخيلى لو أن مصر انتظرت حتى الآن ٠٠ ما تحقق منذ ١٤ عاما أكبر بكثير مما لو كـانت مصر قد وقعت فى نفس الخطـأ الذى وقـع فيه الفلسطينيون وهو الانتظار لو كنا قد انتظرنا ما كنا قد استعدنا ارضنا بالكامل ولكنا لا زلنا نسـاوم ٠

(هـ) ان الرئيس المصرى حسنى مبارك الذى قاطعت الدول العـــربية بلاده تسع سنوات بسبب اقامتها سلام مع اسرائيل استغل التوقيع على الاتفـاق بين منظمة التحـرير واسرائيل لتفكيـر العـرب والفلسطينيين بدور مصر الرئيسى فى اقامة السلام وقال أن سلفه الرئيس الراحل انور السادات الذى كان أول زعيم عربى يصـافح علنا زعيما اسرائيليا كانت لديه بصيرة السلام وان الزعماء العرب الآخرين تباطؤا ٠

(و) ان محمد عبد المنعم السكرتير الصحفى للرئيس المصرى قال لرويتر « اخيرا اثبتنا اننا كنا على حـق ٠٠ مصر كانت على حـق ٠٠ السادات كان على حق والفلسطينيون فعلوا الشيء الذى نصحنا به منذ ١٤ عام » ٠

(ل) ان مسئولين مصريين قالوا ان ١٤ عاما من السلام بين مصر واسرائيل لا تزال فى حاجة الى أن تتوج بتطبيع كامل للعلاقات وتعاون اقتصادى أقوى ٠

وقال مسئول لا يوجد تطبيع كامل للعلاقات لأن المصريين لهم مصالح فى العالم العربى أكثر من اسرائيل ولكن الآن ومع سير الفلسطينيين والعرب الآخرين قدما على طريق السلام فان الأمور ستتغير كثيرا ٠

تقرير جريدة الشرق القطرية

١٥ عاما بين كامب ديفيد وغزة وأريحا

لقد رفض الفلسطينيون فى عام ١٩٧٨ كل ما جاء فى اتفاقية كامب ديفيد ووصفوها بأنها مؤامرة على القضية الفلسطينية التى هى لب الصراع العربى الاسرائيلى وتتخطى بمضمونها الشرعية الدولية بصورة فاضحة ورأوا أن الاطار الذى وقعت فيه هذه الاتفاقية يتعارض نصا وروحا مع قرارى مجلس الأمن ٣٣٨ ، ٢٤٢ اللذين أعطيا الأمم المتحدة والاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الدور الاهم فى التوصل الى تسوية عن طريق ما عرف بصيغة جنيف وقالوا ان ما تم التوصل اليه فى كامب ديفيد يلغى عمليا قرارات الأمم المتحدة ولا سيما تلك التى تتعلق بحقوق الشعب الفلسطينى وأراضيه المحتلة ٠

وقبل اجراء هذه المقارنة نود هنا الاشارة الى الأسباب التى دفعت الفلسطينيين الى رفض اتفاق كامب ديفيد حيث رأوا أن الاتفاق يلبى المطالب الاسرائيلية بأن تكون المبادىء التى أرساها الاتفاق أساسا للتفاوض المرتجى بين اسرائيل والأطراف العربية الأخرى ويعمل على تحقيق مبدأ الاعتراف الكامل والغاء المقاطعة الاقتصادية ٠

ويرى الفلسطينيون كذلك أن وثيقة كامب ديفيد لم تأت على ذكر الشعب الفلسطينى الا فى جملتين فقط وركزت على سكان الضفة والقطاع أو فلسطينى المنطقتين وتمنحهم حق الحكم الذاتى لا أكثر ٠٠ كما أن الوثيقة استبعدت منظمة التحرير من أى دور فى التسوية ٠ كذلك فان الوثيقة لم تشر الى حق تقرير المصير للشعب الفلسطينى الذى اعترفت به الجماعة الدولية ممثلة بصورة الى حق الفلسطينيين المطرودين من ديارهم فى العودة دون قيود ٠ كما أن الوثيقة ربطت مستقبل الضفة والقطاع بموافقة الأردن على الاشتراك فى المفاوضات المقترحة فى ذلك الوقت ٠

لذلك كان لابد من اعادة قراءة لما جاء فى نصوص اتفاقية كامب ديفيد وان كان البعض يرى أنها (قراءة فى الممنوع) واجراء المقارنة بينها وبين ما جاء فى اتفاق غزة اريحا للوقوف على حساب الخسائر والأرباح التى احتوتها الاتفاقيتان ٠

ما قبل كامب ديفيد

فى التاسع من شهر نوفمبر عام ١٩٧٧ ألقى الرئيس المصرى الراحل أنور السادات خطابا أمام مجلس الشعب المصرى أعلن فيه استعداده لزيارة اسرائيل والقاء خطاب أمام الكنيست والتحدث مع المسئولين الاسرائيليين لايجاد تسوية عادلة وشاملة لازمة الشرق الأوسط وبعد ذلك بيومين فقط أعلن مناحم بيجين رئيس وزراء اسرائيل فى ذلك الوقت ترحيبه بمبادرة السادات ووجه اليه عن طريق السفارة الأمريكية دعوة رسمية لزيارة اسرائيل وفى الفترة من ١٩ ـ ٢١ نوفمبر ١٩٧٧ قام الرئيس السادات بزيارة الى القدس المحتلة حيث ألقى أمام الكنيست خطابا عرض فيه وجهة نظره فى الصراع العربى ـ الاسرائيلى وضمنه ببعض اقتراحات لتسوية هذا النزاع من خلال الأسس التالية :

١ ـ استبعاد فكرة الحرب كوسيلة لحل الصراع العربى الاسرائيلى والتعبير عن رغبة الشعب المصرى فى السلام وصدق نيته فى تحقيقه واعترافه بوجود اسرائيل وقبولها فى المنطقة فى ظل سلام عادل ودائم ٠

٢ ـ ابداء الاستعداد لتقديم كافة الضمانات المطلوبة لتحقيق أمن اسرائيل على أن تكون هذه الضمانات متبادلة ٠

٣ ـ تأييد ضرورة الانسحاب الاسرائيلى من كافة الأراضى العربية المحتلة عام ١٩٦٧ بما فى ذلك القدس العربية والاعتراف بالشعب الفلسطينى وحقوقه فى العودة واقامة دولته ٠

المؤتمر التحضيرى :

وفى أعقاب اختتام الزيارة بأسبوع واحد أى فى يوم ٢٦ نوفمبر عام ١٩٧٧ تم الاتفاق على عقد مؤتمر تحضيرى فى القاهرة فى فندق مينا هاوس الشهير لتسوية المسائل الاجرائية ووضع أسس الحلول المرتقبة ووجهت مصر الدعوات الى كل من اسرائيل والأردن وسوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية ولبنان بالاضافة الى الأمم المتحدة والاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة لحضور المؤتمر التحضيرى فى ١٤ ديسمبر عام ١٩٧٧

ولكن من شاركوا فى المؤتمر كانوا مصر واسرائيل والولايات المتحدة والأمم المتحدة بينما رفضت بقية الأطراف العربية والاتحاد السوفييتى الحضور وخلال المؤتمر الذى عقد تحت علم الامم المتحدة • وقد حدد الوفد المصرى موضوعات البحث فى النقاط الخمس التالية :

١ ـ انسحاب اسرائيل الكامل من الأراضى العربية المحتلة بعد عام ١٩٦٧ •

٢ ـ اعتبار القضية الفلسطينية جوهر الصراع فى الشرق الأوسط وترتيب السلام الدائم مع حل هذه القضية باعادة الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى بما فيها حقه فى اقامة دولته •

٣ ـ أن يكون الحل الشامل هو الاطار العام للمباحثات •

٤ ـ ايجاد تصور مشترك يكفل الأمن لكل الأطراف •

٥ ـ العمل على سير خطوات المؤتمر بالمرونة التى تتيح انضمام أى أطراف فى أية مرحلة من مراحل المؤتمر وبالقدر الذى يسمح برفع مستوى التمثيل فيه اذا ما اقتضت الظروف ذلك •

وقد ظهر من سير المحادثات التى تمت على مستوى المندوبين المفوضين أن ثمة خلافا أساسيا بين الطرفين حول جدول الأعمال الذى ترك مفتوحا أصلا •• فمصر اقترحت أن يتضمن الانسحاب والقضية الفلسطينية وطبيعة السلام ومكوناته •• أما اسرائيل فطالبت أن يتركز البحث حول طبيعة السلام من خلال نصوص مقترحة لاتفاقية سلام بين اسرائيل ومصر •• وقد أدى هذا الخلاف الى تجميد أعمال المؤتمر بعد أن أعلن عن اتفاق لعقد لقاء فى مصر بين السادات وبيجن •• وفى هذا الاطار قام وزير الدفاع الاسرائيلى عيزرا وايزمان بزيارة خاطفة لمصر قبل نهاية عام ١٩٧٧ بعشرة أيام أجرى خلالها مباحثات مع السادات ووزير الدفاع المصرى •

وفى ٢٥ ديسمبر عام ١٩٧٧ تم اللقاء بين السادات وبيجن فى الاسماعيلية وفى هذا اللقاء طرح بيجن مشروعه للتسوية رسميا أمام الكنيست فى ١٩٧٧/١٢/٢٨ وينقسم الى جزءين الأول يتعلق بمستقبل الضفة الغربية وقطاع غزة ويشمل الثانى قواعد التسوية مع مصر •

ويقترح المشروع فى جزئه الأول تشكيل حكم ذاتى ادارى لسكان الضفة الغربية وقطاع غزة يشترك فيه العرب على الأسس التالية :

١ ـ الغاء الحكم العسكري الاسرائيلي في الضفة الغربية وقطاع غزة •

٢ ـ اقامة حكم ذاتى ادارى ٠

٣ ـ انتخاب سكان تلك المناطق مجلسا اداريا من ١١ عضوا يعمل بموجب المبادىء المحددة فى الوثيقة ٠ وبالنسبة للقدس تنص وثيقة بيجن على أنه فيما يتعلق بادارة الأماكن المقدسة للديانات الثلاث فى القدس يعد ويقدم اقتراحا يضمن حرية وصول أبناء جميع الديانات الى الأماكن المقدسة الخاصة بهم ٠

الخلافات كانت مريرة

وبعد خلافات مريرة بين وجهتى النظر المصرية والاسرائيلية حول قواعد التسوية وتوقف أعمال مؤتمر القاهرة وفشل اللجنتين السياسية والعسكرية بين الجانبين فى التوصل الى قرار مشترك قام الفريد أثرتون مساعد وزير الخارجية الأمريكية انذاك بجولات مكوكية بين القاهرة والقدس المحتلة لحث الطرفين على استئناف المفاوضات وقام الرئيس الأمريكى الأسبق جيمى كارتر بتوجيه دعوة للرئيس السادات لزيارة واشنطن ٠ وهو ما تم بالفعل وساعد ذلك على اعادة استئناف المفاوضات الى أن تم عقد مؤتمر ليدز فى بريطانيا فى ١٨ يوليو عام ١٩٧٨ لكن لم يتمخض عن النتائج المرجوة حتى قرر كارتر توجيه الدعوة الى قمة ثلاثية تضم كارتر والسادات وبيجن وتعقد فى الخامس من سبتمبر عام ١٩٧٨ كمحاولة أخيرة للتوصل الى حل الأزمة فكان مؤتمر كامب ديفيد وما يهمنا فى مجال هذه الدراسة هو ما يخص الجانب الفلسطينى فى هذه الاتفاقية والمقارنة بينها وبين اتفاق غزة أريحا ٠

كامب ديفيد والقضية الفلسطينية

بعد ديباجة طويلة تضمنتها اتفاقية كامب ديفيد الموقعة بين الرئيس المصرى الراحل أنور السادات ورئيس الوزراء الاسرائيلى فى ذلك الوقت مناحم بيجن والرئيس الأمريكى الأسبق جيمى كارتر أكدت فيها الاطراف الثلاثة أن البحث عن السلام فى الشرق الاوسط يجب أن يقوم على قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ بكل أجزائه وأن شعوب الشرق الأوسط تتشوق الى السلام حتى يصبح ممكنا تحويل موارد الاقليم البشرية والطبيعية الشاسعة لمتابعة أهداف السلام وتصبح هذه المنطقة نموذجا للتعايش والتعاون بين الأمم ٠

تضمنت الاتفاقية وثيقتين اساسيتين سميت الأولى اطار عمل للسلام فى الشرق الأوسط وجاءت الثانية تحت عنوان اطار عمل لعقد

معاهدة سلام بين مصر واسرائيل وقد وقع الوثيقتين السادات وبيجن وكارتر كشاهد ٠

وبالنسبة لوثيقة اطار عمل للسلام فى الشرق الأوسط التى تهمنا فى هذه الدراسة نصت على وجوب مشاركة مصر واسرائيل والأردن وممثلى الشعب الفلسطينى فى المفاوضات الخاصة بحل المشكلة الفلسطينية بكل جوانبها ٠ ولتحقيق هذا الغرض فان المفاوضات المتعلقة بالضفة الغربية وغزة ينبغى ان تتم على ثلاث مراحل :

فى المرحلة الأولى : تتفق مصر واسرائيل على أنه من أجل ضمان نقل منظم وسلمى للسلطة مع أخذ الاهتمامات بالأمن من جانب كل الأطراف بعين الاعتبار يجب أن تكون هناك ترتيبات انتقالية بالنسبة الى الضفة الغربية وغزة لفترة لا تتجاوز الخمس سنوات ٠

ولتوفير حكم ذاتى كامل لسكان الضفة الغربية وغزة ستنسحب الحكومة الاسرائيلية العسكرية وادارتها المدنية منها فورا بعد أن يتم انتخاب سكان هذه المناطق سلطة حكم ذاتى تحل محل الحكومة العسكرية الحالية ٠

ولمناقشة تفاصيل الترتيبات الانتقالية ستدعى حكومة الأردن للانضمام الى المباحثات على اساس هذا الاطار ويجب أن تعطى هذه الترتيبات الاعتبار اللازم لكل من مبدأ الحكم الذاتى لسكان هذه الأراضى واهتمامات الأمن الشرعية لكل من الأطراف التى يشملها الصراع ٠

وفى المرحلة الثانية : تتفق مصر واسرائيل والأردن على وسائل اقامة سلطة الحكم الذاتى المنتخبة فى الضفة الغربية وقطاع غزة وقد يضم وفد مصر والأردن ممثلى الضفة الغربية وقطاع غزة أو فلسطينيين آخرين طبقا لما يتفق عليه ٠

وبموجب ذلك ستتفاوض الأطراف بشأن اتفاقية تحديد مسئوليات سلطة الحكم الذاتى التى ستمارس فى الضفة الغربية وغزة وسيتم انسحاب القوات المسلحة الاسرائيلية ويكون هناك اعادة توزيع للقوات الاسرائيلية التى ستبقى فى مواقع أمن معينة ٠

أما الفترة الانتقالية ذات السنوات الخمس وهى **المرحلة الثالثة** فتبدأ عندما تقوم سلطة الحكم الذاتى ومجلس ادارى فى الضفة الغربية وغزة فى أسرع وقت ممكن على ألا يتأخر قيامها عن العام الثالث لبداية الفترة الانتقالية وستجرى المفاوضات لتحديد الوضع النهائى للضفة الغربية وغزة وعلاقاتهما مع جيرانهما وابرام معاهدة سلام بين اسرائيل والأردن بحلول

نهاية الفترة الانتقالية وستدور هذه المفاوضات بين مصر واسرائيل والأردن والممثلين المنتمين الى سكان الضفة الغربية وقطاع غزة ٠

وبموجب الوثيقة الخاصة بالضفة والقطاع اتفق أيضا على انعقاد لجنتين منفصلتين احـــداها تتكون من ممثلى الأطـــراف الأربعة التى ستتفاوض وتوافق على الوضع النهائى للضفة الغربية وغزة وعـلاقاتهما مع جيرانهما والثانية من ممثلى اسرائيل والأردن ويشـــترك فيها ممثلو السكان فى الضفة الغربية وغزة للتفاوض بشأن معـــاهدة السلام بين اسرائيل والأردن وستضع هذه اللجنة فى تقديرها الاتفاق الذى تم التوصل اليه بشأن الضفة الغربية وغزة وستتركز المفاوضات على أساس جميـــع نصوص ومبادىء قرار مجلس الأمن ٢٤٢ وستقرر هذه المفاوضات فيمــا تقرر موضع الحدود وترتيبات الأمن ٠

ويجب أن يعترف الحل النهائى الناتج عن المفاوضات بالحقـــوق المشروعة للشعب الفاسطينى ومطالبه العادلة وبهذا الأسلوب سيشترك الفلسطينيون فى تقرير مصيرهم من خلال أربع نقاط :

الأولى : ان يتم الاتفاق فى المفاوضات بين مصر واسرائيل والأردن وممثلى السكان فى الضفة الغربية وقطاع غزة على الوضع النهائى للضفة والقطاع والمسائل البارزة الأخرى بنهاية الفترة الانتقالية ٠

الثانية : أن يعرض الاتفاق على ممثلى سكان الضفة الغربية وغزة للتصويت عليه ٠

والثالثة : اتاحة الفرصة للممثلين المنتخبين من السكان فى الضفة الغربية وغزة لتحديد الكيفية التى سيحكمون بها أنفسهم تمشيا مع نصوص الاتفـــاق ٠

ورابعـــا : المشاركة فى عمل اللجنة التى تتفاوض بشأن معـــاهدة السلام بين اسرائيل والأردن ٠

اتفاق غزة وأريحـــا

اما اتفاق غزة وأريحا أولا الذى سيوقعه الفلسطينيون والاسرائيليون ووافق عليه الجانبان فقد نص فى مادته الأولى على أن هدف المفاوضـــات الاسرائيلية ـ الفلسطينية من خلال عملية سلام الشرق الأوسط الجـارية هى من بين أشياء أخرى لتأسيس سلطة حكومة ذاتية فلسطينية انتقـالية من مجلس منتخب للشعب الفلسطينى فى الضفة الغربية وقطاع غزة لمرحلة انتقالية على أساس قرارى مجلس الأمن الدولى رقمى ٢٤٢ ، ٣٣٨ ٠

ويقترح الاتفاق جدولا زمنيا على عشرة أشهر يؤدى الى انتخاب المجلس الفلسطينى وسيقوم المجلس بادارة الضفة الغربية وقطاع غزة لفترة مؤقتة مدتها خمس سنوات تتفاوض خلالها اسرائيل والفلسطينيون على تسوية سلمية دائمة ٠

وبمجرد التوقيع على اعلان المبادىء تبدأ اسرائيل والفلسطينيون فى التفاوض على تفاصيل انسحاب القوات الاسرائيلية من قطاع غزة وبلدة أريحا بالضفة الغربية وبعد شهر من التوقيع يدخل اعلان المبادىء حيز التنفيذ رسميا ثم يسير الجدول الزمنى كالتالى على الفور :

— تنتقل السلطة من الحكومة العسكرية والادارة المدنية الاسرائيلية الى فلسطينيين مفوضين فى خمسة مجالات هى التعليم والثقافة والصحة والرعاية الاجتماعية والضرائب المباشرة والسياحة وسيكون للفلسطينيين سلطة فى الضفة الغربية وقطاع غزة ولكن لم يتضح ما هى السلطة التى ستكون لهم فى الضفة الغربية وغزة ٠

— يبدأ الفلسطينيون فى بناء قوة الشرطة وسيشكل مقاتلون لمنظمة التحرير الفلسطينية من خارج الضفة الغربية وغزة نواة تلك الشرطة ٠

— يجرى تشكيل لجنة اتصال اسرائيلية ـ فلسطينية مشتركة ٠

— يجرى انشاء لجنة اسرائيلية ـ فلسطينية للتعاون الاقتصادى للعمل فى مجالات المياه والكهرباء والطاقة والمالية والنقل والمواصلات بما فى ذلك ميناء بحرى فى غزة والتجارة والصناعة وعلاقات العمل والتدريب وحماية البيئة ووسائل الاعلام وبرنامج مدعوم دوليا للتنمية الاقتصادية للضفة الغربية وغزة وبرنامج اقليمى للتنمية الاقتصادية ٠

— دعوة الأردن ومصر للانضمام الى لجنة متابعة لتقرير اجراءات لعودة الفلسطينيين الذين شردوا من الضفة الغربية وغزة عام ١٩٦٧ ويقدر عددهم بنحو ٨٠٠ ألف شخص واجراء لمنع الفوضى ٠

نهاية الشهر الثانى

— توقع اسرائيل والفلسطينيون على اتفاق لانسحاب اسرائيل من قطاع غزة ومنطقة اريحا وترتيبات مفصلة لسيطرة فلسطينية على المنطقتين ٠

— يبدأ الاسرائيليون على الفور فى الانسحاب من غزة وأريحا ٠

— يبدأ رسميا حكم ذاتى مؤقت لفترة مدتها خمس سنوات ٠

نهـاية الشهر السادس

آخر موعد للاسرائيليين تمام الانسحاب من غزة وأريحا ٠

نهـاية الشهر السـابع

آخر موعد لاجراء انتخابات لانتخاب المجلس الفلسطينى سيحدد اتفاق مؤقت يتم الوصول اليه بحلول ذلك الوقت هيكل وسلطات المجلس بما فى ذلك سلطته التنفيذية والتشريعية وترتيبات لانتقال السلطة الى المجلس وتفاصيل انشاء هيئات قضائية مستقلة وسيكون بمقدور الفلسطينيين من القدس الشرقية الادلاء بأصواتهم فى الانتخابات وربما ترشيح أنفسهم فيها ٠

— القوات العسكرية الاسرائيلية التى ستكون قد انسحبت بالفعل من غزة وأريحا سيعاد نشرها خارج المناطق السكانية فى بقية الضفة الغربية بحلول عشية الانتخابات على الأكثر وستبقى القوات الاسرائيلية مسئولة عن أمن المستوطنين الاسرائيليين ٠

— سيتم سحب الحكومة العسكرية الاسرائيلية وحل الادارة المدنية فى نهاية الشهر السادس والعشرين ٠

— آخر موعد لبدء محادثات بشأن التسوية النهائية ٠

نهاية الشهر الثانى والستين ٠٠

— تدخل التسوية النهائية حيز التنفيذ ٠

قـراءة تحليليـة

وبقراءة تحليلية للاتفاقيتين نجد أن وثيقة كامب ديفيد نصت على انسحاب اسرائيل وادارتها المدنية من الضفة الغربية وغزة قبل نهاية العام الذى كان مقررا أن يتم فيه التفاوض وان يكون الفلسطينيون مستعدين فى نهاية الفترة لأن يتولوا السلطة وأن تعلن اسرائيل أنها على استعداد للتعامل مع أى جماعة فلسطينية تقبل القرار ٢٤٢ بينما تضمن اتفاق غزة وأريحا الانسحاب الاسرائيلى فقط من غزة وأريحا وانتقال السلطة من

الحكومة العسكرية والادارية المدنية الاسرائيلية الى فلسطينيين مفوضين في خمس مجالات فقط هي التعليم والثقافة والصحة والرعاية الاجتماعية والضرائب المباشرة والسياحة ·

وفيما تضمنت اتفاقية كامب ديفيد بشأن الحكم الذاتي للفلسطينيين استعداد اسرائيل لاعادة الأراضي العامة في الضفة الغربية وغزة الى السلطة الفلسطينية لم يشر اتفاق غزة واريحا الى هذه المسالة ·

كما تجاهل الاتفاق مسالة رفع الحظر على الاجتماعات السياسية والسماح بحرية التعبير في الضفة الغربية وغزة التي تضمنتها اتفاقية كامب ديفيد ·

كما لم يشر اتفاق غزة وأريحا الى الغاء القيود على حرية الحركة بالنسبة لسكان الضفة الغربية وغزة ومنح العفو للمسجونين السياسيين الفلسطينيين وتمكينهم من العودة الى الحياة الطبيعية في الضفة الغربية وغزة وهي مسائل تضمنتها اتفاقية كامب ديفيد ومع ذلك فانه يمكن القول بأن بنود اتفاق غزة - اريحا أولا مستمدة بشكل كبير من نصوص اتفاقية اقامة الحكم الذاتي في الضفة الغربية وقطاع غزة والوثائق المتعلقة به والتي تضمنتها اتفاقية كامب ديفيد ·

بدايـة الحكـاية ؟!

الخطأ التاريخى ؟!

لكن ما الذى خلق التناقض الشـديد بين القوى الوطنية العربية الى الحد الذى جعلها تقف ضد محاولات أنور اسادات للتوصل الى حل نهائى للنزاع العربى الاسرائيلى ..

لقد رفضت مبادرته بزيارة القدس .. ورفضت مؤتمر مينا هاوس الذى دعا اليه كما رأينا فى تقرير جريدة الشرق القطرية .. ورفضت اتفاقية كامب ديفيد .. وعقدت مؤتمر بغداد الذى قررت فيه اقصاء مصر من الجامعة العربية باعتبار أن رئيسها قد ارتكب خيانة فى حق العرب ..

وكانت منظمة التحرير الفلسطينية على رأس تلك القوى المناهضـة ولا نقول المعارضة لمبادرة السادات .. واتفاقية كامب ديفيد ..

ما السبب الرئيسى وراء هذا ؟! ..

فى رأينـا أن السبب الرئيسى هو سقوط معظم القوى الوطنيـة العربية ومن بينها القوى الوطنية الفلسطينية فى خطأ فاحش .. أدى الى نتائج مروعة ما زلنا نعانى من آثارها حتى اليوم .. وهو موقفها من قضية فلسطين ذاتها ..

لم تستطع هذه القوى أن تضع يدها على الحل السليم .. فاتجهت اتجاها خاطئا .. منذ بداية تأسيس دولة اسرائيل ..

فقد رفضت قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين ..

ومن هذا القصور فى الفهم .. واتخاذ الموقف الخاطىء ازاء قرار مصيرى تاريخى كهذا تفرعت كل أخطاء العرب ازاء مواجهة النزاع العربى الاسرائيلى .

ومن هنا فاننا رأينا ان نشرح القضية للقارىء .. خصوصا أن أجيالا من الشباب لا تعرف حقيقتها من الجذور حتى اليوم .. انما هم يسمعون

عن تغيرات فى المواقف الفلسطينية العربية ·· وعودة الى الخط المصرى ·· وعودة الى الاعتراف بوجود اسرائيل ·· فما هى الحكاية من البداية ؟!

★ بعد نهاية الحرب العالمية الثانية ووجه العالم العربى بمشكلة وجود حوالى ثلاثة أرباع مليون يهودى مقيمين فى فلسطين العربية ، هاجر الجزء الأكبر منهم من أوروبا تحت وطأة الاضطهاد النازى مستجيبين لدعوة الصهيونية السابقة على ذلك الاضطهاد للهجرة الى أرض الميعاد وفقا لمخطط الصهيونية قبيل الحرب العالمية الأولى لاقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين بعد أن حصلت على تأييد الاستعمار البريطانى فى ذلك بعد تلك الحرب بموجب تصريح بلفور الشهير ·

★ كان هؤلاء الثلاثة أرباع مليون يهودى قد استقروا تباعا فى فلسطين وأصبحت لهم مؤسساتهم الاقتصادية والثقافية والاجتماعية والسياسية وجيوش عسكرية فى شكل عصابات مسلحة · وشجعت على هجراتهم المتتالية حكومة الانتداب البريطانى رغم معارضة العرب وطلباتهم الفورية ضد ذلك الاستيطان - وبعد الحرب العالمية الثانية حصلت الصهيونية على تأييد الاستعمار الجديد « الولايات المتحدة » التى رأت فى وجود تلك الجماعة اليهودية التى تقودها الصهيونية فرصة لاقامة نقطة ارتكاز لها فى منطقة الشرق الأوسط لتكون سوط تأديب يلهب ظهر حركة التحرر الوطنى العربية المتوقع تفجرها بعد نهاية الحرب العالمية الثانية التى أثار انتصار الشعوب فيها على النازية مدا ثوريا هائلا فى العالم كله ·

وقد لعبت الدوائر الصهيونية الأمريكية دورها فى تدعيم ذلك التأييد ·

★ على أننا نكون مخطئين أو قصيرى النظر اذا تصورنا أن هؤلاء اليهود كانوا مدعومين بتأييد الاستعمار العالمى فقط ، انهم كانوا مدعومين بعطف معظم القوى الديمقراطية التى حاربت الفاشية فى أوروبا ، ذلك لان اليهود كانوا محل اضطهاد تلك الفاشية ، وساهموا فى الحرب ضدها جنبا الى جنب مع كل الأحزاب والقوى الديمقراطية فى أوروبا · وأنتج ذلك صلات عميقة بين تلك الأحزاب واليهود ، وخصوصا أحزاب الاشتراكية الديمقراطية فى فلسطين مازالت موجودة حتى الآن ·

ولم يستطع العرب أن يفهموا هذا العامل فى تلك المرحلة المبكرة بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ·

★ طرحت الصهيونية فى فلسطين ومن ورائها الصهيونية العالمية شعار انشاء دولة اسرائيلية تضم الثلاثة أرباع مليون يهودى ٠

★ رفض العرب اقامة تلك الدولة ٠

وعندما نتحدث عن العرب فى تلك المرحلة يجب أن نبرز أن مقاليد الأمور كانت فى أيدى نمط الحكام العرب الذين كانوا مرتبطين بالاستعمار ويتراوح ذلك الارتباط بين العمالة والتحالف ٠ فقد كان العالم العربى ما زال تحت السيطرة البريطانية فى تلك الفترة ٠

وفى وجه هذه الرجعية العربية كانت قوى وطنية تناضل ضد الاستعمار والرجعيـة معا ٠ وهذه القوى الوطنيـة كانت تتمثل فى الأحزاب الوطنية والشيوعية والديمقراطية العربية ٠

★ طرح الحكام العرب شعار دولة فلسطين العربية أمام شعار الدولة الاسرائيلية ٠ وكان الشيوعيون العرب فقط هم الذين طرحوا شعار جلاء القوات البريطانية عن فلسطين واقامة دولة فلسطين الديمقراطية التى تضم العرب واليهود ، بينما أيد معظم الأحزاب والقوى الوطنية شعار دولة فلسطين العربية ٠ ورفض الصهاينة الشعارين معا : سواء الدولة الفلسطينية الديمقراطية أو العربية وأصروا على تشـكيل دولة يهودية خالصة ٠

★ قامت العصابات الصهيونية بالاعتداء على السكان العرب فى شكل هجمات وحشية حتى ضد الشيوخ والنساء والأطفال ، باذرة بذور العداء بين سكان البلاد العرب واليهود ٠

وكان الهـدف من ذلك تأكيد استحالة اقامة دولة موحدة بأى شكل يعيش فيها كل من الفريقين (العرب كانوا حوالى مليون وربع مليون واليهود حـوالى ثلاثة أرباع مليون يتزايدون يوما بعد يوم بعملية هجرة منظمة يسهلها البريطانيون) ٠

★ عندما حل عام ١٩٤٧ كان الضغط الصهيونى والعالمى شديد لاقامة دولة لليهود فى فلسطين وبدا أن تحقيق شعار الدولة الفلسطينية الموحدة مستحيل التنفيذ ٠ فطرح الاتحاد السوفييتى وكل القوى التقدمية فى العالم شعار « التقسيم من أجل الوحدة » ٠ أى تشكل دولتان فى فلسطين ٠٠ دولة يهودية فى المناطق التى يتمركز فيها اليهود سكانيا ومصلحيا ٠٠ ودولة عربية فى المناطق التى يتمركز فيها العرب ، أى أن تقـسـام صلات وكبارى للتعاون الاقتصـادى

والثقافى بين البلدين تؤدى الى تحقيق وحدتها أى فلسطين من جديد فى المستقبل ٠

والذى يراجع الخرائط التى قدمها السوفييت فى تلك الأيام يجد فيها تأكيدا لهذا المعنى ٠ وقد رفضت الأمم المتحدة (التى كانت تحت سيطرة أمريكا فى تلك الأيام) هذه الخرائط ٠٠ ورسمت خرائط أخرى تحقق مصالح الصهيونية أكثر ٠٠ وحتى هذه الخرائط لم تحترمها الصهيونية وشاركتها الرجعية العربية فى الجريمة كما سيبين فيما بعد ٠

★ وهنا حدث الخطأ الأكبر أو الخطيئة الكبرى التى ندفع نحن العرب ثمنها حتى الآن وفى مقدمتنا الشعب الفلسطينى ـ لقد رفضت الرجعية العربية مشروع التقسيم ـ وكان معنى ذلك ببساطة رفضها لاقامة دولة فلسطينية مستقلة ، لأن التقسيم كان سيمر سواء شاء العرب أو أبوا ، فقد كانت له قاعدته المادية من السكان اليهود بتنظيماتهم القوية وقاعدتهم الاقتصادية ٠

وكان هناك الاستعمار العالمى يؤيدهم ٠

بل كان هناك معسكر الدول الاشتراكية وكل القوى التقدمية والديمقراطية فى أنحاء العالم التى كانت تؤيد جميعها التقسيم ٠

ومن المعروف أنه كانت هناك علاقة وثيقة دائمة ربطت زعماء اليهود فى أوروبا بكل القوى خلال النضال الديمقراطى العام ضد الفاشية والنازية ٠ وكان رفض التقسيم حينذاك يعنى اما جهلا وعمى سياسيا عن الواقع الذاتى للعالم العربى والواقع الموضوعى بالنسبة لعلاقات القوى الدولية ٠ واما اشتراكا فى مؤامرة استعمارية صهيونية ٠٠

واستقراء الأحداث بعد ذلك يؤكد الاحتمال الثانى من جانب الرجعية العربية ٠

★ اتخذت الأمم المتحدة قرارا بتقسيم فلسطين عام ١٩٤٧ ورسمت خرائط محددة لحدود الدولتين الجديدتين :الدولة العربية والدولة اليهودية ، ولكن الرجعية العربية أصرت على الرفض ومن ورائها معظم القوى الوطنية العربية التى اندفعت بحكم عواطف وطنية واتجاهات شوفينية لم تستطع أن تدرك توازن القوى المحلى والعالمى فى تلك الفترة ٠

★ فى تلك الفترة كانت الحركة الوطنية المعادية للاستعمار البريطانى

على أشدها فى المنطقة العربية وخاصة فى مصر والعراق ونفخ الاستعمار الانجليزى وأعوانه فى بوق الحرب ضد اقامة الدولة اليهودية المزمع اعلانها فى مايو ١٩٤٨ ، وكان مثيرا للدهشة أن الانجليز الذين أتوا باليهود الى فلسطين فكانوا يسلمون لهم المدينة تلو المدينة هناك واذا ما تلكأوا شنقت العصابات الصهيونية عددا من جنودهم - جنود الانجليز - فيبادرون الى التسليم على الفور مع استخدام أقصى رفق مع القتلة الصهيونيين • كان من الغريب أن هؤلاء الانجليز أنفسهم يباركون الحرب ضد اسرائيل ويشجعون الرجعيات العربية على اعداد العدة لشن تلك الحرب •

وارتفع فى تلك الفترة صوت شجاع وحيد من بين كل الصحف المصرية هو صحيفة مجلة الجماهير اليسارية التى كان يرأس تحريرها المرحوم الشهيد شهدى عطية الشافعى تحذر من المؤامرة ، والمؤامرة كانت واضحة • فبدلا من أن تستمر الحركة الوطنية المصرية فى تصاعدها ضد المحتلين الانجليز بعد فشل مؤامرة الكوليرا فانحرف اتجاهها الأصيل الى محاربة العصابات الصهيونية وهى حرب كان مقررا نتيجتها أصلا فالدولة الاسرائيلية كانت حتما ستقام بموجب قرار الأمم المتحدة والمساندة العالمية والجيوش العربية كانت ستهزم حتما لانها تحت قيادة رجعية ولكن الأخطر من هذا كما ثبت بعد ذلك أن هذه الجيوش نفسها كان عليها أن تساهم فى تمزيق ما تبقى للشعب الفلسطينى من أرض كان يمكن أن تكون دولة وقاعدة له •

لقد كان الشيوعيون المصريون هم القوة السياسية الوحيدة فى مصر التى أعلنت قبول قرار التقسيم الصادر عن الأمم المتحدة باعتباره « أفضل الحلول السيئة » لأنهم كانوا فى البداية يدعون الى دولة فلسطينية ديمقراطية مستقلة بعد جلاء قوات الاحتلال البريطانى عنها •• تضم اليهود والمسلمين والمسيحيين ••

ولكن عندما تبين أن ذلك مستحيل التطبيق لم يكن هناك مناص من قبول التقسيم على أساس استحالة حياة الشعبين العربى واليهودى معا •• فى ظل دولة واحدة ••

واندفع الشيوعيون المصريون فى تبنى ذلك الخط السياسى دون اكتراث بهجمة الصحافة الرجعية ضدهم التى كانت تستغل وجود عناصر يهودية بارزة داخل الحركة الشيوعية المصرية مثل هنرى كورييل ويوسف حزان مما كان يمكنها من تضليل الجماهير نسبيا على أساس الربط بين يهودية هذه العناصر والصهيونية •• بالاضافة الى أن الصهيونية هى التى

ابتكرت حكاية حل المشكلة اليهودية على أساس اقامة وطن لليهود على أرض فلسطين بدعوى أنها أرض الميعاد التى قررتها لهم العناية الالهية ! .

وكان الشيوعيون ينظمون المظاهرات الضخمة تسير فى أهم شوارع القاهرة والاسكندرية يهتفون فى جرأة وتحد :

أيها الانجليز اخرجوا من فلسطين ..
عاشت الدولة الفلسطينية .. وعاشت الدولة اليهودية !! .

ولم يكن يتصدى لليسار فى مثل تلك المظاهرات سوى جماعات الاخوان المسلمين بالكرابيج والقضبان الحديدية .. ولكنها لم تكن تؤثر .. ولم تستطع هذه الجماعة أن تحرك الجماهير ضد اليسار التى لم « تضرب » يساريا واحدا مثلا لترديده مثل تلك الشعارات .

وهذا غير ما كانوا يكتبونه فى مجلة « الجماهير » التى كانت توزع اسبوعيا ٢٥ ألف نسخة .

وهذا كان رقما كبيرا اذا عرفنا أن جريدة المصرى لسان حزب الأغلبية الوفدية كانت توزع ستين ألف نسخة .. وكانت هذه المجلة تحمل مانشتات ضد الاتجاه لحرب فلسطين مثل ، أوقفوا هذه الحرب الاستعمارية ؟ لماذا لا نقبل قرار التقسيم ؟ عاش الشعبان الفلسطينى واليهودى ..

وكانت المجلة تتحدث كل اسبوع عن مخطط استعمارى بريطانى لالهام الشعوب العربية عن استكمال عملية تحرير أرضها من الاحتلال بالاتجاه نحو هدف موهوم هو فلسطين للقضاء على شعب أقرت الأمم المتحدة حقه فى تقرير مصيره .. وكانت تدعو الى تضامن الشعبين اليهودى والفلسطينى للنضال ضد الاحتلال البريطانى لفلسطين .. فى نفس الوقت الذى كانت تهاجم فيه القوى الصهيونية المتعاونة مع الاستعمار لالتهام بقية أرض فلسطين من الدولة العربية المقرر اقامتها ..

ومجلة الجماهير هذه كانت توزع مع باعة الصحف وبواسطة الطلبة والعمال من أنصار اليسار .

ولم يحدث أن اعتدت الجماهير على أحد رغم سياستها المعلنة والمضادة تماما لموجة التضليل الجارفة التى كانت الحكومات العربية كلها ، وهى كلها كانت حكومات رجعية عميلة للاستعمار .

موجه تثيرها لجر الشعوب العربية لحرب خاسرة مائة فى المائة .

وعارض الشيوعيون حرب ١٩٤٨ معارضة عنيدة ومكشوفة ولم

تستطع الحكومة أن تفعل شيئا ضدهم سوى اعلان الأحكام العرفية فى ١٥ مايو واعتقالهم ٠

ولم يكن يقف معهم من الأحزاب والقوى السياسية المصرية سوى قطاع ضيق جدا تزعمه اسماعيل صدقى باشا ممثل الرأسمالية الكبيرة التى تعاونت طويلا مع الانجليز والقصر الملكى ٠٠ ولكنه انشق على هذا التحالف وأعلن معارضته لحرب فلسطين ١٩٤٨ ودعا الى تقبل وجود دولة اسرائيل ٠٠

وعندما كانت الدولة كلها تطنطن لبطولة الضباط الذين حوصروا فى الفالوجا وتنظم الاحتفالات الضخمة اشادة ببطولتهم وصمودهم نزل الشيوعيون الشارع يوزعون آلاف المنشورات وسط الجماهير التى وقفت تشاهد موكب الأبطال العائدين وعنوان ذلك المنشور كان : « أبطال الفالوجا كان يجب أن يكونوا أبطال القناة » ٠٠ وباختصار كان الشيوعيون يقولون فى ذلك الوقت أن الجيش كان مفروضا أن يحارب جنود الاحتلال البريطانيين المرابطين فى القنال ٠٠ بدلا من المرور عليهم وهو ذاهب يقاتل العصابات الاسرائيلية يتبادل معهم التحية وهم يفسحون له الطريق !

ولم يحدث خلال توزيع تلك المنشورات أن تعرضت الجماهير لموزعيها أو قبضت عليهم ٠٠

● دخلت الجيوش العربية الحرب فى ١٥ مايو ومع دخولها أعلنت الأحكام العرفية وفتحت المعتقلات للوطنيين العرب بل وشنق بعض أبطال الحركة الوطنية فى العراق (الرفاق فهد وحازم وصارم من زعماء الحزب الشيوعى) بحجة أنهم يؤيدون قيام دولة اسرائيل ولاحظ أن نورى السعيد سفاح الشعب العراقى هو الذى أمر بسحب الجيش العراقى فجأة من ميدان القتال فى فلسطين خاذلا بذلك القوات العربية الأخرى وشعب فلسطين وممكنا من تحقيق مؤامرة تمزيق ما بقى من أرض للشعب الفلسطينى ٠

● وحدث ما توقع الوطنيون اذ فاحت رائحة الجريمة والمؤامرة والخيانة فالذين سيروا الجيوش لتقاتل العصابات الصهيونية وتقضى عليها قتلوا جنود تلك الجيوش وضباطها بالأسلحة الفاسدة (الجيش المصرى) والذين تحدثوا طويلا عن مواصلة المعركة سرعان ما نفذوا تعليمات الاستعمار بوقف القتال والدخول فى هدنة وراء هدنة بل اتجهوا الى قتل بعض الوطنيين الذين خدعتهم الشعارات وذهبوا ليقاتلوا الصهيونيين فعلا بدافع وطنى نبيل مثل عشرات من أفراد جماعة الاخوان المسلمين الذين أمر فاروق بحصارهم وابادتهم فى كتائب المتطوعين فى ميدان القتال ٠

● ولكن المؤامرة الحقيقية اتضحت بعد ذلك عندما طرح اندريه جروميكو وزير الخارجية السوفيتى فى مجلس الأمن السؤال التالى : أيها السادة لقد أنشأنا الدولة الاسرائيلية فأين هى الدولة العربية الفلسطينية ؟ ولم يرد أعضاء مجلس الأمن • ولكن الرجعية العربية تولت الرد : لن ننشىء دولة عربية فى فلسطين •

والقصة بعد ذلك معروفة فقد تآمرت الرجعية العربية مع الصهيونية (المفروض أنها عدوها وتحاربها) مع الاستعمار على تمزيق فلسطين اربا فقسم ما كان مفروضا أن يكون الدولة العربية فى فلسطين بين « امارة » شرق الأردن التى أصبحت مملكة الأردن بعد ضم الضفة الغربية وبين اسرائيل التى استولت على مساحات جديدة (اللد والرملة وبعض صحراء النقب) وهذه المساحات تمثل ٣٠٪ تقريبا من مساحة اسرائيل الحالية ثم مصر التى اكتفى الملك فاروق بوضع غزة تحت الادارة المصرية حيث اكتوى الفلسطينيون بنار الارهاب والبوليس السياسى المصرى بأشد مما اكتوروا أيام الاحتلال البريطانى • ومن حق الجيل الجديد من الشباب العربى أن يسأل : ما السر وراء تلك المؤامرة ؟

الحقيقة أنه لم يكن من مصلحة الرجعية المصرية العربية أن تنشأ دولة فلسطين مستقلة فى تلك الأيام وخصوصا أن مثل تلك الدولة غالبا ما كانت ستكون دولة ديمقراطية ثورية لأن الشعب الفلسطينى قد حمل السلاح طويلا فى معارك متصلة ضد الصهيونية وقوات الاحتلال البريطانى• ولقد سقطت البرجوازيات الوطنية العربية فى شراك المؤامرة الرجعية لأنه بالتأكيد لم يكن من صالح تلك البرجوازيات أن تنشأ دولة اسرائيل فى المنطقة لأنها ستكون منافسا اقتصاديا خطيرا لها باعتبارها قاعدة أمامية للاحتكارات العالمية ومع ذلك فانه كان من الأفضل أن تقبل « نصف العمى ولا العمى كله » كما يقول المثل البلدى بمعنى أن قيام دولة فلسطين عربية فى تلك الفترة بجانب الدولة الاسرائيلية كان أفضل من انعدام وجودها اطلاقا •

ماذا لو تم التقسيم ؟

لو أن الدولة العربية أقيمت فى عام ١٩٤٨ لكانت الصورة مختلفة تماما فى المنطقة العربية عن الوضع الآن •

ان الحركة الوطنية الفلسطينية ومعها الحركة الوطنية العربية كلها بل وحركة الثورة العالمية تكافح الآن جميعا من أجل الاعتراف بحق الشعب الفلسطينى فى أرض يقيم عليها دولته ــ أى مساحة من الأرض ــ بل أن الحديث عن تنفيذ قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين يبدو شيئا نشازا

صعب التحقيق حاليا اذ يعنى تنازل اسرائيل عن ثلث مساحتها الحالية ؟ فهل هذا ممكن فى ظل الأوضاع الراهنة محليا وعالميا ؟ ٠

ولقد كان وجود تلك الدولة العربية من عام ١٩٤٨ بمثابة قلعة عربية ثورية تتصدى لأطماع اسرائيل التوسعية وبؤرة تجميع للقوى الوطنية العربية لمواجهة تلك الأطماع لأن تلك الأطماع كانت ستتجه أول ما تتجه الى الدولة الفلسطينية المجاورة ٠ بل بؤرة تجميع لقوى التقدم والتحرر فى العالم وهذا رد على السؤال الذى يطرحه بعض الرافضين المتشنجين عندما يقولون ان تلك الدولة لو كان قد ووفق على اقامتها عام ١٩٤٨ لكانت قد تعرضت دائما للهجوم الاسرائيلى ٠ حسنا هذا صحيح فالعدوان الاسرائيلى حدث وسيحدث ما دامت توجد صهيونية توسعية واستعمار عالمى قوى وما دام يوجد تفكك وضعف عربى ٠

ان هجوم اسرائيل على دولة فلسطين العربية المستقلة المعترف بها دوليا كان سيضع قضية الشعب الفلسطينى فى مستوى آخر ٠ مستوى الدولة المعتدى عليها وليس مستوى الشعب المشرد فى خيام وليس له دولة يعترف بها أحد ٠

ان الرجعية العربية أهدرت نضال الشعب الفلسطينى ضد الصهيونية منذ وعد بلفور وبددت وجود دولة له وليس فقط اغتصاب بعض أرضه لوافدين أقاموا فيها دولة جديدة ٠ أضف الى ذلك ان قيام تلك الدولة العربية منذ عام ١٩٤٨ كان كفيلا بايجاد محور جذب للقوى المتناقضة مع الصهيونية فى اسرائيل لتمارس مع الشعب العربى نضالا ضد التوسع الصهيونى والامبريالية ٠

لا يوجد الآن فى العالم العربى من الوطنيين من لا يندم على رفض اقامة تلك الدولة العربية عام ١٩٤٨ ٠

الآن بعد هذه العجالة التاريخية لقضية فلسطين كان أمام الحركة الوطنية العربية دائما سؤال : ما الحل اذن ؟!

هنا فى قلب الوطن العربى توجد صهيونية تلعب دور « كرباج » الاستعمار ضد الحركة الوطنية وهى دولة توسعية ذات أطماع فى ضم مزيد من الأرض وأطماع اقتصادية لا فى العالم العربى بل فى أفريقيا كلها والاستعمار الجديد يدخل مناطق أفريقيا وآسيا أيضا تحت اعلام اسرائيلية وهذه الدولة اغتصبت أرضا لشعب فلسطين وشردته (مع عدم نسيان مسئولية الرجعية العربية) وتاريخ تلك الدولة منذ اقامتها قد أكد هذه المعانى جميعا فهى قد اشتركت فى العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ فضلا عن الاعتداءات المستمرة على الحدود العربية ثم عدوان ١٩٦٧ الذى ما زالت

مصرة على عدم التخلى عن معظم الأراضى التى احتلتها خلاله والواقع أن هناك اجابتين عن السؤال : ما الحل وحل ماذا ؟ الاجابة الأولى كانت :

رأى يقول بأن الحل يكمن فى ازالة مصدر ذلك العدوان والتوسع المستمرين أى القضاء على اسرائيل ٠

أما الاجابة الثانية فتقول :

أنه يكفى اتخاذ الاجراءات والضمانات لاجبار مصدر العدوان على عدم القيام باعتداءات جديدة ويلزم الآن ازالة آثار آخر عدوان له (عام ١٩٦٧) وتحقيق الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى وتحقيق هذه الازالة هو فى حد ذاته أحد الضمانات لعدم تكرار العدوان مستقبلا لأنه حرمان للمعتدى من ثمار عدوانه وانتصار عليه ٠

والحركة الوطنية العربية فى الواقع منقسمة على نفسها : ففريق منها يرى ترابطا بين الاغتصاب الصهيونى التاريخى لمساحات من فلسطين منذ وعد بلفور بل قبله مما أدى الى تشريد شعب فلسطين وبين الاحتلال الاسرائيلى لأراض عربية فى مصر وسوريا والأردن بعد عدوان ١٩٦٧ ويرى ذلك الفريق أن القضية قضية وطنية عربية واحدة أى احتلال صهيونى لأرض عربية تربطها وحدة جغرافية وسياسية ومصيرية ويترتب على هذا الرأى أنه يلزم عدم تجزئة النضال العربى لتحرير أرض دون أرض ٠

اشعال حرب شعبية طويلة ولو لعشرات السنين ضد الاحتلال الصهيونى ومن يساندونه حتى تنتهى تلك الحرب بالقضاء على مصدر الاحتلال (اسرائيل) وضرب أنصار هذه الفكرة دائما المثل بنضال الشعوب وخاصة فيتنام وكمبوديا والجزائر وهم يتحدثون دائما عن حتمية انتصار الشعوب وضرورة وجود القيادات الثورية لمثل تلك الحرب الشعبية الطويلة الأمد وعن عدم الاكتراث بالتضحيات مهما كانت جسيمة فالشعوب قادرة على اعادة بناء حياتها بعد الدمار الذى يلحق بها فى معارك التحرير وهم يشبهون الوضع فى فلسطين دائما بالوضع فى جنوب افريقيا وروديسيا وغيرها من نماذج الاستعمار البريطانى الاستيطانى ٠

الفريق الثانى : ولا خلاف بين هذا الفريق والفريق الأول فيما يتعلق بوحدة النضال والمصير العربى وتهديد الأطماع الصهيونية للعالم العربى كله ولكنه يرى أن الحل المطروح الآن أمام حركة التحرير العربية هو تحرير كل الأراضى العربية المحتلة بعد ٥ يونية ١٩٦٧ وعدم التعرض لوجود اسرائيل كدولة موجودة ومعترف بها عالميا ٠

وقد ظل ذلك الفريق يستخدم عبارة غامضة هى « تحقيق الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى دون أن يوضح ماذا يعني بتلك الحقوق

المشروعة وذلك بهدف عدم « التورط » صراحة فى تقبل وجود اسرائيل ومن أجل عدم التناقض علانية مع رأى الفريق الأول فصدور متل تلك العبارة المبهمة فى البيانات المشتركة يترك الباب مفتوحا لتفسير الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى حسب وجهات النظر المختلفة على أنه بالتدريج بدأ ذلك الاتجاه يوضح ماذا يقصد بتلك العبارة وهو قصد لا يخرج عن اقامة دولة فلسطينية فيما تبقى من أرض فلسطين (الضفة الغربية وغزة) وعودة من يشاء من اللاجئين الفلسطينيين الى مواطنهم الأصلية و تعويضهم تعويضا عادلا حسب رغبتهم وهذا الفريق يرى أن الدولة الفلسطينية فى تلك الحدود هى « الممكن الوطنى » الوحيد اليوم ٠

وغدا فى المستقبل فى ظل ظروف كيفية أخرى يمكن تحقيق الحلم الاستراتيجى الثورى وهو اقامة الدولة الفلسطينية العلمانية الديمقراطية التى تضم المسلمين واليهود والمسيحيين وفقا للاختيار الحر لكل الأطراف أى بموافقة الشعب الاسرائيلى نفسه ٠

حول هذين الرأيين تنقسم الحركة الوطنية العربية وللحقيقة والتاريخ فان معظم التناقضات بين صفوف القوى الوطنية العربية تنبع من هذا الخلاف بل ان أعتى القوى العربية رجعية كانت تتلفع بعباءة الرأى الأول فى حربها ضد جمال عبد الناصر وسياسته المعادية للاستعمار والرجعية فى المنطقة وتثير حربا شعواء ضد التسليم والخيانة والتفريط فى حقوق عرب فلسطين وفلسطين المغتصبة والشهيدة ٠٠٠ الخ ٠ وكان أكثر العرب تخلفا وحماقة يتشدق بعبارات طنانة مثل القضاء على اسرائيل والقائها فى البحر أو على الأقل القذف باليهود مرة أخرى الى ديارهم الأصلية من حيث أتوا أعنى ان ذلك الشعار الثوروى وليس الثورى المتعلق بقضية فلسطين كان قميص عثمان للهجوم على جمال عبد الناصر من جانب الرجعية العربية فى تلك الأيام وكان قميص عثمان أيضا قد استخدمته جبهة الرفض ضد أنور السادات فمن لا يعمل ويناضل من أجل القضاء على الدولة الاسرائيلية بقضها وقضيضها فهو « تصفوى » « واستسلامى » « وخائن » أو على الأقل « يحرك ولا يحرر » ويتهاون مع الاستعمار الأمريكى ٠٠٠ الخ ٠

أين موقع عبد الناصر ؟ :

ولما كان هناك فريق كبير من جبهة الرفض ممن يتلفعون بعباءة الناصرية فانه قد يكون من المناسب أن نطرح سؤالا : ماذا كان موقع جمال عبد الناصر من الفريقين اللذين عرضنا رأيهما فى قضية فلسطين ؟

هل كان جمال عبد الناصر يدعو أو يعمل للقضاء على اسرائيل لتعود فلسطين كلها دولة عربية لنستقرىء التاريخ ؟

ان جمال عبد الناصر قد سمح بعد عدوان ١٩٥٦ للسفن الاسرائيلية أن تمر فى خليج العقبة ورغم عدوان اسرائيل الا أنه كان يرد على دعاوى واستفزازات الرجعية العربية بأن من يريد محاربة اسرائيل فلابد أن يعرف انه يحارب الولايات المتحدة وأن ذلك لا يمكن تحقيقه الا اذا توحد العالم العربى وأصبح قوة ٠

صحيح أن موقف عبد الناصر من وجود اسرائيل كدولة فى المنطقة ظل غامضا حتى حرب ١٩٦٧ ٠ بل أنه فى مؤتمره الصحفى المشهور فى ٢٨ مايو ١٩٦٧ الذى صحب المظاهرة العسكرية التى أراد أن « يهوش » بها اسرائيل وأمريكا حتى لا تهاجم اسرائيل سوريا كان حريصا على أن يؤكد انه ليست لدى مصر نية « العدوان » على اسرائيل انما كشف العالم أن اسرائيل هى التى تهدد بالعدوان وأن مصر « ستدافع » عن نفسها ضده اذا حدث ٠ على أنه بعد هزيمة ١٩٦٧ أصبح موقف عبد الناصر واضحا من الوجود الاسرائيلى فى المنطقة اذ سلم به تماما وبصراحة وكانت أول خطوة ظاهرة على الطريق هو قبوله القرار ٢٤٢ الشهير الصادر من مجلس الأمن وهو قرار يؤكد وجود اسرائيل مثلها مثل أى دولة مستقلة أخرى فى المنطقة ويؤكد ضمان حدود آمنة لها ٠

أما موقفه من قضية اقامة دولة فلسطينية فلم يحدد القرار شيئا بشأنها وانما اعتبر قضية الشعب الفلسطينى مجرد قضية لاجئين وكان جمال عبد الناصر هو الذى قبل جولات يارنج بين القاهرة وتل أبيب للبحث عن وسيلة لتطبيق قرار مجلس الأمن ثم هو الذى قبل مبادرة روجرز التى بدت كمحاولة أمريكية لوضع القرار ٢٤٢ المذكور موضع التنفيذ وصرح جمال عبد الناصر عدة مرات لصحف أجنبية وخاصة الموند الفرنسية وللصحفى الفرنسى ايريك رولو بالذات أنه مستعد لتوقيع اتفاق سلام مع اسرائيل اذا انسحبت من الأراضى العربية المحتلة كلها (وكان كل ما يحدث أحيانا هو حذف مثل هـذه التصريحات من الترجمة العربيـة لما تنشره الصحف الأجنبية) ٠

واستمع زعماء المقاومة الفلسطينية وخاصـة السيد ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية الى رأى جمال عبد الناصر ونصيحته لهم بقبول فكرة اقامة دولة فلسطينية فيما تبقى من أرض فلسطين ٠

ونحن المصريين ونحن العرب لا نعيش فى المريخ وانما نعيش على كوكب الأرض ولذلك لم نر قط أى استعداد أو تنظيم من أى نوع أعده الزعيم الراحل عبد الناصر لاثارة حرب شاملة مستمرة كالحرب الفيتنامية لاسترداد كل التراب الفلسطينى مثلا ٠

ولكن الأهم من ذلك أنه بعد هزيمة جمال عبد الناصر عام ١٩٦٧ بدأ يجرى اتصالات سرية باليسار الصهيونى فى حزب المابام وجماعة ناحوم جولدمان رئيس المؤتمر الصهيونى العالمى • وبمجموعة مجلة « نيو أوت لوك » التى كان يرأسها سمحا فلابان • وكان رسوله فى تلك الاتصالات السيد أحمد حمروش أحد الضباط الأحرار البارزين ورئيس تحرير أول مجلة أصدرتها الثورة « التحرير » •

وكان رئيس تحرير مجلة روز اليوسف الأسبق ورئيس منظمة التضامن حاليا • وكان الوسيط فى اتمام تلك الاتصالات هو عدد من الشيوعيين المصريين اليهود الذين طردهم الملك فاروق من مصر فى اعوام ٤٩ ـ ١٩٥٢ مثل المرحوم هنرى كورييل ويوسف حزان والمحامى المصرى شحاته هارون المقيم بالقاهرة •• وكانت جريدة هاأرتس هى أول جريدة اسرائيلية تنشر حديثا مع كاتب مصرى بارز هو السيد أحمد حمروش فى ذلك الوقت المبكر من عام ١٩٦٨ ••

والواقع أن المرحوم أنور السادات بعد عبد الناصر قد خطا بالقضية خطوة واسعة الى الأمام اذ انه لم يتمسك بتنفيذ قرار مجلس الأمن ٢٤٢ الشهير بل انه وضع القضية أمام العالم كله على أنها أيضا تحقيق الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى فى شكل دولة وليست مشكلة لاجئين كما نص على ذلك القرار ٢٤٢ كما تمسك السادات بأن يكون الفلسطينيون طرفا أصيلا فى حل المشكلة مثلهم كمثل أى دولة عربية من دول المواجهة فى أى مباحثات دولية للتوصل الى تسوية شاملة للمشكلة بل أن السادات استطاع أن ينتزع من النظام الأردنى الذى طرد وطارد المقاومة الفلسطينية الباسلة اعترافا بالتدريج جزئيا حقا فى البداية ولكن شاملا فى النهاية فى مؤتمر الرباط بأن منظمة التحرير هى الممثل الشرعى للشعب الفلسطينى •

وأصبحت منظمة التحرير مراقبا فى هيئة الأمم وعضوا عاملا فى منظمة الدول غير المنحازة وأصبح الاعتراف بها عالميا •

الآن السؤال اى الفريقين اصح ؟ : عندما نقول أن أصحاب الرأى الثانى ومن بينهم جمال عبد الناصر ـ هم أصحاب الرأى السليم فنحن لا نجاوز الحقيقة •

ان سلامة أى خطة سياسية تقترب بالدرجة الأولى بملاءمتها للظروف الموضوعية والذاتية التى يمكن أن تكسب تلك الخطة السياسية « النظرية » قوة مادية على أرض الواقع اذ لا تتحدد سلامة أى خطة سياسية على الاطلاق بمدى ضخامة الشعارات التى تطرحها تلك الخطة • وبالنسبة لقضية فلسطين لقد أثبتنا أنه فى وقت من الأوقات (١٩٤٨) كان شعار التقسيم

هو « أحسن الحلول السيئة » أو الحل الممكن الوحيد فى تلك الفترة ومن هنا فقد كان الحل السليم هو الحل الثورى بينما كان شعار الحرب ضد اسرائيل الذى طرحته الرجعية العربية وانجرفت وراءها قوى وطنية عربية أصيلة كان شعارا ديماجوجيا لم يؤد الا الى تنفيذ المؤامرة ضد الوجود الفلسطينى لا الوجود الاسرائيلى وضد تقدم حركة التحرر الوطنية العربية عموما • فاذا ما تناولنا الموقف الآن فاننا سنجد أنه منذ عدوان ١٩٦٧ (وقبله طبعا) طرحت المقاومة الفلسطينية شعار القضاء على اسرائيل وعندما لم يجد ذلك الشعار صدى فى الرأى العام العالمى بل تسبب للقضية فى أضرار محققة غيرت المقاومة الشعار واستبدالته بشعار آخر وهو اقامة الدولة الفلسطينية العلمانية الديمقراطية وتحول فى الحقيقة الى شعار للقضاء على اسرائيل من جديد ولكن من النافذة ؟ اذ أبرز أصحابه أن وسيلتهم لتحقيقه هى استمرار الكفاح المسلح لاقتحام الكيان الصهيونى واجتثاث الصهيونية من جذورها واقامة تلك الدولة الفلسطينية المنشودة •

ولابد من الاعتراف هنا أن المقاومة الفلسطينية التى تمثل أعظم وأنبل ما أنتجه الشعب الفلسطينى شأن أى مقاومة شعبية فى العالم ليست هى المسئولة وحدها عن طرح مثل ذلك الشعار غير الواقعى انما ساعدها على ذلك نفر ممن يمكن تسميتهم بالمنتفعين بالقضية الفلسطينية خصوصا بعض الكتاب والصحفيين الذين تصدوا فى مجالات الاعلام والدعاية باسم المقاومة أو لصالحها • ومجال الاعلام كما هو معروف هو أسهل المجالات « النضالية » فهو غالبا نوع من كفاح الفنادق ودردشات الكافيتريات والحفلات والسفريات التى لا تنتهى وهذا النفر من الرجال مارسوا المزايدة على الثورة الفلسطينية وزينوا لها شعارات لا تعدو أن تكون نوعا من الأوهام السياسية من أجل الانتفاع والنصب والاحتيال •

وبعض هؤلاء يكاد يكون من مصلحتهم ألا تحل المشكلة الفلسطينية وأن يستقر الشعب الفلسطينى فى وطن لأن ذلك سيضع حدا للامتيازات والثراء والمصروفات « النثرية » المختلفة أو بالقليل الاستمرار فى ارتداء ثياب الشهداء والمناضلين المرموقين •

ونحن نتكلم وعندنا تفاصيل التفاصيل ولكن ليس هذا وقت فتح ملف الثورة الفلسطينية ليكشف حقيقة أولئك المنتفعين من خارج تلك الثورة الذين انتفعوا بالمزايدة على نضال وتضحيات المناضلين الفلسطينيين البواسل الذين كانوا يربطون الأحزمة الناسفة ليفجروا ممتلكات وتجمعات العدو ويستشهدوا فى بطولة وتضحية فذتين •

تعالوا نر هل يمكن القضاء على اسرائيل ؟

هل بوسع حركة التحرير العربية ان تقضى على الكيان الصهيونى فى المنطقة وتستعيد كل أرض فلسطين ؟ ٠

اننا نقول لا ٠٠ لا ٠٠ ونضيف على ذلك ان مثل ذلك الشعار ليس حلما من الأحلام بل هو وهم من الأوهام يعرف أصحابه استحالة تحقيقه لماذا ؟ اننا سنغفل الحديث عن المقاومة الضــــارية المتوقعة من الشعب الاسرائيلى ذاته ازاء تلك المحاولة والشعب الاسرائيلى هو فى الحقيقة امتداد للحضارة الأوروبية فى المنطقة أى قادر على اســتخدام الســلاح ومتقدم تكنولوجيا فضلا عن أن الشعب الاسرائيلى لا تنقصه فى حالة مثل تلك الحرب التى تهدف الى تدمير دولته لا تنقصه المعنوية العالية للقتال دفاعا عن وجوده ٠ ومن الممكن حقا أن يكون العرب ــ موحدين ومنظمين ــ قادرين مع ذلك على سحق هذه المقاومة الضارية وتدمير الكيان الصهيونى فعلا ولكن العرب للأسف لن يحاربوا مثل تلك الحرب فى كوكب المريخ أو فى بلاد واق الواق وانما سيحاربونها فى كوكبنا الأرض ٠

وفى منطقة الشرق الأوسط حيث يوجد العملاقان الكبيران ودول أوروبا فان الولايات المتحدة لن تسمح بحال من الأحوال للعرب أن يحاربوا لتدمير الكيان الاسرائيلى ٠

انها قد ترغم على التراجع ازاء حرب عربيــة لازالة آثار العدوان الاسرائيلى ولكنها لن تسمح بعبور القوات العربية الحدود الاسرائيلية ٠

اننا رأينــا الولايات المتحدة تتدخل فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ لمنع هزيمة اسرائيل على أرض عربية فما بالك اذا دار القتال على أرض اسرائيلية؟ ومن السهل أن نتكلم عن تجييش الجيوش العربية وتنظيم الشعب فى فصائل محاربة وضرب الأمثلة بفيتنام والجزائر ٠

ولو أن الاسرائيليين يحتلون فلسطين كما كان يحتلها الانجليز لأمكن الحديث عن مقاومة الشعب الفلسطينى للاغتصاب الاسرائيلى ولكن أين هو الشعب الفلسطينى داخل دولة اسرائيل ؟

ان العرب فى اسرائيل عددهم محدود ولا يستطيعون طرد اليهود الصهاينة من أرض فلسطين ولا تستطيع المقاومة الفلسطينية ممثلة ذلك الشعب مهما بلغت من قوة ومن بسالة وتضحية أن تقضى وحدها على ذلك الكيان الاسرائيلى وتسترد الأرض التى يقوم عليها منذ عام ١٩٤٨ مهما بلغت ما قدمه العرب أو أى من دول العالم من مساعدات مادية ٠

ان أقصى ما يمكن ان تحققه المقاومة الفلسطينية هو انتزاع اعتراف العالم بحق الشعب الفلسطينى فى دولته ٠ وهذا قد تحقق فعلا وكذلك

« تأريق » العدو الاسرائيلى وزلزلة أمنه ولكن ليس انهاء وجوده بأى حال من الأحوال ٠

اذن فان القوة الحقيقية القادرة على ذلك الانهاء هى الجيوش العربية والجيوش النظامية بالذات لاعتبارات عسكرية وجغرافية وعلى هذه الجيوش أن تتوقع الصدام بالجيش الأمريكى وجيوش أخرى غربية فهل الظروف مواتية لمثل ذلك النوع من الحرب فى المنطقة العربية لعشرات السنين ؟!

● من الحليف ؟

على أنه يجب الالتفات الى حقيقة مهمة وهى أن العرب اذا ما أرادوا أن يخوضوا مثل تلك الحرب الطويلة لابد لهم من حليف يواجه معهم الولايات المتحدة ومن سيكون معها وعندما نتحدث عن فيتنام لابد أن نعرف أن شعب فيتنام لم يكن وحده لقد كان مدعوما بتأييد مادى ومعنوى وعسكرى لا حد له من جانب المعسكر الاشتراكى كله بل ومن العالم حتى داخل الولايات المتحدة حيث كانت المعارضة للتدخل الأمريكى تنخر فى عظام ذلك التدخل وتزلزله ٠

والحليف الرئيسى لحركة التحرير العربية كان الاتحاد السوفيتى والدول الاشتراكية جميعا رغم موقف الاتحاد السوفيتى من الكيان الاسرائيلى اذ معروف أنه وافق على انشاء دولة اسرائيل منذ البداية (عام ١٩٤٧ بعد أن تعذر انشاء دولة فلسطينية موحدة) والاتحاد السوفيتى وافق على ذلك الانشاء على أساس نظرى مبدئى (من وجهة نظره) فهو قد سلم بوجود قومية اسرائيلية من حقها تقرير مصيرها ٠ ورغم اعتداءات اسرائيل المتتالية على الحدود العربية ورغم اعتدائها عام ١٩٥٦ واعتدائها عام ١٩٦٧ وتعنتها وتحديها لارادة المجتمع الدولى واعتداءاتها على جنوب لبنان ورغم صلات الاتحاد السوفيتى الوثيقة بالمقاومة الفلسطينية ورغم مساندته للنضال العربى عموما ورغم دمغه لاسرائيل بالعمالة للامبريالية الأمريكية بل ورغم المشكلة اليهودية الصهيونية التى كان يعانى منها الاتحاد السوفيتى والدور المخرب الذى قام به كثير من اليهود السوفيت داخل الاتحاد السوفيتى السابق بتحريض وتأييد من اسرائيل والصهيونية العالمية ورغم شجب السوفييت للصهيونية العالمية منذ أيام لينين والدور النشط الذى قاموا به فى هيئة الأمم لاستصدار قرار دولى ضد الصهيونية رغم هذا كله فان الاتحاد السوفيتى سابقا لم يغير رأيه ازاء وجود اسرائيل كدولة ٠ انه يتعامل معها مثل أى دولة لها حقها فى الوجود فقط هى الآن دولة عدوانية رجعية يلزم أن تقف عند حدها وتكف أذاها عن جيرانها ٠

لقد كان يهاجمها فى صحفه ويصدر الكتب لكشف اتجاهاتها

التوسعية ويساعد الشعوب العربية المعتدى عليها منها ويمضى فى مساعدته الى حد التصدى بالانذار (عامى ١٩٥٦ ـ ١٩٦٧) ويقطع العلاقات الدبلوماسية معها ولكن دائما فى حدود الاعتراف بوجودها كدولة وشعب له حق الوجود وتقرير المصير .

اذن فالاتحاد السوفيتى لم يكن ليوافق العرب أبدا بعد أن يتحدوا وينظموا أنفسهم ـ للعمل من أجل غزو تلك الدولة ولن يساندهم ولن يمدهم بالسلاح ، وهو يصدر فى ذلك الموقف عن اعتبارين :

الأول : موقفه المبدئى ازاء حق الاسرائيليين فى أن يكون لهم دولة .

الاعتبار الثانى : أنه لم يكن يسمح بأن تدخل الولايات المتحدة المنطأة مدافعة عن وجود اسرائيل لاعتبارات تتعلق بالتوازن الدولى ومصالح الأمن الخاصة به وحرصه على تفادى خطر المواجهة مع أمريكا .

ولقد كشف أنور السادات عدة مرات أن الاتحاد السوفيتى كان يؤكد موقفه هذا لمصر سواء فى عهد عبد الناصر أو السادات وكان يحلو لبعض أنصار الشعار الوهمى ذاك أن يعلقوا آمالا على مساندة الصين الشعبية لتحقيق « فتنمة » الوضع فى الشرق الأوسط مع انه كان واضحا أن يد الصين الشعبية كانت قصيرة عن التأثير جديا فى مجريات الأمور فى المنطقة وكانت تكتفى فقط بالشعارات بل بالتحريض ضد الاتحاد السوفيتى نفسه .

وفى مثل تلك الحرب لن تكون الولايات المتحدة وحدها بل ان ما استطاعت السياسة العربية والمصرية بالذات أن تحققه (نتيجة حرب أكتوبر) من ايجاد تناقض بين سياسة دول أوروبا الغربية وسياسة الولايات المتحدة تجاه العدوان الاسرائيلى ستتجدد وتتراخى كتلة التحالف الغربى مرة أخرى بزعامة الولايات المتحدة وتندثر الصداقة العربية الفرنسية والحوار العربى الأوروبى وغيرها من أشكال العلاقات العربية مع أوروبا الغربية . اذ يجب ألا ننسى أن دول أوروبا الغربية مازالت دولا استعمارية وأن أوروبا الغربية ألقت بعبء حل المشكلة اليهودية على الشرق الأوسط منذ نازية هتلر فضلا عن قوة النفوذ الصهيونى فى تلك الدول تاريخيا ونتيجة لتشابك الاحتكارات العالمية ومن هنا فان تلك الدول ستقاتل ضد العرب اذا ما أرادوا القضاء على اسرائيل .

● بل حتى بين دول عدم الانحياز كانت اسرائيل ستجد أنصارا كثيرين وسيخسر العرب مؤيدين أكثر .

● والأمم المتحدة فى معظمها كانت ستقف ضد العرب فقرار انشاء

اسرائيل صادر من تلك الهيئة وميثاقها ينص على ضرورة حماية الدول الأعضاء فيها وستتغير الصورة الموجودة الآن من اتجاه قوى بين دول المنظمة الدولية لطرد اسرائيل من عضويتها الى اتجاه لمساندتها والدفاع عن بقائها وسيصبح لتلك المنظمة « اسنان » لوضع قراراتها ضد الغزو العربى موضع التنفيذ ٠

ولقد أشار الكاتب المصرى أحمد بهاء الدين مرة فى واحدة من مقالاته فى جريدة الاهرام عام ١٩٧٤ الى أنه اذا ما كان الذى حدث عام ١٩٦٧ هو محاولة العرب غزو اسرائيل لوقف العالم كله ضدهم ولمنعهم ٠

● واذا ما عرضنا على الرأى العام العالمى فان اثارة العرب لمثل تلك الحرب ضد الوجود الاسرائيلى كانت ستجعل اسرائيل تكسب ذلك الرأى العام على الفور بما فيه الرأى العام الديمقراطى فلا ننسى هنا ما أشرنا اليه فى صفحات سابقة من الوشائج التاريخية التى تربط بين القوى التى ناضلت ضد النازية وبين اليهود الذين كانوا ضحية لها وفى الغالب ستتكون فرق متطوعين ديمقراطيين ورجعيين أشبه بتلك الفرق الدولية التى تكونت أيام الحرب الأهلية الأسبانية مع فارق واحد أنها ستحارب جميعا ضد العرب ٠ هذا كله كان أيام انقسام العالم الى معسكرين ٠٠ أى وجود حليف للعرب قوى اسمه الاتحاد السوفيتى ٠٠ أما الآن فقد تلاشى واندثر !!

لهذه الأسباب وغيرها كان من المتعذر على حركة التحرير العربية ازالة اسرائيل ومن هنا فان هذه العملية ستكون خارج مهام تلك الحركة ٠

وأنصار التقسيم عام ١٩٤٧ عندما اضطروا الى المناداة به انما كانوا يرون فيه طريقا لاحتمال أكثر لاقامة وحدة فى المستقبل بينهما وكانوا يستشرفون المستقبل وتصور كيفية امكان تحقيق تلك الدولة الموحدة أن لذلك شروطا محدودة :

● أن تتم وحدة العالم العربى فى دولة ديمقراطية متقدمة وعصرية تلعب دورا عالميا مؤثرا يتفق مع كون العرب القوة السادسة فى العالم حقـا ٠

● أن تتحسن العلاقات بين العرب والأقطاب الدولية على أسس ندية

● بمرور الأيام ستنمو قوى السلام والديمقراطية داخل الدولة الاسرائيلية وترجح كفتها ٠

● اقامة تعاون اقتصادى واسع المدى فى المنطقة بعد السلام العادل الشامل ويطرح أنصار شعار القضاء على اسرائيل سؤالا أو تساؤلا : ان

اسرائيل مادامت موجودة فستظل تعتدى على العرب وتتآمر ومن ورائها الاستعمار ـ لمنع وحدتهم أو تقوية شوكتهم • وهذا احتمال وارد بل سيظل الاستعمار مادام موجودا يحرض على الشعوب فى أى مكان فى العالم وليس أمام الشعوب الا أن تقاتل لصد اعتداءاته وتحرير نفسها من نفوذه ولكن هذه الشعوب لا تطرح فى جدول أعمالها مهمة غزو عقر دار الاستعمار للقضاء على الولايات المتحدة وبريطانيا مثلا والا كان ذلك معناه الحرب العالمية الثالثة •

ولقد بينا فيما سبق الموانع التى تجعل محاولة القضاء على اسرائيل عملا أخرقا لن يؤدى الى نتيجة سوى خراب ودمار وربما للعالم كله • ورغم وضوح هذه الحقائق من زمان طويل الا أن الذين تصدوا لحل المشكلة الفلسطينية تجاهلوها واكتفوا باطلاق الشعارات التى سببت أضرارا جسيمة لنا قبل حرب ١٩٦٧ بالذات • وقد انبنى على هذا التجاهل مواقف غريبة حقـا •

لقد تجاهلت حركة التحرير العربية وجود أكثر من سبعمائة ألف عربى فلسطينى فى اسرائيل واتهمت كل من يناضل داخل تلك الدولة لالغاء التمييز العنصرى الواقع عليهم بأنه خائن لأنه يقبل العيش تحت العلم الاسرائيلى ! وأثبتت الأيام أن هـؤلاء المواطنين كانوا من أصـلب الفلسطينيين وأكثرهم تمسكا بتراب أرض الوطن • ولو أن نصف مليون فلسطينى آخر حذوا حذوهم ولم يهاجروا وقاموا محاولة تهجيرهم لكانت الصورة فى اسرائيل مختلفة الآن •

والآن يتغنى العالم العربى كله ببطولة السبعمائة ألف فلسطينى فى اسرائيل وأدباء العرب يتغنون بأشعار شعرائهم مثل سميح القاسم وزياد وجبران ومحمود درويش وغيرهم •• لأنهم يناضلون حقا فى عقر دار العدو العنصرى ببطولة رائعة • ولقد تجاهلت حركة التحرير العربية أيضا قوى التقدم داخل اسرائيل يهودية كانت أم عربية ونظرت الى تلك القوى بطريقة المعادلات الرياضية اسرائيل = دولة صهيونية والصهيونية دعوة رجعية اذن كل اسرائيلى رجعى•وقد ناقش الدكتور اسماعيل صبرى عبد الله وزير التخطيط المصرى السابق فى كتابه القيم فى مواجهـة اسرائيل تلك القضـــية فقال : « ويقول بعض الاشـــتراكيين العرب ان المواطن الاسرائيلى رجعى بالضرورة لأنه لو كان يهوديا تقدميا لأدان الصهيونية ولرفض الهجرة ولبقى فى موطنه الأصلى يناضل الى جانب القوى التقدمية فيه وهذا تبســيط شــديد للأمور ونفى كامل لآثار التضـــليل واحتمالات الخداع للجماهير وبهذا المنطق كان يتعين اعتبار الأغلبية الساحقة من الألمان رجعيين أصلاء لأن الواقع التاريخي هو أن الحزب النازى قد

حصل لعدة سنوات على تأييد شبه اجماعى فى ألمانيا وكان معارضوه قلة معدودة كما أن هذه الرأى يغفل تماما العوامل التى ساعدت فى أوروبا الدعوة الصهيونية وفى مقدمتها عمليات ابادة اليهود والتنكيل بهم فى ظل سيطرة هتلر على أوروبا كلها • وأخيرا فان هذا الرأى يفترض الجهود المطلق فى مواقف الناس الاجتماعية والفكرية فصاحب الفكر الرجعى يستحيل أن يتطور تفكيره اطلاقا بل محكوم عليه أن يظل رجعيا الى الأبد » •

ونحن نضيف الى ذلك أن موقف التجاهل هذا هو موقف أفقد حركة التحرير العربية أنصارا فاذا كان اليهودى الاسرائيلى مختلفا مع تلك الحركة فى أمر وجود اسرائيل ذاتها ولكن متفق فى رفض الاحتلال الاسرائيلى للأراضى العربية ومتفق معها فى ضرورة اقامة وطن محدود للشعب الفلسطينى • ان مثل ذلك اليهودى حليف ولا شك للجبهة العريضة التى تسعى حركة التحرير الوطنى العربية لاقامتها •

ودور الحزب الوطنى الشيوعى الاسرائيلى « راكاح » وغيره من المجموعات التقدمية الاسرائيلية مثل ميرتيز وحزب المابام وحركة السلام الآن معروف الآن وبارز تصور النضال الشريف ضد التوسع الصهيونى ومن أجل جلاء القوات الاسرائيلية من الأرض العربية ومن أجل الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى (فى اطار بقاء اسرائيل) •

وماذا يمكن أن تصف شخصا مثل لطيف دورى أحد زعماء البرلمان الذين ينادى باقامة دولة فلسطينية منذ أكثر من خمسة عشر عاما •• ويحكم عليه بالسجن لأنه ترأس وفدا اسرائيليا التقى بياسر عرفات فى رومانيا منذ سنوات قليلة ويوسطه ياسر عرفات لدى اسحق رابين للافراج عن الشيخ أحمد ياسين زعيم منظمة حماس المسجون بسجون اسرائيل منذ سنوات طويلة ؟!

مقدمات كامب ديفيد ؟ !

مدخل أنور السادات الى كامب ديفيد ٠٠ كان حرب أكتوبر ١٩٧٣ ٠٠

وسنرى كيف كانت وجهة نظر السادات وحدود انتصاره فى تلك الحرب ٠٠

فى نهاية حرب أكتوبر رأى السادات ان اصرار الولايات المتحدة على مساعدة اسرائيل بالجسر الجوى وطائرات الاستطلاع وغيره سيوسع من نطاق الحرب ويجبره على اشراك جماهير مصر والجماهير العربية فى تلك المعركة مما سيفتح الباب لتغيرات جذرية راديكالية واسعة فى المنطقة كلها هو والبرجوازية العربية كلها فى غنى عنها ! وهذا ليس بجديد على البرجوازيات الوطنية فى العالم كله اذ هى تفضل حل المشكلة الوطنية دون مشاركة شعبية ثورية ٠

ولم يكن فى العالم العربى قوى شعبية ضخمة تدفع أنور السادات الى الاستمرار فى تحدى الولايات المتحدة والدفع بالموقف الى النهاية ولو الى حرب تحرير شاملة ٠

هكذا كان ميزان القوى الاجتماعية فى مصر ٠٠ يسمح فقط بحرب ضد العدو محدودة لتحريك القضية بعد أن تكون مصر وسوريا قد حققتا انتصارا يجعلهما اليد العليا فى المفاوضات مع اسرائيل وأمريكا ٠ ووجهة النظر هذه ليست خطأ تماما فاذا كان ممكنا تحقيق التحرير دون تضحيات مادية أو بشرية هائلة فذلك أفضل بكثير حتى لو اضطرت الحركة الوطنية لاستكمال ما تخلف من تحرر بعد ذلك ٠

كان هذا هو هدف حرب أكتوبر بالتحديد ٠٠ ولم يكن يدور بخلد أنور السادات ابدا أنه ماض فى تسيير الجيش المصرى لتحرير سيناء ثم الضفة الغربية وغزة والجولان ٠٠ لانه يدرك أنه لابد أن أمريكا ستدخل عسكريا ٠ وسيفتح ذلك الباب لحرب شعبية واسعة ، وهذه الحرب كانت مرفوضة أيضا من معظم البلاد العربية التى كانت متضامنة معنا ٠٠ لأن « نار » تلك الحرب كانت ستصيبها حتما ٠٠ لذلك كانت حرب أكتوبر نوعا من الضغط على أمريكا واسرائيل وتعبيرا عن الميزان العسكرى ٠

وعندما نتحدث عن انتصار حرب أكتوبر نقصد بالدرجة الأولى أن الجيش المصرى قد أثبت أنه ند للجيش الاسرائيلى ويستطيع أن يضربه ضربات موجعة ويهزمه فى معارك حاسمة مثل معركة خط بارليف التى انتصرنا فيها فى ظرف ست ساعات ٠

وهذه كانت أول مرة يحقق فيهـا جيش عربى نصرا على جيش اسرائيل وأصيبت العسكرية الاسرائيلية بارتباك وحدث زلزال فى اسرائيل ازاء تلك الهزيمة والخسارة الهائلة فى الأرواح •• وتدخلت الولايات المتحدة ، وحدث الميل فى الميزان •• وهذا الميل والتغير هو الذى تجاهلته وأخفته وسائل الاعلام المصرية لفترة طويلة •

الأول : على الجبهة السورية تبدل انتصار الجيش السورى الى هزيمة وخسارة فادحة ولولا مساندة الجيش العراقى واللواء المغربى لكانت الكارثة أفدح لأن دمشق كانت على مرمى من المدافع الاسرائيلية •

ثانيا : استطاع الاسرائيليون عن طريق الثغرة العبور الى الضفة الغربية لقناة السويس •• بقوات كثيفة بعد ذلك وعجزت وسائل الدفاع الجوى المصرية عن مواجهة أفواج الطائرات الاسرائيلية الجديدة المستوردة رأسا من أمريكا •

ثالثا : بعد أن أصبح الاسرائيليون على مشارف السويس •• أعلن أنور السادات استغاثته بكل من أمريكا والاتحاد السوفيتى لوقف زحف الجيش الاسرائيلى المخالف لقرار مجلس الأمن بوقف القتال •• والناس ينسون هذه الواقعة لانه حدث بعد اذاعة نداء الاستغاثة تعتيم اعلامى كامل عليهـا •

وتوقف القتال بعد التهديدات السوفيتية والأمريكية المتبادلة وأصبحت القوات الاسرائيلية عند الكيلو ١٠١ وليس صحيحا أن الثغرة كانت (حكاية تليفزيونية) بل كانت حقيقية واقعة أثرت فى مجريات الأمور بعد ذلك لأنها كانت تعبيرا عن ميزان القوى فى تلك الحرب ولم يبالغ هنرى كيسنجر كثيرا عندما قال للأستاذ حسنين هيكل أيامها : لقد عبرتم الى الضفة الشرقية وعبر الاسرائيليون الى الضفة الغربية !• لقد بدا أنه نصر كبير لمصر لأنه لم يتحقق هذا التكافؤ قط منذ حرب ١٩٤٨ •

وكان الأمريكيون يدركون الوضع الجديد تماما • ان مصر اثبتت بحرب ١٩٧٣ أنها قوة عسكرية يحسب حسابها وتستطيع ايذاء اسرائيل لأول مرة فى تاريخ المنطقة •

وكان عليها أن توقف المد الثورى الكبير فى المنطقة وتأمر اسرائيل بالتراجع •• فحدث التراجع الى الضفة الشرقية وفك الحصار عن الجيش الثالث •

وان كان المثل الشعبي يقول « علي قد لحافك مد رجليك » فقد كان

هذا بالضبط ما تمخضت عنه حرب أكتوبر من نتائج سـواء فى فك الاشتباك الأول ٠٠ وفك الاشتباك الثانى ٠٠ ثم بعد ذلك فى الجلاء الكامل عن سيناء بشروط وتنازلات معينة ٠

لقد كان السادات يدرك حقيقة وضعه وامكانياته ٠٠ وركز على التفاوض ٠٠ وتلمس طرق تقديم التنازلات من أجل تحقيق التحرير خطوة خطـوة ٠

والغريب أن اليسار المصرى بما فيه قادة حزب التجمع اليسارى اليوم كانوا يؤيدون خطواته وسياسته هذه عند فض الاشتباك الأول وفض الاشتباك الثانى عام ١٩٧٥ ٠

بل ان الأسـتاذ لطفى الخولى القائد البارز فى حزب التجمع كتب سلسلة مقالات مشهورة فى جريدة الاهرام بعنوان « المدرسة الساداتية » جعل فيها للسادات نظرية واستراتيجية ومدرسة بين زعماء وقادة العالم الثالث ٠٠ وهو الأمر الذى لم يؤيده فيه كاتب مثلى سانَد سياسة السادات ودافع عنها باستماتة فيما يتعلق بالنزاع العربى الاسرائيلى ٠٠ وقدم الأستاذ لطفى الخولى فى مقالاته تلك نظام أنور السادات كنموذج غير ردىء بين دول العالم الثالث فى الديمقراطية والبراعة السياسية ٠

أما لماذا لم أتحمس أنا لهذه المقالات فلأنى كنت ومازلت أدرك حدود وطاقة البرجوازية الوطنية أو القادة الوطنيين عموما فى العالم الثالث ولا أعلق عليهم آمالا أكبر من طاقتهم وقدراتهم الثورية المحدودة ولذلك فقد توقفت دائما وقنعت منهم بأن يلعبوا دورا وطنيا على « قدر مصالحهم » فى اطار المسيرة الوطنية التاريخية الأرحب مدى والمرتبطة بالعدل الاجتماعى للجماهير ٠

لذلك لم أهتز قط فى مساندتى لأنور السادات ولم أتأرجح ٠٠ لأنى لم أبالغ فيما يمكن تحقيقه على يديه ٠ وهو فى الحصيلة النهائية قد حرر سيناء من الاحتلال ٠٠ وبذلك حل المشكلة الوطنية فى جوهرها ٠٠ وبقى على الطبقات والفئات الاجتماعية المصرية أن تحل مشاكلها وتناقضاتها داخل الوطن المستقل المتحرر من قوات الاحتلال وضغوطها ٠٠ وسنرى فى الصفحات التالية كيف ولماذا اتجه السادات الى اسطبل « داود » أو كامب ديفيد !

كامب ديفيد ١٩٧٨ .
وكامب مدريد ١٩٩١ ؟

كانت مفاجأة كلسع النار لمن استمعوا الى أنور السادات عندما فاجأ مستمعيه فى خطاب له فى نوفمبر ١٩٧٧ « انى مستعد أن أذهب الى أقصى مكان فى الأرض كى أطرح القضـــــية ٠٠ انى مستعد الى أن أذهب الى الكنيست ٠٠ ؟

ساءلت نفسى : هل سيفعلها السادات حقا ٠٠ هل سيزور اسرائيــل أم ماذا ؟ هل هى مجرد عبارات حماسية لتأكيد جدية مصر من أجل السلام مثلما يقول المرء لصديق له مستعد أروح وراك جهنم ؟!

وكلمت حامد محمود وكان وزيرا وأحد أمناء حزب مصر ٠٠ وكانت تربطنى به علاقة طيبة وسألته عن الحقيقة ٠ فقال انه فوجىء مثلى ٠٠ ويعجب من تصورى أن من الممــكن أن الســادات يعنى جـديا الســفر الى اسرائيل ٠

ولكنه أضاف قائلا لى ضاحكا :

ان اقتحــام الســـيد الرئيس لســتار الكراهية الحــديدى مـــع اسرائيل ٠٠ ما كان ممكنا أن يقوم به الا بفضــل اقتحامه الســابق لخط بارليف ٠٠

وبالفعل ٠٠ ما كان بوسع أنور السادات أن يزور اسرائيل ونحــن مهزومون قبل أكتوبر ١٩٧٣ ٠٠ فمثل تلك الزيارة يومها تكون نوعا من حج المهزوم الى بيت قاهره ٠٠ لكن بعد الحرب يستطيع أن يزورها عــلى قدمين ثابتتين كما قال هو غصن الزيتون فى اليد التى حملت البندقية فى حــرب أكتــوبر ٠٠

وكان أنور السادات قد كرر فى بعض خطبه عبارة توضح سياسته وهى « الذى لا يتحرك يتجمد ٠٠ والذى يتجمد ينعــزل ٠٠ والذى ينعــزل يختنق ويموت ! ٠ أنا لا تهمنى الاجراءات الى جنيف ٠٠ أنا لا يهمنى الا

الموضـــوع ٠٠ والموضـــوع عنـدى هـو دولة فلسـطين وتحرير الأرض المحتـــلة » ٠

لقد تحققت بعض النتائج بعد الفصل الأول ٠٠ والفصـــل الثانى للقـــوات ٠٠ فقد اسـتعادت مصر بعض آبار البتـرول التى كانت تحتلها اسرائيل وكسبت مصر من ذلك دخلا يقدر ببضع عشرات من الملايين ٠

★ بالنسبة للقضية الفلسطينية صدرت عدة قرارات دولية تؤكد حق الشعب الفلسطينى فى اقامة وطن ودولة كما أعتـــرف مسئولون أمريكيون بالحقوق القومية للشعب الفلسطينى بعد هذا بدا أن القضـية قد سقطت فى هوة التجمـــد ٠٠

كما جاء وقت انتعش فيه الأمل فى عقد مؤتمر جنيف خصوصا بعد أن صدر بيان أمريكى سوفيتى بذلك ولكن سرعان ما حدثت حملة ضغط اسرائيل وصهيونية ضد هذا البيان وتساءلت وسائل الاعلام الأمريكية المحكومة بالصهيونية عن مبررات الرئيس جيمى كارتر فى اشراك الاتحاد السوفييتى فى حل قضية الشرق الأوسط ؟ ٠ كما نسفت وصدرت بعد ذلك ورقة عمل أمريكية ـ اسرائيلية فى الواقع نسفت البيان الأمريكى السوفيتى وبددت آمال انعقاد مؤتمر جنيف فى نفس الوقت بدأت اسرائيـل نغمـــة جديدة عبر عنها رئيس الأركان الاسرائيلى جور بالتهديد بشن حرب وقائية ضد العرب « تخرج الجيش المصرى والسورى من حساب القوة العسكرية العربية لعشر سنوات على الأقل » علاوة على اذاعة تقارير صحفية تؤكـد أن قوة اسرائيل أصبحت توازى ٢٦٠٪ من قوتها قبل حرب أكتوبر بفضل الدعم الأمريكى طبعا مع حيازتها للقنابل الذرية ٠

هذا كله فى وقت بدا فيه أن الولايات المتحدة عازفة تماما عن القيام بأى دور مما كانت تأمل فيه الادارة المصرية بعد أن كـان الرئيس كارتر يتبـــرع بطمأنة أنور السادات أنه قـادر على الضـغط على اسرائيـل ٠ بل يستنكر تصريحـات رئيس الأركان بشن الحرب الوقائية المشار اليهـا ضـد العـرب ٠

ولخصت مجلة النيوزويك الموقف عندما قالت :

« كان واضحا أن الســادات يرى أن الولايات المتحدة بطيئة فى دفع عملية السلام وكان كارتر يبدو ضعيفا ولم تكن هناك طريقة تمكنه من لوى ذراع اسرائيل ٠ وكاد العام ينصرم وينتهى وكل دفعة الســـلام التى بدأ منذ أول كيبور تكاد تتوقف » ٠٠ كما أن العجز السوفيتى قد بدا واضحا عن عمل شىء ما فى الوقت الذى تتدهور العلاقات بينه وبين مصر

يوميا بالاضافة الى ازدياد الأزمة الاقتصادية فى مصر مما أكد حاجتها الماسة للسلام وكان على أنور السادات أن يفعل شيئا لانهاء الركود واعادة بعث القضية : قضية الشرق الأوسط مرة أخرى الى جدول أعمال الاهتمام العالمى ·· فكما رأينا أن حرب أكتوبر لم تحسم النزاع العربى الاسرائيلى بعد التحول الخطير الذى حدث فى مسار الحرب بنجاح الاسرائيليين فى احداث « الثغرة » التى أوضحنا من قبل أنها لم تكن لعبة تليفزيونية كما حاول الاعلام المصرى تصويرها بل انها كانت نقطة تحول خطيرة فى حرب أكتوبر أخلت بالتوازن الذى هدفت الى تحقيقه تلك الحرب ·

واذا كانت حرب أكتوبر قد نجحت فى تحريك القضية عام ١٩٧٣ فهل كان بوسع أنور السادات أن يحركها مرة أخرى عن طريق الحرب ؟ ··

لقد استقر فى وجدانه أن الحرب لن تصلح لحل المشكلة بعد تجارب حروب ١٩٤٨ ، ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ ، ١٩٧٣ ·· وهذا التصور بالتأكيد تختلف معه تيارات وأحزاب وقوى سياسية أخرى ·· ولكن تلك هى حدود الطاقة الثورية للقيادات العربية الحاكمة فى منطقة الشرق الأوسط اليمين منها واليسار ولاحظ أن ذلك كان فى عهد وجود المعسكر الاشتراكى الذى كان يشد أزرها ويشجعها الى حد ما ·· ترى كيف سيكون الحال فى أيامنا ومستقبل أيامنا بعد اندثار ذلك المعسكر وانفراد الرئيس بوش برئاسة كوكب الأرض ؟ ··

والواقع أن أنور السادات كما شرحنا من قبل كان قد أدرك أنه لا يستطيع الاعتماد على الاتحاد السوفيتى فى انتزاع حقوقه من اسرائيل بالقوة بعد ما حدث فى حرب ١٩٧٣ ·

وكان أمامه اما الحرب وهو عاجز عنها ولا شك بينما كانت اسرائيل تهدد بها واما البحث عن طريق آخر على طريقة الصدمة الكهربائية لبعث القضية من جديد ··

وكان أنور السادات قد لاحظ أنه جرب الاتصال غير المباشر مع اسرائيل من خلال زيارات كيسنجر المكوكية فلماذا لا يعمد الى الاتصال المباشر ·· خصوصا ان مثل ذلك الاتصال المباشر سيؤدى الى الاتصال والتخاطب مباشرة مع الشعب الاسرائيلى نفسه ·· والذى كان متجاهلا دائما خلال عمليات الحرب أو السلام ·

وقرر أنور السادات أن يتوجه الى اسرائيل مباشرة مع ان المستر بيجن وكل قادة اسرائيل كانوا يتمنون مقابلة الرئيس المصرى أو أى رئيس آخر فى أى مكان فى العالم لأنهم لم يكونوا يحلمون بلقاء فى قلب

اسرائيل نفسها لكن أنور السادات المولع باستخدام أسلوب الصدمات الكهربائية قرر أن يقوم بصدمة جديدة ٠٠ فكان قراره التاريخى بزيارة اسرائيل ومخاطبة الشعب الاسرائيلى من فوق منبر الكنيست ٠٠

ولقد طرح البعض على أنور السادات أن يأتى بيجن الى مصر وكان بيجن مستعدا لذلك الا أن السادات رفض الفكرة لأنه رأى أنها ستقلل من قيمة مبادرته وآثارها والمغزى الهائل الذى قصده ٠٠ ان بيجن كان سيكسب تأييدا عالميا باعتباره مبادرا من أجل السلام وبزيارته للبلد الذى يعادى بلاده منذ ثلاثين عاما ٠

أى باختصار كان بيجن سيكسب ما هدف السادات الى كسبه ولم يكن أنور السادات يستشعر أنه سيقلل من قيمة مصر وكرامتها لقيامه بزيارة اسرائيل فقد كان يزورها من موقع الانتصار النسبى فى حرب أكتوبر وقد سبق فى الفصول السابقة أن أوضحنا أن ذلك الانتصار النسبى يعنى أن الجيش المصرى قد أثبت أنه ند للجيش الاسرائيلى ويستطيع أن يهزمه فى معارك ويسبب خسائر موجعة لاسرائيل بعد أن كانت هزيمة الجيش المصرى وأى جيش عربى (تقليدا عسكريا) فى كل حرب مع اسرائيل ، كما أن أنور السادات خطط للدفاع فى محادثاته مع القادة الاسرائيليين للدفاع عن حقوق القومية العربية وعلى رأسها حقوق الشعب الفلسطينى ٠ بل أخطر من هذا فان أنور السادات أجرى اتصالات سرية عن طريق تشاوشيسكو وغيره مع اسرائيل ليتأكد مقدما أنه سيكسب شيئا من رحلته فضمن أنه سيسترد سيناء على الأقل ٠ ومن هنا يتضح أنه لم يكن يفرط فى حقوق البلاد أو يقدم شيئا دون ضمان ثمن فى تلك الزيارة التاريخية ، لم يستطع اليسار المصرى ان يستوعب هذه الحقائق جميعا وبادر باتخاذ موقف المعارض العنيف للمبادرة الى حد الصدام مع النظام بالوقوف علنا الى جانب هجوم العرب الذين تحولوا الى أعداء ألداء للنظام ٠٠

هذا رغم أن اليسار المصرى بالذات كان مفروضا أن يبتهج برد اعتبار أكبر زعيم عربى له ٠٠ اذ أن زيارة أنور السادات التاريخية للقدس التى كانت اعترافا بالدولة الاسرائيلية كانت تعنى أن موقف اليسار المصرى وخاصة الشيوعيين عندما أيدوا قرار التقسيم الذى صدر عن الأمم المتحدة عام ١٩٤٧ كان موقفا سليما ٠٠

وغنى عن البيان أن العرب مستحيل عليهم تحقيق قرار التقسيم اليوم ٠٠ كما أن الجميع أقصد جميع الدول والأحزاب والشعوب العربية تقريبا توافق اليوم على وجود اسرائيل كدولة وسعوا معها بشق الأنفس أن «تتكرم» بالموافقة على قبول دولة فلسطين بل تقبل التفاوض مع الممثلين الشرعيين

للشعب الفلسطينى (منظمة التحرير) .. «وساقوا» عليها دول العالم من أمريكا لفرنسا لايطاليا لألمانيا وحتى نيام نيام ان وجدت ! ..

كان أنور السادات مبادرا خلاقا عندما سبق غيره وأدرك حقائق العصر وكذب شعارات اسرائيل المزعومة .. وقرر التعامل مع الواقع واضعا نصب عينيه أن مرور الوقت لا يفيد الا اسرائيل .. ويضيع الحق العربى شيئا فشيئا ..

ولطالما صرخ بذلك ولكنه كان الصارخ فى البرية .. وجاء من بعده حسنى مبارك ليكرر نفس التحذير : الوقت فى غير صالح الفلسطينيين .. فلم يستمع اليه أحد الا أخيرا ومتأخرا جدا بعد أن ابتلعت اسرائيل أكثر من ثلث الضفة الغربية مستعمرات !

وكانت زيارة أنور السادات لاسرائيل اسقاطا لاتهام القوى اليسارية فى مصر والعالم العربى بالصهيونية والعمالة لها .. والا اتهم النظام المصرى كله ، بالصهيونية والعمالة لها أيضا بعد أن تحمست كل المؤسسات الدستورية فى البلاد لهذه الزيارة ، بل ان الشعب المصرى أيدها وفى حماسة شديدة ..

بل ان المبادرة التى قام بها السادات فى رأينا قد أنقذت نظامه .. فقد كان الناس فى حالة من التذمر شديدة .. ولم تقنعهم دعاوى الحكومة والسادات بالذات عن اعتبار ١٨ و ١٩ يناير هبة حرامية .. وكانت هيبة النظام قد سقطت حيث كان حديث السادات عن تلك الهبة فيه لجاجة وتكرار وغوغائية وجوفائية ان جاز التعبير وسخر التليفزيون ساعات مطولة ليكرر نفس الكلام فقد كانت ١٨ و ١٩ يناير قد أحدثت فيه جرحا غائرا لم يستطع التحكم فيه بضبط النفس الى آخر يوم فى حياته والأسعار ترتفع وبدأت سوءات النظام الانفتاحى تظهر ورائحة الفساد تزكم الأنوف ..

بالاضافة الى ذلك فى المشكلة الوطنية بدا أن حالة اللاحرب واللاسلم قد عادت من جديد .. وظهر استمرار احتلال جزء من أرض الوطن .. واستمرار وجود سرطان الاحتلال الاسرائيلى لأرض عربية أخرى .. وتبلورت القضية الفلسطينية أكثر .. ولم تفلح سياسة الانحياز للولايات المتحدة واساءتها للاتحاد السوفيتى لا فى استكمال التحرير ولا حل المشاكل الاقتصادية .. فقد كان الظن بعد وساطة أمريكا وزيارة نيكسون أن الخير الامريكى قادم ..

قال لى أنور السادات ذات مرة ونحن فى حديث بالاسكندرية .. ونحن نتحدث عن زيارة جنود وضباط البحرية الأمريكية الذين نزلوا من بوارج حربية أو حاملة طائرات لا أذكر .. أنه سمع كيف أن سائقى

التاكسى كانوا يستقبلون هؤلاء الجنود بابتهاج شديد ويقولون لهم « انتم كنتم فين » ؟ ‥ لأنهم كانوا يدفعون لهم بقشيشا كثيرا ‥ وبالدولار أيضا !

وكان السادات يحكى لى هذا وهو مغتبط ‥ ولما قلت له ان ذلك دعاية مقصودة ‥ أو من الطبيعى ذلك لأن الأمريكيين أغنياء ‥

قال لى ملوحا بيده ‥

ـ مش أحسن من أصحابك الروس ‥ روح شوف فى الزمالك البياعين بيشتموا فيهم قد أيه علشان لا يتركون قرشا واحدا من الحساب ‥ وبيدفعوا بالمصرى ‥

قلت ضاحكا ‥

ما هو ده باتفاق بينكم وبين الروس ‥ لأن الخبير الروسى بيأخذ ٣٠٠ جنيه فقط والأمريكى خمسة آلاف دولار ! ‥

قال ضاحكا وهو يقفل على الموضوع ‥

ـ مافيش فايدة منك !

كان السادات قد اختار الجانب الذى ينحاز اليه فعلا ‥ واعتقد بعجز السوفيت عن تقديم الجديد بينما عقد الآمال على عطاء متوقع من جانب الأمريكيين ‥

ولكن هذا العطاء قد تأخر ‥ وبالتالى بدأ التذمر يظهر ‥

وكان لابد من عمل شىء ‥ تحرك ما فى اتجاه القضية الوطنية أولا فقد كانت تلك القضية دائما فى مقدمة القضايا التى يهتم بها الشعب دائما ‥

على أن الشعب اذا كان قد أيد المبادرة بزيارة القدس والملايين التى استقبلت السادات أثناء عودته لم تكن محشودة بالقوة أو بالتضليل ‥ انما كان ذلك تعبيرا عن آمالها فى السلام والاستقرار بالخلاص من الاحتلال ‥

فان هناك قوتين رئيسيتين قد عارضتا هذه المبادرة ‥

فحزب اليسار المصرى شن حملة اعتراض وهجوم قاسية ضد مبادرة أنور السادات ٠

وللحقيقة لم يكن حزب اليسار وحده الذى عارض المبادرة بل أيضا

جماعة الاخوان المسلمين التى كان لها ممثل واحد فى البرلمان هو الأستاذ كمال عيد الذى صوت ضدها جنبا الى جنب مع النواب اليساريين الثلاثة ٠

كما أن جريدة الدعوة فى عدد ديسمبر ١٩٧٧ عارضت المبادرة فى مقال للاستاذ عبد المنعم سليم جباره ٠ أما حزب التجمع فقد أصدر بيانين أعلن فيهما معارضته لها الأول فى ١٦ نوفمبر ١٩٧٧ أى قبل سفر السادات للقدس بيومين والبيان التالى فى ٢٨ نوفمبر اذ لم يكن الحزب قد أصدر جريدة الأهالى بعـد ٠

وقد صدر بيان ١٦ نوفمبر موقعا من مقرر اللجنة السـياسية فى الحزب حينذاك الدكتور يحيى الجمل ومن مقرر عام الحزب السـيد خالد محيى الدين وقد اكد البيان ما ياتى :

ان حزب التجمع ليس ضد الحل السلمى ـ من حيث المبدأ ولكنـه يرى لمثل هذا الحل شروطا تتلخص فى استرداد الأراضى العربية المحتلة والحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطينى ٠

ان الزيارة تضعف التضـامن العربى الشرط الأسـاسى لتحقيق ارغام اسرائيل ٠

الزيارة اعتراف باسرائيل وبالقدس عاصمة لهـا ٠ ان الزيارة تتم فى وقت يزداد المتعصبون فى اسرائيل تعصـبا وأن بيجين رفض أى تنـازل ٠

ان الزيارة تشجع عددا من الدول على اعادة علاقتها مع اسرائيل٠

وبعد أن عاد انور السادات من زيارته للقدس طرح البيـان الثانى الحزب تساؤلات ثلاث :

١ ـ ماذا حققت الزيارة والسياسة الجديدة من نتائج ؟

٢ ـ وهل يؤدى هذا النهج الجديد فى معالجة القضـية الوطنية الى تحقيق السلام فى الشرق الأوسط ؟

٣ ـ وهل فات أوان التصحيح والبدء فى نقطة انطلاق سليم ؟

وخلص البيان الى أن الزيارة فشلت فى تليين موقف اسـرائيل المتشدد وأن ما حدث هو دفع من جانب مصر دون مقابل من جانب اسرائيل وان النتيجة العلمية لتلك الزيارة هى الغاء مؤتمر جنيف وأن معنى ذلك هو الاتجاه الى حل منفرد سواء شئنا أم لم نشأ ٠

وانعكست معارضة حزب التجمع للمبادرة على منظمة ديمقراطية غير حزبية هى المجلس المصرى للسلام الذى يرأسه فى مصر السيد خالد محيى الدين رئيس حزب التجمع اذ ان أنور السادات كان يتوقع أن يصدر المجلس تأييدا لمبادرته باعتبارها جهدا من أجل تحقيق السلام فى المنطقة ٠

ولكن السيد خالد محيى الدين رئيس حزب التجمع لم يدع المجلس للاجتماع رغم أن أحد أعضاء المجلس لفت الأنظار الى ضرورة انعقاده وقدم استقالته احتجاجا على عدم الانعقاد فأصدر أنور السادات قرارا بحل مجلس السلام وربما كان ذلك القرار أول قرار من قرارات أنور السادات العصبية ضد معارضيه فى جهوده من أجل السلام وهى القرارات الهوجاء التى تتالت بعد ذلك وأودت به الى السقوط فى مستنقع الديكتاتورية الرهيبة التى أغرقته فى النهاية !

وقد عارض كاتب هذه السطور قرار السادات بحل مجلس السلام رغم أنى كنت أول يسارى أعلن تأييده للمبادرة وما زلت أدافع عنها حتى الآن كما هو معروف ٠٠ كتبت أيامها لا نوافق على حل المجلس فان الغاءه يعنى قطعا لبعض شعرات معاوية القليلة الباقية بيننا وبين اليسار وقوى السلام العالمية ، التى تمثل أقوى جبهة وسند لنا فى معارك التحرير الماضية والحالية والمستقبلية أيضا ولم يعد يبقى فى الحقيقة غير شعرة واحدة هى منظمة التضامن الآسيوى الافريقى التى كان يعمل يوسف السباعى سكرتيرا عاما لها وقتها » ٠

ولم يكن السادات ولا انصار المبادرة فى ذلك الحين متفائلون بأنها ستحقق المعجزات على الفور ٠

ولا نريد أن نستفيض فى ذكر ما حدث بعد المبادرة ٠٠

ولكننا نذكر فقط أن المعارضين لها من العرب اتهموا صاحبها بالخيانة والعمالة ٠٠ رغم أن السادات قد طرح الحقوق العربية بشكل كامل وبأسلوب راق أثار عطف واحترام الرأى العام العالمى كله وأثر فى الموقف فى اسرائيل تأثيرا ضخما ، حتى أن جريدة الجيروزاليم بوست الاسرائيلية قالت وهى تعلق على زيارة مناحم بيجين بعد المبادرة لمصر فى الاسماعيلية ٠ « ان نقطة القوة فى موقف الرئيس السادات هى الآثار التى تركتها زيارته للقدس » ٠

ونحن نذكر أيضا بالموقف العربى الذى تزعمته العراق ضد المبادرة ٠٠ فقد قررت الأغلبية ادانة السادات ٠٠ ولكنها طرحت طريق التفاوض

أيضا مع اسرائيل لحل المشكلة فى شكل دولى ٠٠ بينما كان المتوقع أن تطرح شعار الحرب مثلا ٠٠

ومادام الناس قد وافقوا على مبدأ التفاوض ٠٠ فليس جوهريا أن تتم المفاوضة فى بيتك أو فى بيت غيرك أو فى مقهى ٠٠

وليس صحيحا أن السادات لم يستشر العرب ٠٠ بل أنه استشار حافظ الأسد رئيس سوريا الذى رفض المبادرة فطلب منه السادات أن يعطيه هو وسائر العرب الفرصة ليجرب ولا يهاجمونه ٠

وان كان لهم حق المعارضة طبعا ٠

ولكنهم هاجموه ولعنوه ٠٠ ثم عادوا بعد ١٣ عاما الى نفس طريقه وعلى مستوى أقل وفى ظروف أسوأ ٠٠

ونريد أن نوضح هنا فى الحقيقة أن الاتصال والتفاوض مع اسرائيل ليسا أمرا جديدا على ثورة يوليو كلها ٠٠ فلم يكن أنور السادات وحده هو الذى « اتصل » مع اسرائيل بل الحقيقة أن جمال عبد الناصر نفسه قد حاول ذلك الاتصال ٠٠ بل اعترف بوجود اسرائيل فى مؤتمر باندونج الذى أقر بالموافقة على قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين الى دولتين وهذا موجود رسميا فى وثائق المؤتمر عام ١٩٥٥ ٠

بعض الناس الناصريين بالذات يتصورون أن الاعتراف بوجود اسرائيل نوع من رجس الشيطان وأن زعيمهم بل زعيم مصر كلها جمال عبد الناصر وقتها لم يعترف بذلك الوجود بل كان يبغى القضاء على اسرائيل ٠٠ وهو نفس ما تردده الصهيونية عن فكره ٠٠ ولكن الحقيقة غير ذلك ٠٠ وقد سبق أن أشرنا الى ذلك فى صفحات سابقة ٠٠ ولكنا نضيف بعض الحقائق ففى نفس العام الذى صدرت فيه قرارات باندونج جرت اتصالات سرية بين مصر واسرائيل للاتفاق على السلام على أساس قرار التقسيم ولكن جولدا مائير تراجعت فى النهاية ٠٠٠ وهذه الاتصالات ذكرها السيد محمود رياض وزير الخارجية الأسبق فى مذكراته ٠

وكان للصحفى المرحوم الأستاذ ابراهيم عزت بروز اليوسف دور فى هذا الاتصال كما هو ثابت فى كتابه كنت فى اسرائيل ٠٠ الذى صدر عام ١٩٥٥ وفى كتاب للسيد محمد نجيب رئيس الجمهورية الأسبق ألفه عام ١٩٥٤ ونشر بالانجليزية عام ١٩٥٥ قال بوضوح أن الثورة كانت مستعدة للاتفاق مع اسرائيل لو أنها أصبحت دولة مسالمة واعترفت

بحقوق الشعب الفلسطينى ونشرت مجلة الأهرام الاقتصادى ترجمة لهذا الكتاب على حلقات .

وعام ١٩٦٦ عندما كان بعض العرب كالأردن والسعودية يضغط على جمال عبد الناصر لاثارة حرب ضد اسرائيل كان يرفض ذلك ويقول أنه لا يمكن اثارة مثل تلك الحرب الا بعد اتمام الوحدة العربية لأن من يحارب اسرائيل يحارب أمريكا ..

وحكى الدكتور ثروت عكاشة فى كتابه الكبير عن دور هؤلاء اليهود فى حرب ١٩٥٦ والاتصالات السرية التى كانت بين نظام مصر وبينهم فى صالح مصر ..

ولقد كتب الكثير جـدا عن كامب ديفيـد وتصـالح السـادات مع اسرائيل ..

ولذلك لا نريد ان نخوض كثيرا فى الدفاع عن سياسة السادات فى هذا المجال .. لماذا ؟

لأنه فوق الدفاع المشار اليه فقد اثبتت الخبرة التاريخية أن سياسة السادات كانت سياسة صائبة عموما . والعالم العربى كله يتقدم حثيثا من أجل محاولة تحقيق ما حاول الوصول اليه فى أعوام ٧٧ـ٧٨ـ١٩٧٩ .

وقد ثبت فساد الزعم بأن كامب ديفيد قد جلبت الانقسام فى العالم العربى .. وغيرت مسار التاريخ فيه الى أسوأ ..

وهذه مزاعم تعنى أن الدول العربية جميعا دول قاصرة .. اذا ما اتخذت مصر سبيلاً آخر فى سياستها مخالفا لها وقعت فى هوة الفشـل والتخبط ..

فقد اجتمعت كل تلك الدول بعد مبادرة السـادات .. وأرغت وأزبدت .. فماذا فعلت ؟ .. لم تتقدم خطوة واحدة على طريق حل القضية .. رغم أنه كان معها الاتحاد السوفيتى .. وكان معها العراق الدولة العربية القوية .. بل التى ثبت بعد ذلك انها أقوى من كل البلاد العربية أخيرا بكل هذا التسلح الخطير بما فيه التسلح الذرى أو الطريق الى حيازة الأسلحة الذرية .. وكانت هناك سوريا .. وهى دولة قوية ومسلحة من الاتحاد السوفيتى جيدا .. ثم الجزائر .. و .. و .. الخ .

وفى عام ١٩٧٩ بدلا من أن يستخدم هذا العالم العربى قوته التى بدت ظاهرة فى العراق فى الضغط على اسرائيل وأمريكا وليس الحرب ..

فضل العراق أن يتجه الى محاربة ايران (٤٥ مليون واسرائيل ٣ مليون أيامها) ·· ووقفت دول عربية بجانب ايران ··

وتركت قضية فلسطين عارية فى العراء ··

أين جدية أى قوة عربية (غير الشعب الفلسطينى) فى حل مشكلة النزاع العربى الاسرائيلى ؟ ·

وعندما غزت اسرائيل لبنان ١٩٨٢ ·· ماذا فعل السوريون ؟ ·· سمحوا للجيش الاسرائيلى بالمرور على بعد ١٠٠ متر من قواتهم ·· وكان بوسعهم أن يجروا العالم العربى كله فى حرب ضد اسرائيل باعتبارها دولة غازية لبلد عربى جديد ·· ولكنهم لم يفعلوا وخشوا العواقب ·· وكأنهم يعطون لأنفسهم الحق فى أن يخافوا من أى مغامرة ·· بينما على غيرهم أن يغامروا ويخوضوا الحرب ··

ونحن نقول أيضا ·· ماذا كان سيحدث لو أن العرب المدعوين جميعا حضروا اجتماع مينا هاوس أى المؤتمر الدولى لقضية النزاع العربى الاسرائيلى فى أوائل عام ١٩٧٨ ·· لكنا قد كسبنا جميعا نحن العرب سويا ·· أو خسرنا جميعا سويا أيضا ·· ولأمكن البحث عن وسائل أخرى متضامنين ··

ان مصر لها السيادة على سيناء ·· وهى سيادة منقوصة حقا ·· اذ لا تستطيع ارسال جيوش كما تشاء لها ·· ولكن من قال أن مصر تريد ارسال جيوش الى سيناء ·· بل أن مصر لم ترد قط ارسال جيوش لسيناء الا فى حالة الحرب مع اسرائيل ·· ونحن منذ ١٥ عاما قد أنهينا حالة الحرب معها ·· وكل المشاكل تحل بالمفاوضات ·· وليس أدل على ذلك من تجربة طابا ·· بل وعمليات اغتيال السياح الاسرائيليين على الحدود بواسطة جنود مصريين ·· حلت بالتفاوض أيضا ··

ولكن هل هناك من يمنع مأمور مركز شرم الشيخ مثلا من أن يبنى مدارس أو مصانع أو مناجم أو مساكن على أى قطعة أرض فى مركزه ؟ ··

ونود هنا أن نلفت الأنظار الى قضية هامة ربما لم يشر اليها أحد بصراحة من قبل ·· وهى أن الاتفاقات السياسية سواء معاهدة السلام أو اتفاقات الهدنة تعكس الواقع العسكرى وتوازن القوى ··

لقد أوضحنا فى حديثنا عن حرب أكتوبر أننا لم ننتصر انتصارا كاملا بل انتصارا نسبيا ·· والحرب تغير اتجاهها بعد الثغرة ·· ولم يحرر الجيش المصرى كل سيناء ··

أى لم تكن مصر هى الطرف الأقوى بعد نهاية الحرب ·· ان الطرف الأقوى كان أمريكا واسرائيل معـا ·· ولكن كانت مصـلحتهما عـدم استئناف الحرب من جديد ·· فقد كان الأمريكيون يخشون عواقب ذلك الاستئناف ولا شك ··

لذلك كان الحل النهـائى للمشكلة يرغم مصر على تقديم بعض التنازلات ·· مثل اى دولة فى مثل ظروفها مع عدو اقوى ·· ولو انه يريد التوصل لتسوية مع تقديم تنازلات ·· وهكذا يجب النظر الى اتفاقيات السادات مع اسرائيل ·· وقد أرغم عبد الناصر على تقديم تنازلات جدية لبريطانيا فى اتفاقية ١٩٥٤ للجلاء وكذلك قدم بن بيللا للفرنسيين ··

لو فرضنا انه اشعل الحرب فى نوفمبر ١٩٧٧ بدلا من المبادرة ·· من من السادة الرافضين المتشنجين كان يمكن أن يضـمن النتـائج فى صالحنا ١٠٠٪ بحيث نرغم اسرائيل على الجلاء دون وجود قوات دولية ودون أن تشترط شيئا بالنسبة للجيوش المصرية ·· الخ ؟ ··

ونريدهم أن يسألوا أنفسهم ·· لقد تبين أن السيد صدام حسين رئيس العراق كان يملك اقوى قوة عسكرية فى المنطقة ولديه صواريخ واسلحة بيولوجية وكيماوية ·· ويسعى فى حماس لصناعة أسلحة ذرية ·· لماذا لم يفكر يوما ما فى عرض استعداده مع أى دولة عربية لاستخدام تلك القوة ضد اسرائيل ؟!

انه حتى لم يفكر قط فى أن يستخدمها للضغط عليها ·· مع انه كان بامكانه ان يساوم أمريكا والعالم العربى على ضرورة اجبار اسرائيل للحضور الى مؤتمر تقدم فيه تنازلات ··

لكن ماذا صنع النظام العـراقى ؟ ·· انه وجـه كل تلك القوة العسكرية الجبارة ضد بلد صغير جدا لا يكاد يملك جيشا واحتله فى بضع ساعات ليستولى على بتروله وذهبه وسياراته وتحفـه وحتى ثلاجـاته وأجهزة التليفزيون ؟ ·· ومازلنا نعانى من انقسام العالم العربى بسبب الغزو العراقى للكويت حتى اليوم ·

لماذا لم يوجه سهامه تجاه اسرائيل ؟

اما لانه لا يعاديها اصلا وليس لديه اى قسط من الوعى رغم كل منشورات حزب البعث الذى يتزعمه ·· واما انه يخشى اسرائيل ونتيجة مغامرة الحرب ضدها ·· لأنه كان يعرف ايضا ان امريكا ستؤازرها وتقف

ضده ·· بينما الكويت لقمة سهلة ·· وكان يتصور لحماقته الشديدة وجهله السياسى الفادح أن أمريكا لن تحاربه من أجل الكويت ·· وكانت النتيجة أنها لم تحاربه وحدها بل حشدت العالم كله لمحاربته بما فيها القوى العسكرية الأساسية فى العالم العربى ·· وكان المتحدث العسكرى لقوات التحالف سعوديا اسمه ابن قحطان أضحك العالم العربى كثيرا كما كان القائد الرسمى أميرا سعوديا !!

الى هذا الحد من النتائج الرهيبة والمتناقضة واللا معقولة أدى خوف النظام العراقى من اسرائيل ·· فلماذا يريد البعض انفراد مصر بالحرب مع اسرائيل ·· انهم حقا يريدون محاربتها بآخر جندى مصرى ؟

لكن هل كانت سياسة أنور السادات ازاء حل النزاع العربى الاسرائيلى سليمة مائة فى المائة ؟ ··

بالتأكيد لا ·· وقد كان ممكنا لو تلافى السادات بعض الأخطاء أن يحصل على نتائج أفضل ·· اننا نعلم طبعا أن انفضاض العرب عن مشاركته فى التفاوض مع اسرائيل وأمريكا قد أضعف جانبه كثيرا ·· اذ أصبحت مصر وحدها هى التى تواجههما ·· وهى أول مواجهة بعد طول عداء مع اسرائيل ·· ومع أمريكا ذاتها خلال سياسة جمال عبد الناصر المعادية لها ··

على أن ذلك الانفضاض العربى لم يقتصر تأثيره على اضعاف جانب المفاوض المصرى ·· بل أدى السباب العربى والهجوم غير الموضوعى من جانب خصوم السادات من العرب والفلسطينيين الى التأثير فى موقف ذلك المفاوض بالنسبة لسائر قضايا العرب مع الجانب الاسرائيلى والأمريكى ·· وماذا يمكن أن يفعل السادات عندما يرد عليه مناحم بيجين وهو يفاوض دفاعا عن الحق الفلسطينى قائلا : ياسيادة الرئيس عن أى فلسطينيين تتحدث وهم يتهمونك بالخيانة لهم خارج هذه القاعة ؟! ··

لقد خلق الهجوم العربى الاستفزازى مناخا فى مصر يدعو الى المصرية ·· والبعد عن العرب ولعل الناس مازالوا يذكرون كيف سارت مظاهرات فى القاهرة بعد اغتيال المرحوم يوسف السباعى تهتف لا فلسطين بعد اليوم وهى لم تكن مظاهرات مصنوعة بل هى تعبير عن انطباعات وآراء بعض الناس محدودى الوعى الذين استفزهم السلوك الفلسطينى الذى وصل الى ذروته باغتيال السكرتير العام لمنظمة التضامن الآسيوى الأفريقى ·

أضف الى ذلك أنه بعد حرب أكتوبر ماذا فعل العرب لمصر ·· لقد

كانت البلاد خرابا يبابا كما يقولون ·· بينما زاد سعر البترول عشرة اضعاف ·· وكانت البلاد فى حاجة الى التعمير والتطوير ·· ولكن التعاون العربى كان محدودا جدا ·· ورفضت اى محاولة لعمل خطة عربية مشتركة تصنع من العرب كتلة اقتصادية سادسة كما كان يدعو السادات ··

فى نفس الوقت لم يتدفق الخير الأمريكى بعد وقف القتال ·· وهذا طبعا اثر فى موقف السادات بزيادة الاتجاه نحو المصرية والاتجاه الى حل المشكلة المصرية أساسا ··

ولقد اخطأ السادات عندما استجاب للاستفزازات العربية ·· وهبط بذلك بمنزلة مصر الى مستوى الصغار ·· ولقد جاء وقت كان شغل السادات الشاغل هو الرد بعنف على الحكام العرب المعارضين لسياسته ·· واستخدم أساليب لا تستخدمها الا صحف المهاترة ·· وهذا بالعكس أتى بنتائج عكسية اذ شجع حملات جمعيات المنتفعين من رفض سياسته وما كان اكثرهم ·· وجعل لهم سعرا ·· واستطاعوا استمالة جماهير كثيرة ·· فقد كان السادات يعالج الأمور مع ابغض دولتين لدى قلوب العرب جميعا ·· اسرائيل الصهيونية فى المقدمة ·· ثم الولايات المتحدة ذات الشهرة العالمية فى الاستعمار والامبريالية ··

واخطأ السادات عندما لم يستطع أن يلعب بالورقة الروسية ·· لقد بادر بتقديم عملية اقصاء السوفيت دون أن يساوم عليها من البداية ·· وبدا ذلك واضحا من عملية طرد الخبراء السوفيت من مصر ·· اذ لم يحاول محاولة جدية مساومة امريكا عليها واقتضاء الثمن ·· وهذا بالضبط ما اعترض عليه د· عزيز صدقى والأستاذ محمد حسنين هيكل ··

انه تباحث مع الأمير سلطان حقا ·· لكن بعد أن كان قد اتخذ القرار ··

واخطأ السادات عندما جلس الى كيسنجر لأول مرة ·· وبادره بالقول انه متفق مع الأمريكيين فى ضرورة استبعاد الوجود السوفيتى من من المنطقة ·· مما اثار دهشة كيسنجر ··

ولقد اخطأ السوفيت حقا مع انور السادات ·· ولكن انور السادات كان مفروضا أن يساوم بهذه الورقة ويستفيد باى جهد سوفيتى محتمل ··

ولكنه تخلص منهم رويدا رويدا ·· واستفزهم استفزازا شديدا حتى وصل به الأمر الى الهجوم علي نظامهم الاجتماعي دون أن تكون له مصلحة فى ذلك ·

وهذا الأسلوب ساهم فى دفع السوفيت الى المقامرة على جواد خاسر وهو جبهة الرفض العربية عندما دعا السادات لعقد مؤتمر مينا هاوس ٠٠ وندموا على ذلك الموقف فيما بعد ندما شديدا ٠٠

لقد كان المسيطر على عقلية السادات انه يجب أن يسعى لكسب ثقة أمريكا وأن الثمن لكسب تلك الثقة كان من الطبيعى أن يكون فادحا ٠٠ بل انه فى آخر لحظة وهو يتهيأ للسفر الى الولايات المتحدة لبدء مباحثات كامب ديفيد كان يتشكك فى أنه سيحصل على ما يريده منها ٠٠ وتحضرنى فى ذلك حكاية سأحكيها بعد أن أنتهى من تسجيل خطأ آخر للسادات ٠٠

ان السادات عندما قرر موعد حرب أكتوبر عمل على الفور على رأب صدع الجبهة الوطنية فقرر اعادة الصحفين (وأغلبهم يساريون) الذين كان قد استحدث مناورة لاقصائهم عن الصحف استخدم فيها أحد رجاله اليمينيين المتخلفين جدا ٠٠ نقول أعادهم الى صحفهم ـ مسترضيا المثقفين ٠٠ ووقف الجميع صفا واحدا لمواجهة العدو ٠٠

لكن أنور السادات لم يفعل ذلك عندما بدأ يدخل فى التفاوض مع اسرائيل فى الولايات المتحدة ٠٠

لقد أفسد علاقته بل قضى عليها عقب أحداث ١٨ و ١٩ يناير ١٩٧٧ مع اليسار المصرى وكل القوى الديمقراطية ٠٠ وشن حملة عليهم جميعا ٠٠ وتوعدهم وبدأ حملة للتنكيل بهم وسنعرض لهذا عند حديثنا عن السادات واليسار ٠٠

لم يحاول السادات أن يصلح ما فسد ٠٠ بينه وبين تلك القوة ذات التأثير العالمى ٠٠ ناهيك عن التأثير الداخلى ٠٠ وبذلك حشدت قوى اليسار العالمى كلها بفرقه المختلفة ضد مفاوضات كامب ديفيد ٠٠

ويبدو أن هذه المسألة كانت تقلق أو تشغل بال السادات ٠٠ كما تدل على ذلك الحكاية التالية التى أشرنا اليها من قبل ٠٠

كان السادات قد أخرجنى من تمثيل روز اليوسف فى رئاسة الجمهورية بسحب كارنيه تصريح الدخول ٠٠ ولم يعد يقابلنى ورفض طلبا منى بمقابلته عقب هذا السحب ٠٠

ولكن لما طلبت مقابلة السيدة جيهان السادات استقبلتنى على الفور ٠٠ وظلت تستجيب فى الحقيقة لكل طلب من جانبى لمقابلتها ٠٠ وفى مرة قبل سفر الرئيس الى كامب ديفيد طلبت منها أن تستحث الرئيس على أن يقابلني لأتحدث معه فى الموقف السياسى حينذاك ٠

وسافرت الى الاسكندرية وأنا موقن مقدما أن طلبى سيرفض كما سبق أن رفضه بعد سحب الكارنيه ..

وبعد يومين من وجودى فى الاسكندرية فوجئت برئيس تليفونات الاسكندرية يتصل بى فى المنزل ويقول لى أن رئاسة الجمهورية قلبت الدنيا رأسا على عقب للبحث عنك وهم لا يعرفون رقم تليفونك هنا .. فاتصلوا بنا .. وكان صعبا ان نعثر عليك لأن الرقم القديم قد تغير ..

ولما سـألته عمن يسـأل عنى فى رئاسـة الجمهورية قال لى أنها السيدة حرم الرئيس ..

بعد نصف ساعة اتصل بى الأسـتاذ أحمد فوزى سكرتير السيدة جيهان وهو شاب مهذب جدا وواسع الاطلاع .. وقال لى أن السيدة جيهان تريدنى لأمر عاجل .. ولكن ما دمت فى الاسكندرية فهو سيجعلها تكلمنى فى التليفون صباحا بدلا من عودتى ليلا الى القاهرة ..

فى الثامنة بالضبط طلبتنى .. وقالت لى أن الرئيس يسلم عليك .. ويقول لك انه سيقابلك بعد عودته من أمريكا .. ولن يقابلك وحدك بل سيقابل رئيس اليسار كله الأستاذ خالد محى الدين .. ويتكلم معه فى كل شىء .. بس ادعوا له أن يوفق فى مهمته ..

وهو يؤكد لك انه خلاص مش زعلان منكم ولا حاجة .. واللى فات مات بس سيراكم بعد عودته ..

وتمنيت لها وللرئيس التوفيق وشكرتها فقالت .. شكرا على ايه انتم ناس وطنيين .. وماتزعلوش من الريس .. انتم مش عارفين أعباءه ومتاعبه قد أيه ! ..

بعد الحديث أخذت أفكر فى مغزى هذه الرسالة والاهتمام الذى أبدته السيدة جيهان بالاتصال بى لتوصيل الرسالة ..

ولم يكن صعبا على أن استنتج أن السادات يحتفظ بخط الرجعة .. فاذا فشل فى أمريكا .. فانه سيعود ويتبع سياسة جديدة .. ويصفى مشاكله مع اليسار وغيره ..

واذا نجح .. فأغلب الظن أنه لن يفعل شيئا من هذا ..

وبالفعل عندما عاد السادات من رحلته بعد أن وقع اتفاقية كامب ديفيد لم يلتق بأحد من اليسار .. لا الأستاذ خالد محيى الدين .. ولا انا ولا غيرنا .. مع انني كنت قد ابلغت الرسالة الي الأستاذ خالد ..

والحقيقة أنه أبدى تشككا فى جدية السادات فى حديثه الطيب ونواياه بالنسبة لليســار !

هذه هى أخطاء السادات الأساسية وهو يبذل جهوده لحل المشكلة الوطنية المصرية والعربية ·· ولكن على أى حال أن ذلك لا ينتقص فى النهاية من أنه قد حرر سيناء ·· ووضع أسسا لحل المشكلة الفلسطينية ·· يعود العالم اليها وعلى رأسهم الفلسطينيون بل أقل منها بعد ١٥ عاما !! ·

ان النواقص الموجودة فى السيادة المصرية على سيناء ·· ستزول وتذبل وتختفى عندما نتوصل الى تسوية شاملة عادلة للنزاع فى الشرق الأوسط ·· فتهدأ النفوس ويعم الاستقرار وتنتهى عداوات الماضى ·· وتحل الثقة والتعاون محلها ··

ويومها ستختفى أى نواقص فى السيادة ·· والعرب والفلسطينيون يدخلون المفاوضات وهم يعلمون أنهم سيقدمون تنازلات ·· وأول تنازل قدمه الفلسطينيون هو الرضى بالحكم الذاتى عدة سنوات قبل بحث الموضوع برمته من جديد !! ··

خلاصة القول ·· ان جمال عبد الناصر ·· تسلم مصر وهى محتلة بالانجليز ·· وجاهد حتى حصل على جلائهم منها ·· بعد تقديم تنازلات فى معاهدة ١٩٥٤ ·· ثم لما جاءت الفرصة استرد كل تلك التنــازلات واستكمل السيادة المصرية كلها ··

ثم عاد الاحتلال الأجنبى أرض مصر فى حرب ١٩٦٧ فى عهد جمال عبد الناصر ·· وتسلم السادات مصر وجزء من أرضها محتل ·· فاستطاع أن يستردها متحررة من كل محتل اسرائيلى · وهذا فى حد ذاته يجعل السادات يحتل مكانة بطل من أبطال تحرير مصر على طول تاريخها فى مواجهة الغزاة الأجانب ·· والذين يحملون على السادات أو لا يدركون قيمة النصر الذى حققه عليهم أن يطرحوا على أنفسهم السؤال التالى :

هل كان ممكنا أن تتجه مصر الى مناقشة مشاكلها الداخلية وحل تناقضاتها لو كان العدو المحتل مازال جاثما على صدرها ؟ ·· ان اتفاقية السلام مع اسرائيل قد فتحت الباب على مصراعيه كى تهتم مصر بشئونها الداخلية بتركيز أساسى ؟ ··

وسؤال ثان ··

اننا لم نشهد حملة على جمال عبد الناصر الذى تسبب بأخطائه السياسية الفادحة فى السقوط فى فخ الهجمة الاسرائيلية الامبريالية على مصر ·· وأيضا فى هزيمته الفادحة التى جعلت مصر لا تستطيع المقاومة للغزو الاسرائيلى ولو لبضعة أيام ·· على الأقل لتهزم مصر هزيمة مشرفة ·· ولولا المساندة السوفيتية ·· وتضامن اليسار العالمى مع مصر لظهرت الهزيمة بشكلها الفاضح الحقيقى اذ أثارت الضجة والدعاية اللتان قاما بها تغطية هائلة عن مسئولية نظام جمال عبد الناصر وفساده الذى جعله يهزم هذه الهزيمة المنكرة · فى ساعات وليس فى أيام · ويبدو عجزه واضحا وكذلك فساد النظام من الداخل ·· الى الحد الذى جعله لم يستطع أن يحرك أى مقاومة شعبية ضد الغزو كما يحلو لدعاة الشعبية على غرار حرب فيتنام أن يقولوا أيام السادات ·

نقول أننا اغتفرنا هذا « التطنيش » المتعمد لأننا كنا نركز على الصهيونية والامبريالية المعتديين الأثيمين ··

ولكن بعض الموضوعية تقتضى تقدير الرجل الذى حارب العدو وانتصر عليه نسبيا ·· وحرر الأرض ·· واستردها ·· حتى لو كانت هناك نواقص ·· فتلك مهمة من بعده ·· ومن يدرى لو لم يكن قد مات لربما استأنف فى الوقت المناسب تحركه للتخلص من تلك التنازلات !

لكن على أى حال الدنيا تطورت فقد عين لطفى الخولى فى الوفد المصرى فى مؤتمر مدريد الذى يرأسه وزير الخارجية المصرى الممتاز عمرو موسى ·· بل أن عددا آخر من ذوى الميول اليسارية قد عينوا فى ذلك الوفد مثل الدكتور قدرى حفنى عميد كلية الطفولة ·· وهو فوق أنه عالم بارز الا أنه قضى فى الاعتقال أيام جمال عبد الناصر خمس سنوات من عمره ·· وهناك الدكتور على الدين هلال الذى يوصف بأنه خليفة الكاتب اليسارى الكبير أحمد بهاء الدين أستاذ جيل من الكتاب المستنيرين ·· ثم هناك الدكتور المؤرخ الموضوعى العلمى المنهج د· لبيب يونان ··

ولذلك صح القول : من كان يصدق أن لطفى الخولى يفاوض اسحق شامير ؟! وقد حدث اللقاء والتفاوض والحوار فعلا بينهما ·· وبين الوفد المصرى والاسرائيلى ! ··

قال الأستاذ لطفى الخولى فى حديث صحفى هام نشر بمجلة آخر ساعة فى يوم الأربعاء ٣٠ نوفمبر ١٩٩١ عن تقييمه للسياسة الأمريكية فى الوقت الحالى :

« ان أمريكا تنفرد لأول مرة بسلطة القرار العالمى ومن ثم أصبح لأمريكا مصالح بصياغات جديدة ··· **وتحولت من الوجه القبيح والاعتماد على** اسرائيل فى التصدى لأى نظم راديكالية الى محاولة تحسين صورتها وتجميل شكلها بمحاولة الدفاع عن **حقوق الانسان والشرعية وحل مشاكلها فى المنطقة نفسها** ··

ويستطرد الأستاذ لطفى الخولى فيقول :

وبالتالى اصبح هناك ما يسمى بالتحالف العربى الأمريكى الذى لم يكن قائما من قبل بجانب التحالف الاستراتيجى الاسرائيلى الأمريكى القائم ··· ولأول مرة فى تاريخ الصراع العربى الاسرائيلى توجد مصلحة أمريكية تتعارض مع المصلحة الاسرائيلية فى التوسع !!

وهذا كلام لا يحتاج الى تعليق وبصرف النظر عن رأينا فيه ·· الا أنه يعنى شيئا واحدا أن أنور السادات لم يكن واهما أو عميلا أمريكيا عندما تصور انه يمكن تحييد أمريكا ولم يكن مخطئا عندما حاول ذلك باستماتة ·· فقد ثبت كما يقول الأستاذ لطفى الخولى أحد قادة اليسار أن ذلك قد حدث أو بدأ يحدث على الأقل !

ارجعوا اذن الى الصفحات التى سودتها أقلام أغلب اليسار المصرى والعربى ضد هذا الاتجاه من جانب أنور السادات ··

ويقول الأستاذ لطفى الخولى أيضا فى حديثه المذكور عن أن رأيه فى اتفاقية كامب ديفيد التى وصفها بأنها لها سلبياتها ولها ايجابياتها ·· ولكنه تحدث عن اصرار السادات على حل مشكلة الصراع العربى الاسرائيلى بطريق سلمى ·· بطريق التفاوض فقط لا غير بقوله بالحرف الواحد أن الفكرة التى انطلق منها السادات والتى تقول أن الحسم العسكرى سواء من الجانب الاسرائيلى أو العربى غير ممكن ولا مجد ·· ومن هنا بدأت تتبلور فكرة الهجوم السلامى على اسرائيل وليس العسكرى هذه الفكرة ثبت صحتها وهذا يسجل للأمانة التاريخية !! ··

اذن أخطأ اليسار ·· وأصاب السادات ! ·

ماذا كان يمكن أن يكون عليه الموقف لو اتخذ اليسار بالأمس موقف لطفى الخولى اليوم من سياسة أنور السادات لحل الصراع العربى الاسرائيلى ··

وكذلك سائر القوى الوطنية العربية ·· حزب البعث السورى ·· والعراقى ومنظمة التحرير من المؤكد أن الحصيلة كانت ستكون أكثر

بكثير ٠٠ ولتفادينا سنوات من الترقب والجهد والقلق ٠٠ ولتفادى الشعب الفلسطينى سقوط مئات الضحايا علاوة على عذاب الاحتلال نفسه ٠٠

ومسلك السادات ازاء مفاوضاته مع اسرائيل ٠٠ قد جعل بعض المراقبين السياسيين الغربيين والاسرائيليين يقولون عنه أنه قد خدع اسرائيل ٠٠ بل صدر كتاب فى كندا بهذا المعنى ٠٠

لكن دائما هناك حجة يتعلل بها الذين يرون أنفسهم يقتفون أثر السادات فى سياسته لحل المشكلة مع اسرائيل ٠٠ فالفلسطينيون اليوم يوافقون على الحكم الذاتى ٠٠ والسوريون يتفاوضون ويتمنون أن توافق اسرائيل على ترتيبات فى الجولان قريبة من الترتيبات فى سيناء ٠

والحجة تقول ٠٠ وقد سمعتها من بعض أعضاء الوفد الفلسطينى بالذات فى لقاءاتنا فى مدريد بمؤتمر السلام ٠٠ ان لكل تصرف ظروفه التاريخية ٠٠ ويعنون بهذا أن معارضة سياسة السادات ١٩٧٧ كانت سليمة وصح ١٠٠٪ ٠٠ وسياستهم هم اليوم (التى هى فى جوهرها سياسة السادات سليمة وصح ١٠٠٪ أيضا) ٠٠٠

والحقيقة ان معيار صحة أى سياسة تجاه أى مشكلة هو مدى تحقيقها للنتائج التى أدت اليها ٠٠ مالم يتدخل عامل غير متوقع كوقوع كارثة طبيعية مثلا ٠٠ ونقول طبيعية لأنه لو حدث تدخل بشرى أى من دولة ما مثلا ٠٠ لا يعطى عذرا لأن السياسى الماهر يجب أن يتوقع كل الاحتمالات ٠٠ ولذلك ضحك الناس وسخروا عندما قيل تبريرا لهزيمة عام ١٩٦٧ ان الطائرات التى كان متوقعا أن تأتى من الشرق جاءت من الغرب ٠٠

كما سخر الناس من تبرير السادات لعدم تنفيذ ما وعد به فى عام الحسم بالضباب لأن أى راصد جوى يعرف احتمالات الضباب ويضعها فى حسابه ولم يكن مفاجأة أو كارثة طبيعية ٠٠

مثلا لو أن الصين سمعت كلام أصحاب الاتجاهات التى دعت أيام الثورة عام ١٩٤٦ الى غزو فورموزا وتحريرها ٠٠ لكان تنفيذ ذلك يعنى اصطداما بالأسطول السابع الأمريكى ودخول الثوار فى حرب جديدة طويلة مع الأمريكيين ٠٠ فأجلوا التحرير ٠٠ فكانت النتيجة أن الصين أصبحت دولة عظمى ٠٠

وبالمثل لو رفضت جبهة التحرير فى فيتنام العرض الفرنسى باقامة دولة مستقلة فى نصف فيتنام فى مؤتمر جنيف عام ١٩٥٤ ·· لما أمكن وجود قاعدة ساعدت الثوار فى فيتنام الجنوبية ·· مما ادى الى توحيد الشطرين فى دولة واحدة ··

ان السياسة التى اتبعها أنور السادات ١٩٧٧ أدت فى الحصيلة النهائية رغم أى نواقص الى استرداد مصر لأرضها ·· والسياسة التى اتبعها سائر العرب أدت الى بقاء الأرض محتلة حتى يومنا هذا ·· وانقسام منظمة التحرير ·· وغزو لبنان ·· و ·· و ·· الخ ··

لو كان الجميع تضامنوا ·· وتفاوضوا معا ·· لكانت الصورة مختلفة ·· وبالمثل لو كان العرب قد قبلوا قرار التقسيم عام ١٩٤٧ لكانت الصورة قد اختلفت ·· وأهداف ومستويات النضال العربى كانت ستكون اشياء أخرى ·

لابد من الاعتراف بالخطأ للأمانة التاريخية على الأقل ··

ولندع الماضى الآن ·· لننتقل الى آفاق المستقبل ··

السوق الشرق أوسطية
مبررات الخوف وعدم الخوف

كما رأينا نصت اتفاقية السلام أو الحكم الذاتى بين اسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية على ضرورة قيام تعاون فلسطينى اسرائيلى فى المجال الاقتصادى ..

ومنذ ذلك الحين تطرح اقتراحات مختلفة عن شكل ومجالات هذا التعاون فمن قائل أنه من المتوقع اقامة قناة بحرية تنافس قناة السويس . ومن قائل آخر أنه تم تحديد مناطق محددة لانتاج سلع معينة أى تقسيم للعمل حسب الموارد والمناطق واقترابها من منافذ التصدير أو التصريف عموما ..

كما ظهرت أفكار تقول أن ذلك التعاون الاقتصادى سيمتد ليشمل الأردن أو شرق الأردن كما سيصبح تسميتها جغرافيا بعد حق تقرير المصير للشعب الفلسطينى المقيم فى الضفة الغربية وغزة .

ولكن الأهم من الاقتراحات هو موجة الخوف التى عمت بعض الدوائر خصوصا دوائر المثقفين الذين رأوا فى هذا التعاون المنصوص عليه فى الاتفاق الفلسطينى ـ الاسرائيلى فخا منصوبا لاغتيال الاقتصاد العربى وسيطرة وهيمنة الاقتصاد الاسرائيلى عليه ..

وشجع على تلك المخاوف أنه منذ عام تقريبا تتردد فى المسرح السياسى اقتراحات تتناول ما سمى بقيام السوق الشرق أوسطية .. وواضح من اختيار هذا الاسم .. أنه اختير ليتسع المجال لدخول دول غير عربية فيه .. وبالذات اسرائيل ..

وقد رأينا فى الملحق الاقتصادى لاعلان المبادىء أن مشروع التطوير الاقتصادى الاقليمى يتضمن « اقامة صندوق تطوير شرق أوسطى كخطوة أولى وبنك شرق أوسطى للتطوير كخطوة ثانية » ..

ويطالب الطرفان الدول السبع العظام بالسعى لاشراك دول معينة أخرى فى المشروع كأعضاء منظمة التعاون والتطوير الاقتصـــادى ودول عربية ومؤسسات عربية فى المنطقة وكذلك أفراد القطاع الخاص ٠

ويلاحظ أنه بعد اعلان ذلك الاتفـــاق بما تضمنه عن التعـاون الاقتصادى أن الأسهم الاسرائيلية ارتفعت ١٤٪ بعد ذلك وهو ارتفـــاع كبير بالنسبة لسوق الأسهم الاسرائيلية الذى كان يمر بفترة ركود خلال هذا الصيف عند مستوى منخفض لايتجـــاوز ١٥٠ مليون دولار فى ٥ سبتمبر الماضى ويعتبر ذلك رقما قياسيا بالنسبة لتلك الفترة ٠٠ والسبب هو الاحتمالات المتوقعة للسلام حيث الأمل كبير فى تدفق ملايين الدولارات عبر المحيط للاستثمار فى المنطقة وخاصـة اسرائيل بحيث يؤدى ذلك الى انتعاش السوق فيها ٠٠

ومن المتوقع أن يمتد هذا الانتعاش الى اسطنبول ٠ والقاهرة أيضا ٠٠ والواقع أن السوق الشرق أوسطية لن تقتصر فى تخطيطاتها النهائية على الدول العربية واسرائيل ٠ بل ستمتد الى تركيا ٠٠

وخلال الشهور الماضية قدم كتاب كثيرون التصورات لدى واضع السياسة الأمريكى عن آفاق التعاون الاقتصادى والسياسى فى المنطقة التى تمتد شمالا الى تركيا وتنتهى جنوبا بجنوب أفريقيـــا ٠ ٠وتتوسطهـــا اسرائيل ومصر ٠٠ وهى منطقة حيوية للقطب الأعظم فى النظام العالمى الجديد ٠٠ ليس فقط فى موقعها الاستراتيجى بل لأنها مركز الطاقة ٠٠ وسوق هائلة خصوصا اذا ما انفتح قلب السوق الشرق أوســـطية على أفريقيا ٠ وذلك فى حلبة المنافسة الدولية المتوقعـة بين أمريكا وأوروبا واليابان وغيرها من الأقطاب البازغ نجمها رويدا رويدا ٠٠

ولكن ما هى المخاوف من قيام مثل تلك السوق ؟ ٠٠

يتوقع البعض اكتســاحا للسلع الاسرائيلية فى المنطقة ٠ بحيث تؤثر على تقدم الصناعة الوطنية العربية ذاتها ٠

وهى مخاوف لامبرر لهــا حقــا ٠٠ فالصناعة الاسرائيليــة ليست « العنقاء » التى يمكن أن تهدد الصناعة العربية ٠ هى متقدمة حقا ٠٠ ولكنها ليست خطرا ٠٠ وماذا عن السلع الأمريكية والأوروبية واليابانية التى تكتسح السوق العربية وستظل المسيطرة عليه لسنوات لا أحد يعرف مداها ٠٠ فى ظل الانفتاح العالمى للأسواق ٠٠ وخذ عندك « الخير الوارد » من الصين ٠٠

البعض يخشى أن يتحول المستثمرون من العالم العربى المحتاج الى استثمار ويتجه الى اسرائيل ·· وهذا أيضا لامبرر له ·· لأن المستثمر يتجه حيث يمكن أن يتحقق له الربح الأوفر والتسهيلات الأكثر ··

ويمكن فى اطار « اتفاق سوقى » تحديد المجالات الملائمة وتقسيم مناطق الاستثمار والانتاج واذا لم يحدث ذلك فالمنافسة تقرر كل شىء ·

من ناحية أخرى يخشى البعض أن يجتذب التعاون الاقتصادى مع اسرائيل ·· أنظار العرب عن التعاون مع بعضهم البعض ·· وهذه حجة مضحكة حقا ·· تكشف عن شعور عميق بمركب النقص ·· والرد سهل ·· ليس هناك من يجبر العرب على الاتجاه نحو اسرائيل وترك أوطانهم ·· وقد حدث لعشرات السنين أن اتجه مستثمرون عرب الى البنوك الأجنبية وخارج المنطقة العربية ·· دون وجود اسرائيل ·

وتلك مسئولية العرب ·· « وعلى نفسها جنت براقش » اذا استمروا لايتعاونون اقتصاديا ··

وطبعا أثار اصرار اسرائيل على وضع ذلك النص الاقتصادى بين نصوص اتفاقها مع الفلسطينيين السؤال التالى : لماذا تحرص اسرائيل على تنمية الأرض التى تملكها والمفروض أن تنسحب منها ·· فليس من عادة الاستعمار أو قوة الاحتلال الأجنبى أن تهتم بتنمية اقتصاد البلد الذى كان محتلا ؟ ··

ولكن السبب واضح ·· وهو اقامة السوق الشرق أوسطية ولابد أن نقدم تعريفا لهذه السوق وحدودها ·· فقد تعودنا فى العالم العربى أن نسمع فقط عن سوق عربية مشتركة وسوق افريقية وضرورة عقد اتصالات فيما بينهما مثلا ·· أو مع السوق الأوروبية المشتركة ·

وبادىء ذى بدء لابد أن نوضح حقيقة وهى أن الأمريكيين والاسرائيليين لن يقرروا الانسحاب من الأرض العربية المحتلة والتسليم بحق الشعب الفلسطينى وتقرير مصيره فى ظل سلام دائم لمجرد ارضاء العرب ·· وانما من أجل تحقيق أهداف معينة تحقق مصالح لكل من أمريكا واسرائيل ·

وينبنى على هذا ضرورة ادراك أنه من المستحيل أن تنسحب اسرائيل وتوقع سلاما عادلا مع العرب وتظل العلاقات مقطوعة بينها وبين جيرانها العرب ·

ولقد رأينا كيف يصر المفاوض الاسرائيلى على أن تحدد سوريا شكل ووصف السلام الذى تراه مع اسرائيل اذا انسحبت من الجولان ··

ويضع هذا المفاوض فى تصوره اقامة العلاقات الدبلوماسية والتعاون الاقتصادى والثقافى والسياحى .

بل ان اسرائيل قد اشترطت قبل الدخول فى مفاوضات ثنائية مع العرب أن تعقد فى نفس الوقت المفاوضات المسماه بالمتعددة الأطراف لبحث مستقبل المنطقة أو بالأحرى مستقبل التعاون فيها .. وذلك تمهيدا للرأى العام العربى على الأقل للتعاون العربى ــ الاسرائيلى فى المستقبل بعد طول فترة العداء ..

اذن التعاون الاقتصادى بين الدول العربية واسرائيل شرط أساسى ونتيجة حتمية من نتائج التوصل لتسوية شاملة للنزاع العربى الاسرائيلى.

وقد كتبنا من قبل نتنبأ أنه سيدور صراع بين مصر واسرائيل لتولى مركز قيادة منطقة الشرق الأوسط على الأقل ما يتعلق منها بالمنطقة العربية .. فمن ثوابت السياسة المصرية ألا تكون لاسرائيل اليد العليا فى المنطقة .

والأمريكيون باعتبار أن اسرائيل حليفتهم الأكثر ضمانا وأداتهم فى نفس الوقت فى تنفيذ مخططاتهم .. ومن ناحية أخرى يدركون دور مصر ومكانتها فى العالم العربى .. بجانب صداقتها أو تحالفها غير المكتوب مع أمريكا .. يبحثون عن حل توفيقى يعطى للدولتين مكانا متشابها ..

ويريد الاسرائيليون تدعيم موقفهم عن طريق التعاون مع الفلسطينيين الذين يوصفون أحيانا لمهارتهم بأنهم « يهود » العالم العربى .. كما أن من بينهم مليونيرات يملكون رءوس أموال يمكن أن تساهم فى عجلة التنمية .

لقد كان الاسرائيليون يحلمون دائما بالمعادلة التالية : المال العربى + العمالة العربية + التكنولوجيا الاسرائيلية وضموا اليها من باب الأدب مصر بعد توقيع اتفاقية السلام معها !

ويرون أن هذه المعادلة يمكن أن تحقق رخاء ونموا اقتصاديا هائلا لاسرائيل نفسها فى اطار عملية تنمية شاملة تلعب اسرائيل فيها الدور القيادى بالاعتماد على :

ــ تأييد ودعم الولايات المتحدة .

ــ تفوقها فى مجالات الصناعات التكنولوجية الرفيعة المستوى .. بحيث تامل أن تكون « يابان » المنطقة .

ومنذ سنوات طويلة توجد دراسات اسرائيلية استعدادا لهذا

اليوم ٠٠ فى الوقت الذى غفلت فيه الدول العربية عن تخصيص خبراء أو مراكز بحث لاحتمالات المستقبل مع أن كاتبا مثل الأستاذ محمد سيد أحمد المحرر بالأهرام لفت الأنظار الى هذه القضية قبل حرب ١٩٧٣ فى كتابه « عندما تسكت المدافع » ٠ الذى أثار ضجة كبرى أيامها ٠

واذا ما قرأنا ما كتبه اسرائيلي مثل أبا ايبان وزير خارجية اسرائيل الأسبق وهو مشهور بأنه أحد الحمائم الاسرائيلية نراه يقوله « اننا لانريد أن تكون علاقاتنا الاقتصادية مع بلاد الشرق الأوسط على غرار العلاقات القائمة بين لبنان وسوريا ولكن نريدها على غرار علاقات الولايات المتحدة مع بلدان أمريكا اللاتينية من حيث التعامل الاقتصادى مع ملاحظة الفوارق التاريخية والثقافية واللغوية ونريد المحافظة على طابعنا الغربى !!

وهى كلمات لاتعني شيئا سوى الهيمنة من منطلق الاستعلاء والاحساس بالتفوق حتى العنصرى !

ويلاحظ هنا أن أبا ايبان يدعو الى الاحتفاظ باسرائيل غربية وهو اتجاه يناقض الاتجاه الآخر فى اسرائيل ٠٠ وهو الاتجاه الذى يدعو الى انتماء اسرائيل للشرق الأوسط لأن هذا هو مجالها فى التطور والرخاء ٠٠ وهو الاتجاه الذى تتبناه حركات السلام اذن فالتعاون الاسرائيلي الفلسطيني « بروفة » للتعاون الاقتصادى العربى وستبدأ هذه البروفة بانفاق هذه المبالغ الكبيرة التى ساهمت بها الدول التى اجتمعت فى واشنطن فى أول أكتوبر ١٩٩٣ لجمع مليارات من الدولارات لمساعدة الحكم الذاتى الفلسطينى ، بالتعاون مع السلطات الاسرائيلية طبعا !

ماذا يمكن أن يكون الموقف العربى ؟

انه لايجب أن نخشى أى محاولة لاقامة أى تعاون اقتصادى تحت أى اسم ٠٠ المهم هو أن نحقق نحن العرب أولا تعاونا اقتصاديا قويا ٠٠ يجب أن نقيم السوق العربية المشتركة اليوم قبل الغد ٠٠ حتى نستطيع أن نتعامل بندية مع اسرائيل ٠٠ ومع تركيا وحتى مع أى كتلة اقتصادية فى العالم فنحن مضطرون لهذا التعاون فما عاد ممكنا أن يعيش بلد أو كتلة وحدها ٠٠

وبهذا السلاح العربى سنجد أنه من قبيل الأوهام ومركبات النقص الخوف من أى سوق شرق أوسطية فنحن نملك عناصر القوة المادية كلها ٠ فقط بقى علينا توفير عناصر القوة المعنوية وأساسها التضامن العربى السياسى والاقتصادى !

وقد نشرت جريدة الاتحاد التى تصدر فى دولة الامارات وجهة نظر بعض رجال الأعمال فى الخليج وهى تعكس روح الثقة بالنفس وتفهم

رجال الأعمال العرب للموقف وقدرتهم على التحدى والتعـاون فى نفس الوقت ..

وقد لخص أحدهم وجهة النظر بقوله لمحرر الجريدة الزميل ابراهيم أحمد « سوق الشرق الأوسط للجميع والرابح فيه الاقدر على المنافسة »!
وفيما نص الرسالة :

أكد رجال الأعمال ان سوق الشرق الأوسط من أهم الأســواق العالمية وان الرابح فى هذا السوق هو الأقدر على المنافسة .

وقالوا ان الاجماع العربى على تأييد اتفاق الحكم الذاتى لابد ان يواكبه اجماع عربى على زيادة التجارة العربية ـ العربية والاستفادة من أجواء السلام والاســتقرار التى يأمل الجميع أن تسود منطقة الشرق الأوســط .

وقال سعادة سلطان بن على العويس رئيس مجلس ادارة بنك دبى الوطنى ورجل الأعمال الكبير فى الامارات ان الاجماع العـربى أيد اتفاق اعلان المبادىء الفلسطينى الاسرائيلى .

وبالنسبة لتاثيره على سوق الشرق الأوسط .. فان سوق الشرق الأوسط .. سوق عالمى للجميع والرابح فيه هو الاقدر على المنافسة .. وأنا لا أخشى من اليهود واسرائيل لن تتغلب على المحيط العربى والعالمى الذى يتنافس فى هذا السوق الهام .

وقال رجل الأعمال الكبير سلطان العويس انه لا يتوقع ان يكون للاتفاق تاثير على منطقة الخليج وأضاف ان العملية دولية ولن يترك الغرب اسرائيل تنفرد بأسواق الشرق الأوسط لأن كل دولة تريد ان تكسب من هذا السوق .

وقال رجل الأعمال ان أجواء السلام تخدم التجارة والصناعة .. وان التغلب على العداء والعنف وتحقيق الحرية الاقتصادية والتجارية الحرة والأسواق المفتوحة يخدم الاقتصاد العالمى .. والاقتصــــاد العــربى والاقتصاديات المحلية .

وقال رئيس مجلس ادارة بنك دبى الوطنى ومجموعة من المؤسسات والشركات التجارية والصناعية الكبرى بالدولة ان الذى يعوق التعاون العربى وزيادة التجارة البينية هو عدم توافر الحرية الاقتصادية والحواجز والمعوقات الكثيرة التى تحد انطلاقة الاقتصاد وتقيد الحرية الاقتصادية .. وبدون الاقتصاد الحر لا يمكن للاقتصـاد أو الصـناعة أو أي بلد أن تنطلق .

البشر ·· والتنفيــذ

وقال سعادة سيف بن أحمد الغرير رئيس مجلس ادارة بنك عمان المحدود ورجل الأعمال الكبير ان تأثير الاتفاق على الأسواق الشرق أوسطية يعتمد على أهل المنطقة ·· على البشر ·· أقصد شعوب الأمة العربيـــة وما يريدون لمستقبلهم ولأنفسهم كما يعتمد على الروح التى سيتم بها تنفيذ الاتفاق والرغبة فى الاستقرار والازدهار ·· خاصة وان الأمور مازالت غير واضحة والتعاون غير واضح ·· وتحتاج التجارة والنشاط الاقتصادى الى الاتفاق ظاهرا وباطنا ويعتمدان على الثقة المتبادلة بين الشعوب ·

وقال سعادة سيف الغرير ·· المحزن والمؤسف حقا اننى أتعاون مع الغرب وأستطيع فتح أى حسابات وخطابات ضمان مع الغرب وبنوكه ولا أستطيع التعاون مع أى بلد عربى رغم توافر الامكانيـــات والبضائع والمجالات بسبب عدم الالتزام ·· وكيف تزدهر التجارة وأنشطة الشركات والبنوك والمؤسسات بغير التعامل السلس ·· والصـــدق فى المعاملة وتصحيح المفاهيم والأفكار لتساير هذا العصر ·

المقاولون والشركات الأجنبية تأتى وتشـــارك مع شركات عربية ولا تشارك شركتان عربيتان بسبب غياب الثقة بعيدا عن الكلمات الرنانة والوعود التى لاتغير الواقع ·

وفى ظل توقيع الاتفاق ·· وتقدم أجواء السلام لابد ان يزدهـــر النشاط التجارى والاقتصادى وان يلتزم الفلسطينيون بما وقعوا عليه ·· وفى رأيى اننا نستطيع ان نختلف كما نشاء قبل التوقيع أما بعد التوقيع لابد من الالتزام وان نعتمد على أنفسنا ·· ولا نعتمد على ان الغرب سيحمى هذا الاتفاق ·· لأن ديننا وقرآننا يأمران بالمحافظة على العهود والمواثيق· وعن السوق الخليجية الشرق أوسطية وتأثير الاتفاق عليها قال رئيس مجلس دارة بنك عمان المحدود ان السوق الخليجية الشرق أوسطية أكبر وأحسن سوق فى العالم ·· ولهذا تتكالب عليه جميع دول العالم والأمم ·· لأنه سوق نقد وتعامل بسيولة وفيرة وعالية ·· بينما أسواق أفريقيا وكثير من دول الشرق الأوسط وهى بلاد نامية تعتمد على التسهيلات ولديهـــا صعوبات فى العملات الصعبة وليس لديها مشروعات بنية أساسية ·

وقال سعادة سيف الغرير ان الاقبال على السلام والوفاء بالالتزامات والعهود من الطرفين يحقق الخير حتى للمظلوم ·· فالمظلوم اذا التزم يحصل على أكثر مما لو لم يلتزم ·· ويجب ان يكون شـــعار الجميع فى المرحلة القادمة زيادة التعاون واستثمار أجواء السلام والحرية ·· ولابد ان نأخذ المثل من ألمانيا التى دخلت حربين ولم تنجح ·· ونجحت بالسلم

وبناء الاقتصاد ٠٠ والمثل الجديد من دول الكومنولث ٠٠ التى كانت الاتحاد السوفييتى على امتداد ٧٠ سنة تصارع وتقاتل ووصلت الى أعلى العلوم والفكر ٠٠ ولكنهم فى غياب الحرية الاقتصادية ٠٠ الاقتصاد الحر ٠٠ وجدوا أنفسهم مضطرين لأن يبدأوا من الصفر ٠٠ فى طريق الاقتصاد والتجارة والصناعة ٠٠ وحتى اليوم لا تستطيع ان تستورد منهم سلعة صناعية جيدة ٠ لذلك نجدهم يعيدون بناء كل صناعاتهم وتقنياتهم وأفكارهم وبنياتهم الأساسية على أساس الحق والعدل والعرض والطلب ٠٠ وبغير هذا لا نجاح ٠٠ وبغير الاستقرار والسلام والعدل والثقة لا تقوم حضارات ولا أنشطة اقتصادية ولا اقتصاد ولا حتى مستقبل ٠

وكى نتبين الطريق الى السوق الشرق أوسطية لابد أن نعرف بعضا عن الامكانيات الاقتصادية للشريك الجديد القادم بعد تحقيق السلام الشامل العادل ٠٠ لذلك نسجل هذه المقتطفات من تقرير عن الاقتصاد الاسرائيلى للدكتور يوسف شبل أستاذ الاقتصاد فى الجامعة الأمريكية ٠

التطورات الاقتصادية فى اعقاب حرب ١٩٤٨

نتيجة الحرب عام ١٩٤٨ حدثت التطورات الاقتصادية التالية بين لبنان واسرائيل :

أولا : الاستغناء عن ميناء حيفا واستبداله بميناء بيروت حيث بدأت تجارة الترانزيت بالانتعاش فى لبنان ٠

ثانيا : قطع النفط العراقى عن مصفاة حيفا وتم تحويله كليا لمصفاة طرابلس ٠

ثالثا : انتقلت شركة نفط العراق IPC الى مدينة طرابلس ٠

رابعا : نزح الى لبنان حوالى ١٨٠ ألف شخص عام ١٩٤٨ من بينهم أعداد كبيرة من الأطباء والمهندسين والتجار ورجال المصارف وخبراء الادارة والتعليم الذين ساهموا مع اخوانهم اللبنانيين فى النهضة العمرانية والثقافية والمصرفية والأدبية والموسيقية ٠

وخلال الفترة ١٩٤٨ ــ ١٩٦٧ كان الاقتصاد الاسرائيلى يحاول تحقيق عدة أهداف متلازمة وهى :

أولا : استيعاب أعداد كبيرة من المهاجرين اليهود القادمين من مختلف أنحاء العالم :

ثانيا : خلق جيش قوى يستطيع فرض كلمته على الدول العربية ٠

ثالثا : تحقيق دخل رفيع المستوى للمهاجرين اليهود ٠

وعندما ايقنت اسرائيل ان الأسواق العربية موصدة أمامها بدأت ترسم استراتيجيات سياسية واقتصادية هدفها اختراق أسواق العالم الثالث خصوصا فى أفريقيا وآسيا ، وبعد العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ ووضع قوات طوارىء دولية ، فتح خليج العقبة أمام الملاحة الاسرائيلية مما أتاح لها بدء علاقات تجارية مع شرق أفريقيا وبعض دول آسيا ، وتقدر اسرائيل خسائرها من جراء اغلاق الأسواق العربية بوجهها بحدود ٤٠ مليار دولار ٠ وفى الستينيات ، وفى أعقاب انشاء السوق الأوروبية المشتركة استطاعت اسرائيل الحصول على امتيازات داخل السوق تتيح لها تصدير سلعها الزراعية والصناعية ٠ وفى دراسة لأستاذ الاقتصاد فى الجامعة الأمريكية فى بيروت الدكتور يوسف شبل ، يوضح ان الأسواق الأوروبية والأمريكية هى الأهم بالنسبة الى التجارة الخارجية لاسرائيل وذلك فى عام ١٩٨٥ ٠

القطاع الزراعى فى اسرائيل

تتمثل أهمية القطاع الزراعى فى اسرائيل فى توطين المهاجرين اليهود عن طريق خلق رابطة بينهم وبين الأرض التى جاءوا ليستوطنوها ، لذا حظى القطاع الزراعى فى اسرائيل بعد عام ١٩٤٩ باهتمام متزايد لناحية زيادة رقعة الأرض الصالحة للزراعة وزيادة نسبة الأرض المروية وتكثيف الانتاج الزراعى وتنويع مصادره ومنتجاته ٠ ومن أجل تحقيق زراعة مزدهرة عمدت اسرائيل الى :

أولا : استعمال مكثف لمصادر المياه ٠

ثانيا : تحويل نهر الأردن لاستصلاح أرض جديدة فى النقب ٠

ثالثا : تحلية المياه المالحة فى أشدود ٠

وفى هذا الصدد تفيد دراسة الدكتور شبل ان اسرائيل حققت الآتى :

١ ــ ارتفعت المساحة المزروعة من مليون و ٦٥٠ ألف دونم عام ١٩٤٩ الى حوالى ٣ر٤ مليون دونم عام ١٩٨٥ ثم ازدادت حتى ٨ر٤ مليون عام ١٩٩١ ٠

٢ _ ازدادت المساحة المروية حوالى ٨ أضعاف بين عام ١٩٤٩ وعام ١٩٨٥ ٠

٣ _ ارتفع الانتاج الزراعى للمنتجات الرئيسية بين عام ١٩٤٩ و ١٩٨٥ من ١٠٠ نقطة سنة الأساس الى ١١٦٦ نقطة عام ١٩٨٥ ٠

٤ _ رغم الزيادة الكبيرة فى مستوى الانتاج ، فقد هبطت نسبة مساهمة القطاع الزراعى الى مجمل الناتج المحلى من ١١٫٥٪ الى ٥٪ فقط عام ١٩٨٥ نتيجة ارتفاع قطاع الصناعة بنسبة كبيرة جدا ٠

٥ _ طور الاسرائيليون فى زراعة الحمضيات بحيث يمكن انتاج ثلاثة مواسم فى العام ٠

٦ _ ادخلوا ثمرة الافوكادو واستطاعوا أن يغزوا الأسواق الأوروبية بحيث احتلوا ٢٥٪ من حجم لسوق الأوروبية ٠

٧ _ عمد الاسرائيليون لتحلية مياه البحر لزيادة رقعة الأراضى الزراعية رغم ارتفاع كافة التحلية لجأوا لاستعمال المكننة على نطاق واسع كآلات الحفر والحاصدات والتراكتورات ، كما كثفوا من استعمالهم للطاقة الكهربائية نتيجة ارتفاع نسبة المكننة لليد العاملة ٠ وكل هذه العوامل أدت الى زيادة افقية ورأسية فى مستوى الانتاج الزراعى ٠

٨ _ بلغ استهلاك القطاع الزراعى من المياه عام ١٩٨٨ حوالى ١٢٩٥ مليون متر مكعب ، بينما لم يزد استهلاك لبنان عى العام نفسه عن ٦٧٠ مليون متر مكعب ٠

٩ _ تدل الاحصاءات الزراعية الأخيرة ان صادرات اسرائيل الزراعية فى عام ١٩٩١ كانت على النحو الآتى :

(أ) حمضيات : ٥٣٨ الف طن مقارنة مع ٣٢٨ ألف طن عام ١٩٨٦ ويعود السبب الى ازدياد نسبة الاستهلاك المحلى بسبب الزيادة الكبيرة فى عدد المهاجرين الروس ٠

(ب) خضار : ٤١ الف طن مقارنة مع ٦٩ ألف طن عام ١٩٨٦ ٠

(ج) أوفاكادو : ٣٩ الف طن مقارنة مع الف طن عام ١٩٨٦ ٠

(هـ) أزهار : ارتفعت الصادرات من الأزهار الى ١٦٢ مليون دولار ٠

القطاع الصناعى فى اسرائيل

يؤكد الخبراء الاسرائيليون على الأمور الآتيــة فى القطاع الصنــاعى الاسرائيلى :

أولا : يعتبر القطاع الصناعى فى اسرائيل أهم قطاع بالنسبة الى معدل نموه ومدى مساهمته فى الانتاج المحلى ، اذ يبلغ عدد العمال فى الصناعــة ٣٣٠ ألف عامل موزعين على النحو الآتى :

- ٥٠ ألفا فى الصناعات الغذائية ٠
- ٤٦ ألفا فى الصناعات المعدنية ٠
- ٤٥ ألفا فى الصناعات الالكترونية والكهربائية ٠
- ٣٦ ألفا فى الملابس ٠
- ١٦٩ كيميائيا و ١٩ ألفا فى معدات النقل ٠

ثانيا : فى نهاية الخمسينيات ، وبعد حصولها على التعويضات الألمانية لضحايا النازية ، والتى بلغت حوالى ١٢ مليار دولارا استطاعت اسرائيل أن تقيم حوالى ١٤٫٠٠٠ منشأة صناعية جديدة توفر العمل لحوالى ١١٠ آلاف عامل صناعى جديد ٠

ثالثا : استثمرت اسرائيل موارد متزايدة فى هذا القطــاع بدليــل ارتفاع نسبية التكوين الرأسمالى الى حوالى ٢٥٪ كما لجأت لعملية استبدال بين المكننة واليد العاملة بسبب ارتفاع الأجور ورافق ذلك تركز الصناعات بحيث تضاءلت نسبة المنشآت التى توظف يدا عاملة به ١ ــ ١٠ عمال من ٢٤٫٦٪ عام ١٩٥٥ الى ١٣٫٢٪ عام ١٩٩١ ، وارتفعت نسبة المنشآت التى توظف ١٠٠ عامل أو أكثر الى ٤٠٪ منها ٣٣٪ من منشآت تضم ٣٠٠ عامل فما فوق ٠

رابعا : تنفق اسرائيل مبالغ طائلة على الأبحاث والتطوير فى ميــدان الصناعة والزراعة حيث بلغت فى عام ١٩٩١ نحو ٥٠٠ مليون دولار ٠

وأهم الصادرات الصــناعية فى اسرائيل حسب القيمة المطلقة لهذه الصادرات هى :

١ ــ الالماس	٤٠٠ مليون دولار ٠
٢ ــ الالكترونيات	٧٩٤ مليون دولار ٠

٣ ـ كيماويات ٧٦٠مليون دولار ٠

٤ ـ منتجات معدنية ٥٠٨ ملايين دولار ٠

٥ ـ معدات نقل ٤٠٤ ملايين دولار ٠

٦ ـ ماكولات معلبة ٣٧٧ مليون دولار ٠

٧ ـ ملابس وأدوات تجميل ٢٦٠ مليون دولار ٠

ونظرا لاضطرار اسرائيل المنافسة فى السوق الاوروبية المشتركة وفى أمريكا الشمالية، فقد طورت قطاعها الصناعى الى مستويات عالية من التقنية وتبنت أحدث وسائل الانتاج فى محاولة المحافظ على حصتها من هذه السوق ، ثم محاولة زيادتها قدر الامكان كما كثفت استثماراتها فى ميدان أبحاث التطوير فانفقت عام ١٩٩١ حوالى ٥٠٠ مليون دولار على قطاعات الزراعة والصناعة والأبحاث التى تخدم مختلف قطاعات الاقتصاد ٠

قطاع الخدمات

تعتبر السياحة والخدمات المصرفية والتأمين أهم الخدمات التى ستواجه منافسة اسرائيلية شديدة ٠ وقد استثمرت اسرائيل أموالا طائلة لانشاء مرافق سياحية على امتداد الساحل الاسرائيلى من رأس الناقورة فى الشمال حتى عسقلان فى الجنوب مرورا بنهاريا وعكا وحيفا وناتانيا وتل ابيب وحتى الجنوب ٠ كما استفادت من وجود الأماكن المقدسة للمسيحيين فى بيت لحم لاجتذاب الزوار والسياح ، وقد وصل عدد السياح فى عام ١٦٨٧ الى ٣٨٠ر١٠٠٠ سائحا انفقوا ما قيمته حوالى ٢ مليار دولار٠ وستحاول سلطات السياحة الاسرائيلية اجتذاب المواطنين العرب لارتياد مرافقها السياحية من خلال دعاية عالمية مكثفة وعلاقات عامة ٠

وفيما يتعلق بالخدمات المصرفية ، فالقطاع المصرفى فى اسرائيل هو ملك للدولة بنسبة ٨٥٪ وال ١٥٪ الباقية هى ملك الهستدروت (اتحاد نقابات العمال) والاسرائيليون بارعون فى ميدان العلاقات العامة والدعاية المكثفة اضافة لارتباطهم بشبكة واسعة فى العالم من المؤسسات المالية

المختلفة الأنواع والأحجام حيث يمتلك فيها اليهود خارج اسرائيل نفوذا كبيرا فى هذه المؤسسات العملاقة ٠

وبالنسبة الى الخدمات الطبية ، ففى اسرائيل عدد من المستشفيات المشهورة بمعداتها واطبائها خصوصا فى حيفا والقدس وتل أبيب ..

ولابد ونحن نناقش قضية التطبيع الاقتصادى مع اسرائيل الى حد اقامة سوق مشتركة أن ندرك الحقائق التالية :

أولا : ان اسرائيل تمثل مشروعا سياسيا واقتصاديا يرتكز على فكرة استيطان وتوسع على حساب الجيران العرب ، ثم ربط المناطق المحيطة بشبكة من العلاقات التجارية والزراعية والصناعية تحصل منها اسرائيل على حصة الأسد ٠

ثانيا : خير مثال على ذلك الضفة والقطاع ، فقد ألحقت اسرائيل هذه المناطق بالاقتصاد الاسرائيلى حيث أغرقتها بصادرات قيمتها ٨٩٠ مليون دولار خلال عام ١٩٩١ منها ٥٨١ مليون دولار صادرات اسرائيلية للضفة و ٢٩٩ مليون دولار لقطاع غزة ، وحجم الصادرات هذا يساوى اربعة أضعاف الصادرات اللبنانية لعام ١٩٩١ ٠

ثالثا : شكلت الضفة الغربية وقطاع غزة والشريط الحدودى خزانا بشريا لا ينضب لمد اسرائيل باليد العاملة الرخيصة بعد ان ارتفعت أجور اليد العاملة الاسرائيلية ٠

رابعا : أن اسرائيل قادرة على اغراق الأسواق اللبنانية بسلع زراعية وصناعية بأسعار تقل عن الكلفة الحديثة للانتاج ٠

خامسا : ستستغل اسرائيل وضع الاقتصاد اللبنانى المهلهل بعد الحرب الأهلية المدمرة ٠

سادسا : ان الظروف المعيشية القاسية التى يمر بها المواطن اللبنانى نتيجة البطالة قد تجعله صيدا سهلا لاغراءات السلع الاسرائيلية خصوصا الزراعة منها والصناعية ٠

سابعا : ان اسرائيل قادرة دوما على الحصول على مساعدات سخية من الولايات المتحدة وأوروبا فى حين ان لبنان لا يزال يعيش من مصادر تمويل لاعادة تأهيل البنية التحتية ٠

ويخلص تقرير الدكتور شبل بعد ذلك الى ما أسماه بالرأى الآخر فى تطبيع العلاقات العربية مع اسرائيل :

الرأى الآخر فى تطبيع العلاقات العربية مع اسرائيل

يمكن القول ان هنـاك اتجاهين من الآراء بصـدد تطبيع العلاقات العربية مع اسرائيل : الأول يؤكد على ان هنـاك خطرا على الاقتصـاد العربى ، والثانى يستبعد وجود هذا الخطر ، ويستند أنصار الرأى الأول بخطورة التعامل الاقتصادى مع اسرائيـل على مقولة ان اسرائيل سوف تقوم بدور الاستعمار الجديد فى هدم الاقتصاديات العربية ٠

وأما الاتجاه الثانى فيستبعد خطر الاقتصاد الاسرائيلى على الاقتصاد العربى للاعتبارات الآتيـة كما يقول الاقتصادى جمال عبد الحميد فى « شئون عربية » :

أولا : ان اسرائيل تعتمد حتى الآن على استيراد رأس المال الخارجى لتلبية احتياجاتها الذاتية ٠

ثانيا : ان ضيق الموارد الاسرائيلية يضع يدا قوية على قدرة الاقتصاد الاسرائيلى على الوصول الى المرحلة التى تمكنه من ممارسة دور الاستعمار الجديد فى المنطقة والهيمنة على الاقتصاديات العربية ٠

ثالثا : ان التوزيع الجغرافى للتجارة الخارجية الاسرائيلية يشكل عائقا كبيرا أمام تحولها للأسواق العربية ، وذلك بسـبب طابع التركيز الشديد الذى تتسم به ، وهو ما يعنى ان احداث التحول القـادرة على التأثير على الأسواق العربية الواسعة يعنى ان تنسحب اسرائيل من الأسواق الأوروبية والأمريكية ٠

رابعا : ان هيكل الصادرات الاسرائيلية يشكل عائقا قويا فى سبيل اعادة توجهها فى اتجاه العالم العـربى بما يكفل استخدامها للسيطرة الصهيونية على الاقتصاديات العربية حيث تشـكل صـادرات الالماس والسلاح نسبة كبيرة من هذه الصـادرات ، وهو ما يصعب لأسـباب اجتماعية واستراتيجية ان تجد لها سوقا فى البلاد العربية ٠

خامسا : ان التكنولوجيا الاسرائيلية مهما بلغت فانها لن تستطيع ان تصـل الى مستوى التقدم التكنولوجى الذى حققته البـلاد المتقدمة الأوروبية الغربية والأمريكية ٠

الأردن على الطريق :

وعلى أى حال ان الأمور تجرى بسرعة أكثر من المتوقع ٠٠ ففى اللقاء الذى حدث بين ولى عهد الأردن وشيمون بيريز وزير خارجية اسرائيل فى البيت الأبيض برعاية الرئيس كلينتون أعلن عن توصل الأردن واسرائيل

الى تشكيل لجنة مشابهة لتلك اللجنة التى نص عليها الاتفاق الفلسطينى ‏·· الاسرائيلى بشأن التعاون الاقتصادى وأيضا لجنة أخرى لتنظيم عملية الانماء الاقتصادى فى البلدين : اسرائيل والأردن · وبهذا يتشكل المحور الذى هدفت اليه اسرائيل لتشكل ثقلا اقتصاديا فى الســـوق الشرق أوسطية وهو محور اسرائيل ــ فلسطين الأردن ·

وهذا القرار الأردنى الأخير هو شرخ كبير فى المقاطعة الاقتصـــادية العربية ·· ويدعــو العرب الى تدبير الخطط اللازمة والعمليـــة لتنظيم التعاون الاقتصادى فى الشرق الأوسط كله ·

الأصوليون .. والاتفاقية ؟!

ويثور سؤال منذ توقيع الاتفاقيتين بين منظمة التحرير الفلسطينية واسرائيل عن المدى الذى يمكن أن تبلغه الاتجاهات الأصولية فى فلسطين وفى العالم العربى فى مقاومتها لهاتين الاتفاقيتين ..

هل يمكن أن تنجح فى افشالها والقضاء على هذه الفرصة للسلام .. ان الاتجاه الأصولى الذى تمثله منظمة حماس مثلا بالدرجة الأولى فى الأرض المحتلة فهناك منظمة أصولية صغيرة أخرى اسمها « الجهاد » .. وحزب الله الذى يقاوم بالسلاح قوات اسرائيل فى جنوب لبنان هى وجيشها اللبنانى العميل .. يدقان على نغمة محببة الى نفوس الشعوب العربية وهى نغمة محاربة الصهيونية والامبريالية ..

وحتى فى مصر يدق بعض ممثلى التيار الاسلامى المعتدل من أمثال الدكتور محمد عمارة على تلك النغمة اذ يدعون الى اقامة جبهة انقاذ وطنية ضد « التبعية والنفوذ الأجنبى » .. فى مواجهة الجبهة التى تدعو اليها الأحزاب الوطنية الديمقراطية فى مصر مثل الوفد والتجمع وغيرها ضد التطرف والارهاب ..

وقد نشرت جريدة لوس أنجلس تايمس الأمريكية مقالا لصحفى اسرائيلى اسمه يوسى ميلمان يكشف فيه عن عدة أمور هامة .. منها ما هو معروف مثل تشجيع السلطات الاسرائيلية نشاط منظمة حماس ضد منظمة التحرير .. ومنها ما هو غير معروف مثل تأثير النشاط الأصولى عموما فى دفع كل من أمريكا واسرائيل ومنظمة التحرير ومصر الى الاتجاه نحو المفاوضات السرية فى النرويج .. ولنقرأ ما جاء فى المقال :

ان دعاوى الشيخ ياسين كانت ضد السلام واسرائيل .. وقد قضت السلطات الاسرائيلية بسجنه لمدة ١٥ عاما ، بتهم التحريض على أعمال الارهاب والعنف .. انه الزعيم الروحى لحماس ، الحركة الدينية الاصولية الفلسطينية التي برزت خلال السنوات الخمس الماضية في الضفة الغربية.

وقطاع غزة المحتلين ، كعدو لدود ليس لاسرائيل فقط ولكن أيضا لعرفات ومنظمة التحرير .

وتؤمن حماس ايديولوجيا ، ودينيا وسياسيا ان حقيقة هويتها تعود جذورها لحركة الاخوان المسلمين التي أسست في مصر في الثلاثينيات .. وكانت السلطات العلمانية في مصر قد حاربت ضد حركة الاخوان ونجحت في قمعها .. ولكن رسالتها في التضامن الاسلامي والعداء للغرب والثقافة الغربية انتشرت لقطاع غزة ، الذي كان حتى حرب ١٩٦٧ في الشرق الأوسط تحت الحكم المصري .

تلك الحرب - التي نتج عنها ضم الضفة الغربية وقطاع غزة ومرتفعات الجولان وحوالي ١ر٤ مليون فلسطيني من السكان - شكلت تحديا جديدا لاسرائيل .. فمعظم الفلسطينيين في ذلك الوقت كانوا يؤيدون منظمة التحرير بسياستها العلمانية ويقرون أهدافها .. ولكن ومع قيام منظمة التحرير بانشطة مسلحة منظمة ، ابدت الحكومة الاسرائيلية تشوقا لمواجهة تأثير عرفات في المناطق المحتلة .. ولهذا فقد شجعت على تشكيل مجموعات تخدم لتكون بديلا للفصائل التي تهيمن على منظمة التحرير .. لقد كان نموذجا تقليديا لتكتيك « فرق تسد » والذي استخدمته قوات الاحتلال عبر التاريخ .

أحد « البدائل » التي يفترض ان تكون دعمت من قبل السلطات الاسرائيلية كانت مجموعة من الأصوليين الاسلاميين من لاجئي الاخوان المسلمين .. وبينما قيدت قوات الأمن والعسكرية الاسرائيلية حركة أي فلسطينيين يحتفظون بعلاقات أو صلة مع منظمة التحرير ، كانت الحركة الاسلامية تدعمها عدة حكومات عربية بحذر في السبعينيات وبداية الثمانينيات .. وقد سمح لها بحملات جمع الأموال والتبرعات في الدول العربية وسمحت لها باستيراد وجلب هذه الأموال للضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين .

وجذب التأثير النسبي للحركة الاسلامية ، وبالاندماج مع رسالتهم القائلة بضرورة العودة للجذور الدينية ، الشباب الفلسطيني بقوة .. وبدأ الآلاف منهم يحضرون صلاة الجمعة والانضمام لدروس تحفيظ القرآن .. وبدت عائلات بأكملها في استخدام العيادات الطبية والمراكز الاجتماعية الأخرى التابعة للحركة .

وفى ١٨ أغسطس ١٩٨٨، تم تشكيل منظمة حماس التى تعتبر مظلة للحركة ـ والتى تعنى « حماس » بالعربية ولكنها أيضا تحمل معنى الأحرف الأولى من اسم الحركة « حركة المقاومة الاسلامية » وذلك تحت توجيهات الشيخ أحمد ياسين ٠٠ وقد توصل ميثاق حماس الى ان كل التراب الفلسطينى هو وقف « ملكية اسلامية مقدسة » ملك للمسلمين الى الأبد ٠٠ وفى تصور حماس ، انه لا مكان لاسرائيل كدولة مستقلة للشعب اليهودى ٠٠ وشكلت حماس أيضا جناحا عسكريا وأعلنت « الجهاد » ضد اسرائيل ٠

وبتشكيل حماس وذراعها العسكرى ، كان هدف ياسين هو توحيد كل القوى الوطنية والاسلامية على السواء ، لكى تنخرط فى « اجنتفاضة » ضد اسرائيل ٠٠ ولم ير عرفات الانتفاضة كغاية فى حد ذاتها ، ولكنها كوسيلة للضغط على اسرائيل فى التفاوض ، وهكذا فقد بدأت حماس فى استهداف المنظمة أيضا ٠٠ وبينما تمت الاشارة للاسرائيليين « بالكفرة » فان نشطاء المنظمة وصموا بـ « خونة الاسلام » ، وخلال ذلك أحدثت حماس ضررا خطيرا فى القوات العسكرية الاسرائيلية فى الأراضى المحتلة كما انها قوضت المجتمع الاسرائيلى ، عبر ارسال فرق انتحارية ، فى مهمات انتحارية داخل اسرائيل نفسها ٠

ومع ذلك فان بروز حماس يجب أن ينظر له على المدى الأكبر الاقليمى ٠٠ ان الحقيقة الخطيرة التى تهددنا فى الشرق الأوسط هى أن الثورة الايرانية الاسلامية عام ١٩٧٩ قد الهمت كل الأصوليين الاسلاميين بصداها فى مختلف العالم العربى ٠٠ فى لبنان كان حزب الله الذى كان مسئولا خلال الثمانينيات عن خطف الرهائن الغربيين ، هو القوة الناشئة كتحد حقيقى للحكومة المركزية ٠٠ كما بدأ الأصوليون الاسلاميون الشيعة فى الحصول على مكاسب وقوة فى مصر والأردن وسوريا ٠٠ وفاز الأصوليون الاسلاميون السنة فى الجزائر بالانتخابات النيابية قبل ثلاث سنوات ، ليتم فقط منعهم من التمتع بنصرهم بانقلاب عسكرى مدعم من قبل فرنسا ٠٠ ومؤخرا انضمت السودان للقوى الراديكالية الأصولية عندما فرضت سلطتها العسكرية الشريعة كقانون للبلاد ٠

ان اعادة تشكيل الشرق الأوسط هذا جعل كلا من القادة الاسرائيليين وقادة منظمة التحرير يدركون ان تحدى الأصولية يعد خطرا وتهديدا أكبر من مجرد خوفهما من بعضهما البعض ٠٠ وصدق وأقر كل من رابين وعرفات بتشجيع من الادارة الأمريكية ـ التى أبدت قلقها من ان انتشار التعصب الدينى سيعرض تدفق نفط الشرق الأوسط للخطر ـ ومن القادة المعتدلين العرب مثل الرئيس المصرى حسنى مبارك على اجراء مفاوضات سرية ٠٠

وبينما كانت الاجتماعات الرسمية تعقد فى مؤتمر السلام بواشنطن » ٠ انشغل مبعوثو كل من رابين وعرفات فى مناقشات مكثفة فى النرويج ومصر ٠٠ وقد نتج عن ذلك اعلان مبادىء متفق عليه من كلا الجانبين ٠

والآن فان كلا من الاسرائيليين ومنظمة التحرير لا تريدان ان تخسرا قوة الدفع لانجازاتهما المفاجئة ، لانهما يعرفان ان عدوهما المشترك لن يتخلى عن دوره ٠٠ ويقدر العلماء السياسيون الفلسطينيون انه بالرغم من ان منظمة التحرير لا تزال القوة المهيمنة فى المجتمع الفلسطينى ، فان حماس تحصل على تأييد ٢٠ فى المائة من فلسطينيى الضفة الغربية ، وما يقارب ٤٠ فى المائة من غزة ٠٠ وهى تشكل تهديدا خطيرا لقيادة عرفات ٠٠ وفى نفس الوقت فى اسرائيل فان كل يوم يمر يزيد فرصا من ألا يتحمل حزب يوسف شاس الضغط السياسى المتنافس ويخرج من حكومة رابين « وقد خرج بالفعل » ٠

وفى تقديرنا أن نفوذ الأصوليين فى الأرض المحتلة وجنوب لبنـان سيتقلص كثيرا جدا وفقا للدرجة التى يبدى فيها الطرف الاسرائيلى مرونة فى مفاوضاته مع الطرف الفلسطينى والأطراف العربية جميعا ٠٠

فاذا ما حدث ونجحت تجربة الحكم الذاتى ثم توصل الفلسطينيون والاسرائيليون الى حلول عادلة فى مشاكل المرحلة الثانية المعقدة والمفروض أن تفضى فى النهاية الى حق تقرير المصير للشعب الفلسطينى وحل مشكلتى القدس والمستوطنات ٠٠ وانسحبت القوات الاسرائيلية من الجولان ولبنان وسوت مشاكلها مع الأردن وعقدت اتفاقات جدية مرضى عنهـا من كل الأطراف ٠٠ فانه لن يكون أمام حماس وحزب الله وغيرهما ما يمكن أن تثير به الجماهير العربية فى تلك البلاد ٠٠ وكسب أرضية فيها ٠٠

ولكن اذا حدث تصلب ومماطلة من الجانب الاسرائيلى ٠٠ فسيعطى ذلك فرصا ذهبية للتيار الأصولى على النطاق العربى كله أن يحرز مكاسب وسط الجماهير ٠٠ وسينكشف عجز النظم العربية عن التوصل الى حل للمشكلة الوطنية مع اسرائيل ٠

ولا يستبعد أن يعمد التيار الاصولى الى استخدام العنف استثمارا لمثل ذلك المناخ الذى ستسوده طبعا السلبية واليأس والاحباط ٠٠ وهذا سيعطى اسرائيل فرصة أكبر للتهرب والتعنت ٠٠

ومن ناحية أخري انفضاض الرأى العام العالمي عن تأييد القضية ٠

ونحن نرى أن هذا الرأى العام فى الوقت الحالى متحمس جدا لانهاء النزاع العربى الاسرائيلى ٠٠ وتتوالى الدعوات لتقديم المساعدات المادية والتكنولوجية لمساعدة الحكم الذاتى الفلسطينى ٠

وليس أدل على ذلك من أن قطاعات من للوبى الصهيونى ذاته فى الولايات المتحدة قد شاركت فى هذه الدعوة ٠٠ ففى خطوة مفاجئة وغير مسبوقة دعا حاخامات وقادة يهود أمريكيون الحكومة الأمريكية الى تقديم مساعدات وتمويل خاص للفلسطينيين لاقامة الحكم الذاتى الفلسطينى فى الضفة الغربية وقطاع غزة ٠

وجاءت هذه الدعوة فى بيانات مكتوبة أعلنت بمناسبة عيد السنة العبرية الجديدة ٠

ومن بين الجهات اليهودية التى أيدت تقديم المساعدات اتحاد الأمريكيين اليهود ، ومؤتمر رؤساء المنظمات اليهودية الأمريكية الذى يضم خمسين مجموعة يهودية ، والمؤتمر اليهودى الأمريكى ٠

وفى الوقت الذى حثت فيه هذه الجماعات على استمرار الدعم لاسرائيل وذكرت بالمصاعب التى قد تواجهها ، فان بعض الحاخامات طالبوا بتقديم مساعدات مالية للفلسطينيين ٠

وتزامنت هذه المواقف اليهودية مع دعوة وجهها الرئيس الأمريكى بيل كلينتون ونائبه آل جور ، وطالبا فيها مائة وسبعين شخصية من المواطنين الأمريكيين من أصول عربية ويهودية بدعم المساعدات المالية الأمريكية الى الفلسطينيين ٠

وكان النواب الأوروبيون قد وجهوا من ستراسبورج نداء لوضع « خطة دولية حقيقية لتقديم مساعدات اقتصادية واجتماعية للأراضى المحتلة » تشارك فيها « رءوس أموال عربية » ٠

وفى قرار تبناه البرلمان الأوروبى فى جلسته الموسعة تقرر تكليف رئيسه دعوة كل من الموقعين على الاتفاق الاسرائيلى الفلسطينى حول الحكم الذاتى ، ياسر عرفات واسحق رابين لالقاء كلمة فى الجلسة الموسعة المقبلة فى الأسابيع القادمة ٠

وصحيح أن المؤتمر الذى دعا اليه كلينتون للانعقاد فى واشنطن يوم أول أكتوبر ١٩٩٣ لتنظيم تقديم المعونات والمنح اللازمة لتنمية الضفة الغربية وغزة، بعد الاتفاق مع اسرائيل، يستهدف فى الأساس بداية للسوق الشرق أوسطية الا أنه استثمار لشعور التعاطف العام على النطاق العالمى

للقضية الفلسطينية التى ظهرت بوادر حلها بتوقيع الاتفاق بين اسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية ٠

واذا ما استمرت محاولات تخريب السلام بعد تحقيقه فعلا بواسطة الاتجاهات الأصولية ٠٠ فللأسف سنرى المعركة ضد تلك الاتجاهات ستمتد الى فلسطين المستقلة المتحدة كونفدراليا مع الاردن ٠٠ وسوريا ٠٠ ولبنان ٠٠ والأردن ٠٠ اذ لن تسمح الحكومات فى تلك الدول للتنظيمات الأصولية أن تدمر ذلك السلام الذى سعت اليه طويلا بعد صدامات مروعة مع اليهود استمرت قرنا من الزمان على حد تعبير شيمون بيريز ٠٠

وسيجد العرب أنفسهم فى معسكر واحد مع أمريكا واسرائيل فى حرب ضد المخربين الارهابيين من تيار الاسلام السياسى ٠٠ وذلك بفضل سياسة ذلك التيار الخرقاء الذى يدعمه المتهوسون فى ايران ٠٠ هذه هى احتمالات المستقبل بما تحمله من احتمالات قائمة ٠٠ نسجلها كى تعود كل القوى السياسية الى التفكر والتدبر ٠٠ اذ أن أخطر ما يواجه كل الأطراف هو الصدامات المسلحة العربية ٠٠ كما أنه من العبث أن يتصور التيار الاسلامى الارهابى أنه يمكن أن ينتصر على الاطلاق ضد هذه النظم العربية ٠٠ فمعركته ضدها معركة خاسرة لا جدوى منها ٠٠

فبعد السلام ستنطلق كل شعوب المنطقة نحو الأخذ بأسباب التقدم والتكنولوجيا لتعويض ما فاتها وما سببته حالة الحرب المزمنة من تخلف ٠٠ وفى مثل ذلك الجو ٠٠ لا تجد دعوات أصولية للعودة الى العصور الوسطى أى صدى ٠٠ خصوصا بعد حل المشكلة الوطنية ٠٠ وتفتح آفاق التطور العلمى وطموحات الانسان للسيطرة على الطبيعة وأن يكون سيد مصيره ومستقبله ٠٠ فالثورة العلمية هى التى ستحدد مصير العالم كله ٠٠

أضف الى ذلك أن أكبر دولة عربية وهى مصر ستكون قد أنهت « جراحة » الاصلاح الاقتصادى المؤلمة اذا جاز التعبير ٠٠ وسار اتجاه التطور الاقتصادى فى مسار سليم تقل فيه معاناة الجماهير كثيرا ٠٠ هذه المعاناة التى شكلت دائما أرضية خصبة لافراز احتياطى بشرى للتطرف والارهاب ٠٠

على أى حال ان التيار الأصولى فى المنطقة أصبح ظاهرة تثير اهتمام كل القوى وعلى رأسها القطب الأوحد للنظام العالمى الجديد ٠٠ وقد اخترنا نموذجا للفكر الأمريكى ازاء هذه الظاهرة وتأثيرها فى التوصل الى الاتفاق الفلسطينى الاسرائيلى ومستقبل حل مشكلة الشرق الأوسط ٠٠ وهو مقال للمستر جيمس بيكر وزير الخارجية الأمريكى فى عهد الرئيس جورج بوش ٠٠ وهو الوزير الذى زار المنطقة عشرات المرات ومثل الجهد الأمريكى

لعقد مؤتمر مدريد • وقد نشر المقال فى جريدة « الشرق » القطرية •

المقال بعنوان : الاتفاق الاسرائيلى الفلسطينى بداية الطريق وليس نهايتها :

بعد انقضاء عامين على اللقاء الذى تم بين وفديهما وجها لوجه فى مؤتمر مدريد للسلام فى الشرق الأوسط الذى رعته الولايات المتحدة وما كان يسمى الاتحاد السوفييتى فان اسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية لا تتخطيان الآن حاجزا دبلوماسيا تاريخيا فحسب بل وتعلنان أيضا التزامهما الحازم بقضية السلام •

فرئيس الوزراء الاسرائيلى اسحق رابين ووزير الخارجية شيمون بيريز وحتى ياسر عرفات ، يستحقون التقدير لما أبدوه من شجاعة شخصية وسياسية • بيد أن ما يدور الآن على الساحة يتجاوز الأطر المثالية • فالاتفاق الاسرائيلى ـ الفلسطينى يقوم على القاعدة الحقيقية الوحيدة التى يمكن أن ينبنى عليها السلام فى الشرق الأوسط وهى المصلحة الذاتية كما ان الاتفاق هو حصيلة رؤية هادئة بعيدة عن الانفعال للوقائع الجديدة •

وهذه الوقائع بالنسبة لعرفات ولمنظمة التحرير الفلسطينية تتضمن فقدان الاتحاد السوفيتى كسند ، وانخفاض حجم الدعم المالى من دول الخليج نتيجة تأييد المنظمة لصدام حسين وتصاعد مد حركة « حماس » وتنافسها مع المنظمة على الزعامة الفلسطينية •

أما بالنسبة للحكومة الاسرائيلية فان الوقائع الجديدة واضحة كما هى بالنسبة لمنظمة التحرير الفلسطينية ، فالمواجهة بين قوات الأمن الاسرائيلية وبين الفلسطينيين فى الضفة وقطاع غزة ماتزال مستعصية الحل كما كانت منذ بدايتها كما ان حركة الاصولية الاسلامية فى عموم المنطقة تشكل تهديدا متناميا لاسرائيل وتستغل النزاع العربى ـ الاسرائيلى لما فيه خدمة غاياتها المتطرفة • وأهم من ذلك كله الرغبة الجامحة لدى قطاعات كبيرة من الاسرائيليين فى طى ملف الدولة الاسرائيلية التى تعيش حربا مستمرة بكل ما ينطوى عليه هذا التفكير من تبعات سياسية واقتصادية ونفسية •

والاتفاق سيقابل حتما بالرفض من فئات قوية سواء فى الجانب العربى أو الاسرائيلى ففى عموم المنطقة هنالك جماعات كلها ملتزمة ـ وبعضها متطرفة ومسلحة على نحو خطير ـ بعمل كل ما من شأنه الحيلولة دون تحقيق السلام • كما ان الهوة بين الواقعيين والمتطرفين هى من الوضوح بدرجة لم يسبق لها مثيل •

بيد أن الاتفـاق الاسرائيلى ــ الفلسطينى هو بدايـة الطريق وليس نهايتها ويجب أن يتوسع نطاق التقدم على الجبهة الاسرائيلية ــ الفلسطينية ليشمل ترتيبات شاملة بين اسرائيل وجميع الدول العربية المجاورة لها ٠ فنحن باختصار على طريق دبلوماسية طويلة ولا نعدو فيها ٠ وهذه الخطوات ستستدعى التزاما ثابتا من قبل جميع الأطراف المعنية بالعملية بما فيها الولايات المتحدة ٠

والدور الأمريكى سيكون حاسما فى ضمان استمراريـة الديناميكية الدبلوماسية الحاليـة على غرار المساهمـة الأمريكية فى تهيئة الأجواء التى كفلت ازدهار العمليـة السلمية ، والمطلوب هنا هو أن ندعـم الدبلوماسية الواقعية بكل قوانا وأن نتصدى بنفس القوة للقوى المتطرفة التى تسعى الى النيـل من هذا النهج الواقعى ومثـل هذا المجهود لن يستدعى جهود وزير الخارجية الأمريكى فقط بل ويستدعى أيضا الزعامة الأمريكية الفاعلة فى شخص الرئيس سياسيا ، على الولايات المتحدة مساعدة اسرائيل وجيرانها العرب على توسع نطاق الاتفاق الاسرائيلى ــ الفلسطينى وصولا الى سلام شامل فى المنطقة فبعد أن بلورت الولايات المتحدة الاطار اللازم للاتصالات العربية ــ الاسرائيلية فان عليها الآن حث سوريا والأردن ولبنان على تخطى الحاجز والانطلاق من المفـاوضات الى الاتفاق ومن الاتصالات الى الصفقـات « ان صح التعبير » وحتى اذا ما تحقق مثل هذا التقدم فان مهام تنفيذ ما يتم التوصل اليه ووضعه فى اطار مؤسساتى ستظل معقدة وستستغرق سنوات قبل أن تحسم المسئوليات والمواعيد ٠

اقتصاديا يجب على الولايات المتحدة المساعدة فى تنسيق الدعم المالى لفلسطينى الضفة الغربية وقطاع غزة فهنالك نقص خطير فى الموارد اللازمة لابسط مهام الحكم الذاتى فى أريحا وقطاع غزة كما ان علينا عمل ما من شأنه مساعدة الفلسطينيين فى بقية مناطق الضفة الغربية فى ميادين الصحة والتعليم والرعاية الاجتماعية والسياحة والضرائب ٠

والمطلوب من الرئيس بيل كلينتون أن يوعز الى وزير الخارجية وارن كريستوفر بالعمل مع وزير الخزانة لويد بنتسين من أجل تشكيل تحالف دولى على غرار التحالف الذى نفذ بنجاح عمليتى « درع الصحراء» و«عاصفة الصحراء» اذ لا يجوز أن يتوقع الآخرون من الولايات المتحدة تحمل هذا العبء المالى الثقيل فنحن أكدنا عمق التزامنا بالسلام فى الشرق الأوسط والدليل على ذلك برامج المعونة الضخمة القائمـة بيننا وبين اسرائيل وبيننـا وبين مصر ٠ ان على الدول العربيـة الغنيـة ــ التى دأبت على تأييـد القضيـة الفلسطينية ودعمها ماليا ــ ان تقوم بدور رئيسى فى تقديم المعونة اللازمة ٠ ومثل هذه المساهمة مطلوبة أيضا من المجموعة الأوربية ــ التى طالما سعت

الى توسيع نطاق دورها فى الشرق الأوسط ـ واليابان التى تعتمد على ما تستورده من نفط لسد احتياجاتها من الطاقة • فليس هنالك دولة ليست لها مصلحة فى عودة الاستقرار الى الشرق الأوسط والمطلوب أن تتحمل كل دولة قسطها من المسئولية •

استراتيجيا ، من الضرورى أن تبدأ الولايات المتحدة مشاورات مع حلفائها ـ فى منطقة الشرق الأوسط وخارجها ـ بشأن الدور البناء الذى يمكن أن يضطلع به المجتمع الدولى فى ضمان الاتفاقات العربية ـ الاسرائيلية •

وينطبق هذا بالذات على أى اتفاق بين اسرائيل وسوريا بشأن مرتفعات الجولان حيث الطرفان سيسعيان حتما الى الحصول على ضمانات بشأن أى اتفاق يتوصلان اليه • وعلى الولايات المتحدة أيضا التشاور والتنسيق مع دول المنطقة وكذلك مع الدول الأوروبية الرئيسية بما فيها روسيا بشأن بلورة أكثر الأساليب فاعلية للتصدى للمحاولات الارهابية الحتمية لعرقلة العملية • عمليا على الولايات المتحدة التعاون بشكل جاد مع الأطراف المعنية بعملية السلام داخل المنطقة وخارجها •

وفيما يتعلق الأمر باسرائيل فان المطلوب من الولايات المتحدة هو أن توضح لها ان التزامنا بأمن اسرائيل سيظل قويا كما كان دائما وان السلام العربى ـ الاسرائيلى هو خير ضمان فى المدى البعيد لأمن اسرائيل ـ وهذه حقيقة يعترف بها رابين الذى له سجل طويل لا يمكن التشكيك فيه فى مضمار الدفاع عن اسرائيل • وعلينا أن ندعم مساعيه سواء فيما يتعلق بالاتفاق الاسرائيلى ـ الفلسطينى أو سياسة حكومته بشأن تقييد عمليات بناء المستوطنات الاسرائيلية فى الضفة الغربية علما بأن مثل هذا الدعم يتماشى مع موقف الولايات المتحدة القديم والثابت من هذه المستوطنات فى العهود الجمهورية والديمقراطية سواء بسواء •

وبينما شجب الحزب المعارض فى اسرائيل الاتفاق فان الخلافات بشأن الاتفاق داخل العالم العربى هى أعمق وأوسع وأخطر وهنا سيكون للدبلوماسية الأمريكية دور مهم •

فالولايات المتحدة يجب أن تحذو حذو اسرائيل اذا ما اعترفت الأخيرة بمنظمة التحرير الفلسطينية فاذا ما اعترفنا بالمنظمة فاننا سنعترف بالواقع السياسى الجديد الذى أوجده الاتفاق الاسرائيلى الفلسطينى الا أن علينا أيضا أن نوظف أية قنوات اتصال جديدة مع المنظمة لنتأكد من انها أيضا تعى الواقع الجديد •

ومثل هذا الاقرار بالواقع السياسى الجديد ينطبق بالذات على الارهاب فالمطلوب من منظمة التحرير الفلسطينية أن تترجم أقوالها فيما يتعلق بالارهاب الى أفعال • اذ أن أى عمل ارهابى ترعاه المنظمة أو تتساهل معه ، ضد اسرائيل والاسرائيليين سيكون أكبر خطر على الآفاق المستقبلية للحكم الذاتى الفلسطينى فالحكم الذاتى الفلسطينى يجب أن يعنى المسئولية الفلسطينية •

لقد أيد العاهل الأردنى الملك حسين الاتفاق الاسرائيلى ـ الفلسطينى واسرائيل والأردن هما على الأرجح قاب قوسين أو أدنى من التوصل الى اتفاق سلام ، والأردن دفع ثمنا باهظا مقابل موقفه شبه المحايد من الغزو العراقى للكويت • لقد راهن الأردن على الراديكالية وخسر الرهان وعلى الأردن فى هذه المرة أن يراهن على الواقعية • وفيما يتعلق الأمر بسوريا يجب أن يكون التماسك ، كما كان دائما السمة الرئيسية للتعامل الأمريكى معها فالرئيس السورى حافظ الأسد مفاوض عنيد وهذا ما لمسته منه شخصيا والتعامل معه سيقتضى من الرئيس كلينتون ومن وزير الخارجية كريستوفر التحلى بالصبر والصرامة فى ذات الوقت وأى اتفاق بين منظمة التحرير الفلسطينية واسرائيل سيزيل عقبة رئيسية أمام اتفاق سورى ـ اسرائيلى ففى ضوء انفتاح المنظمة على اسرائيل فان أى حديث عن « خيانة » سوريا للقضية الفلسطينية لن يكون مبررا اذا ما أبرمت سوريا اتفاق سلام منفردا مع اسرائيل • وعلى الولايات المتحدة أن تستمر فى تذكير الرئيس السورى بلطف بخياراته المحدودة • فالآن وبعد اختفاء الاتحاد السوفيتى والتزام روسيا بعملية السلام لم تعد لسوريا قوة رئيسية تدعمها وتتبنى قضاياها • وباعتبارها دولة علمانية فان من الصعب عليها التنافس مع ايران على زعامة الحركة الاسلامية الأصولية حتى وان رغبت فى ذلك وثمن عرقلة جهود السلام لن يكون فقط خسارة سوريا لمرتفعات الجولان ربما الى الأبد بل وخسارتها للدعم الغربى العام والخاص لبرنامج الانماء الاقتصادى السورى أيضا وعلينا أيضا أن نقنع سوريا بأن بمقدورها الاعتماد على الالتزام الأمريكى بضمان أى اتفاق يبرم بينها وبين اسرائيل • وبالنسبة لمصر وغيرها من الدول العربية المعتدلة فان استراتيجيتنا مختلفة لكنها بنفس الأهمية ، وطالما استمرت حكومات هذه الدول فى دعم الاتفاق فانها ستظل تتوقع هجمات من قوى الرفض التى تعارض بشدة أى مبادرة سلام مع اسرائيل ورؤساء هذه الدول ، التى تواجه فعلا المد الأصولى ، سيحتاجون ضمانات صريحة بشأن الدعم الأمريكى لهم والزخم هو من أهم مقومات العملية • وهذا الزخم مصدره اليوم قوى الاعتدال والسلام ولا يمكن لأية جهة التشكيك فى التزام الولايات المتحدة بالسلام فى الشرق الأوسط •

فالولايات المتحدة هى التى أوجدت المناخ الجغرافى الاستراتيجى الذى أتاح بدوره لعملية السلام فرصة النمو والازدهار فأولا الحقنا الهزيمة بالشيوعية فى الحرب الباردة ثم بالراديكالية العربية فى الخليج ـ وكلاهما كان من مستلزمات التفاؤل الحالى بشأن احلال السلام فى الشرق الأوسط ٠ الا أن رغبتنـــا ، نحن الذين نعيش خارج المنطقة ، فى السلام لا تتجاوز بالتأكيـــد وكما توضح منذ البداية رغبة أطراف النزاع كما لا يمكن أن نصنع مثل هذا السلام نيابة عن هذه الأطراف الا ان ما يجرى الآن يؤكد ليس فقط تطلع منظمة التحرير الفلسطينية واسرائيل الى السلام بل معرفتهما بكيفية صنع هذا السلام أيضا ٠

احتمـالات وتوقعـات وآراء

واذا كنا قد تحدثنا عن التيار الأصولى ونفوذه فى التـأثير فى مجريات الأمور ونحن نراه وقد لعب دورا رئيسيا فى تكتيل قوى المعارضة الفلسطينية من الاتفاقية ‥ حتى من داخل منظمة التحرير الفلسطينية ‥ فنرى التشكيلات الفلسطينية الثورية اليسارية تتفق مع منظمة حماس الاسلامية كما أعلن السيد نايف حواتمة رئيس الجبهة الديمقراطية كى يفشل الجميع الاتفاق وينجح الجميع فى اقناع أكثر من خمسة عشر عضوا من المجلس الأكبر الفلسطينى من حضور اجتماع المجلس الذى انعقد فى تونس فى التاسع من سبتمبر الماضى ‥

نقول ترى ما هى وجهة نظر مصر ازاء هذا التيار والنشـاط الأصولى ؟ ·

اخترنا أن ننقل وجهة نظر سفير مصر محمد بسيونى فى اسرائيل وهو يعيش الأحداث كلها فى قلب ساحة المعركة ‥

لقد سألته أميرة حسن مراسلة الأهرام الدائم فى القدس السؤال التالى :

بعد عودة حماس والجهاد الاسلامى الى الأراضى المحتلة ، وهم من المعارضين للاتفاق الاسرائيلى الفلسطينى · كيف فى رأيكم ستؤثر عودتهم على الوضع بشكل عام ؟

فأجـاب :

●● بسيونى : أولا كان قد تقرر موعد عودة ١٨٩ من المبعدين الذين انهو نصف المدة خلال الأشهر الماضية ، ولكنهم هم الذين رفضوا العودة ، وفى تقديرى أن المعارضة هى ظاهرة ديمقراطية ، ولكن يجب

الا تتجاوز المعارضة عملية ابداء الرأى ، لأنه اذا استخدمت المعارضـــة العنف والسلاح للتعبير عن نفسها ، ففى هذه الحالة ، سندخل مرحـلة من الفوضى ، ولا أعتقد أن عودة المبعدين من حركة حماس ستغير الموقف ، حيث أن هناك أغلبية واضحة فى أوســاط الفلسطينيين ، سواء فى غزة أو فى أريحا ، تؤيد هذا الاتفاق • وقد توصلت الى هذه النتيجة من خلال اتصالات شخصية تمت على أرض الواقع ، وما رأيته ولمسته فى أريحا والضفة الغربية ، والاتصالات التى تمت بينى وبين العديد من الشخصيات ورجل الشارع الفلسطينى • وبدون شك أن كل يوم يمر منذ الاعلان عن الاتفاق تزيد النسبة التى تؤيد الاتفاقية لأن الفلسطينيين يريدون انهـاء الاحتلال والعيش فى أمن وأمان واستقرار •

هذا السلام لن يأتى خلال سنة ولا تعنى الاتفاقية تفريطا فى الحقوق أو فى المبادىء ، والفلسطينيون يرون أنها خطوة على الطريق الصحيح •

كما أن انسحاب الجيش الاسرائيلى من أريحا سوف يعتبر بروفة لانسحاب الجيش الاسرائيلى من باقى مدن وقرى ومخيمات الضفة الغربية عندما يتم الاتفاق بهذا الشأن •

ولا ننسى أن هذه المرحلة تعتبر مرحلة انتقالية ، وستستمر خمس سنوات ؟ بحيث تبدأ مباحثات المرحلة النهائية فى الســنة الثالثـة من المرحلة الانتقالية • ومن المقرر أن تدخل الاتفاقية حيز التنفيذ بعد شهر من التوقيع عليها على أن تتم المباحثات لمدة شهرين حول المشـــاكل التى مازالت معلقة لتنفيذ خطوة (غزة ـ أريحا أولا) ثم بعد ذلك ٤ شــهور أخرى يتم خلالها التنفيذ ويتم تسليم السلطة للفلسطينيين ، أى أن عملية تسليم السلطة وخروج الجيش الاسرائيلى ستتم بالفعل بعد ٧ اشهر من توقيع الاتفاقية •

فلما سألته المراسلة :

● هل ستعقد لقاءات مع المعارضة الفلسطينية لبحث الاتفاقية ؟

●● بسيونى : سألتقى بالجميع ، ونحن نتحدث مع الجميع • ولكن على أرض الواقع • ونحن نؤكد أن هناك أغلبية تؤيد الاتفاق وتتزايد هذه الأغلبية كل يوم • وفى تقديرى أنه لو تم التصويت على هذا الاتفاق فى الأراضى المحتلة فلا شك أن الأغلبية العظمى للفلسطينيين ستؤيد هذا الاتفــاق •

ولكن كاتبا مصريا بارزا مثل الأستاذ محمد ســيد أحمد بجريده

الأهرام ومدير تحرير جريدة الأهالى يرى رأيا آخر اذ يقول فى أهرام ١٩٩٣/٩/١٦ :

« ان الاتفاقات رغم أنهـا تحظى بتأييد مطلق على الصعيد الدولى مازالت هشة على المستوى الاقليمى ٠

أنها مدعاة لاعتراضات قوية من الجانبين الاسرائيلى والفلسطينى معا ٠ فضلا عما أبدته الدول العربية المعنية مباشرة بالنزاع فى مقدمتها سوريا من تحفظات ٠

ويرجح المراقبون أن ينجح الاسرائيليون بينما يساورهم الشـك فى أن يكون الفلسطينيون قادرين على تجنيب خلافاتهم صورة الاقتتـال فى الشارع ٠٠

ويرى كاتب بارز آخر هو الأستاذ مرسى عطا الله رئيس تحـرير الأهرام المسائى خطورة شـديدة فى سـلوك الأصـوليين والمتـطرفين الفلسطينيين عموما ٠٠ اذ يقول فى أهرام ١٦ سبتمبر أيضا :
« ان المتطرفين الفلسطينيين يطالبون باغتيال عرفات واباحة دم معاونيه ٠ وتلك هى مأساة غياب العقل والاصرار على تغييب المنطق وتجاهل القاعدة المتعارف عليها سياسيا والتى تقول أن من لا يتقدم فى الحقيقة يتراجع ٠٠ ان قوى التطرف الفلسطينى لم تقدم بكل أسف مبررا منطقيا لتفسير هياجها الهستيرى الذى يشوه صورة العرب فى نظر العالم وتلبسهم ثياب القتلة والغوغائيين الذين لا يعرفون سوى لغة الاغتيال وسفك الدماء ٠ »

ويذكر مرسى عطا الله الحركة الوطنية الفلسطينية عموما ٠٠ بالتاريخ فى عبارات حاسمة صريحة تقوم على أساس الحقائق التاريخية لا أكثر ولا أقل :

١ ـ ان تجارب الرفض كانت على الدوام تجـارب مريرة ٠٠ فقد رفض الفلسطينيون قرار الأمم المتحدة رقم ١٢٧ لعـام ١٩٤٧ بشـأن تقسيم فلسطين الى دولتين احداهما فلسطينية والأخرى يهودية ، وترتب على هذا الرفض قيام حرب عام ١٩٤٨ ، التى انتهت بخطوط هدنة عام ١٩٤٩ وزيادة مساحة الدولة اليهودية زيادة كبيرة عما كان مقررا فى قرار التقسيم ، ثم وقعت حـرب عام ١٩٥٦ وكسـبت اسرائيـل مزايا استراتيجية تجاوزت حدود الرقعة الفلسطينية ، لعل أبرزها حق المرور فى خليج العقبة ، ثم وقعت حرب عام ١٩٦٧ واستولت أسرائيل خلالها على الضفة الغربية ٠ بما فيها القدس ـ وقطاع غزة وهضبة الجولان وشبه جزيرة سيناء ومساحات من الأراضى الأردنية شرقى النهر ٠

٢ ــ انه بعد أن حققنا نصر اكتوبر ١٩٧٣ وتخلصنا من عقد الهزائم وحساسيتها جاءت للفلسطينيين فرصة العمر بمبادرة السلام التى طرحها الرئيس السادات ، ولكنهم رفضوا المجيء الى مؤتمر مينا هاوس ليجلسوا تحت علمهم المرفرف الى جانب العلم الاسرائيلى ٠٠ فضاعت فرصة الاعتراف الضمنى غير المكتوب ، ثم رفضوا اطار الحكم الذاتى فى اتفاقيات كامب ديفيد فى وقت لم تكن هناك تلك الغاية الكثيفة من المستوطنات ، وكانت المزايا والمكاسب أوسع بكثير من الاطار الراهن لخيار « غزة ــ أريحا » ٠

٣ ــ انه مهما كان الرأى فى الاتفاق فان أحدا لا يستطيع أن يزعم بانه كان فى امكان الفلسطينيين أن يحصلوا الآن على اتفاق أفضل من هذا الاتفاق الذى يجيء ترجمة للواقع الراهن بموازينه الاقليمية والدولية ٠

٤ ــ ان البكاء على أطلال تنازلات الاعتراف والتزامات نبذ الارهاب شيء أشبه بدموع التماسيح ، لأن الاعتراف قائم وموجود منذ أن قرر المجلس الوطنى الفلسطينى عام ١٩٨٨ فى الجزائر قبول الحل السلمى على أساس قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ ، وقد تضمنت هذه القرارات أيضا نصا واضحا عن نبذ الأرهاب حرص ياسر عرفات على أن يؤكده بوضوح فى خطابه من على منبر الأمم المتحدة بجنيف فى نفس العام ٠

٥ ــ انه حتى فيما يتعلق بالجانب الاسرائيلى فقد كان هناك اعتراف ضمنى بالمنظمة منذ عام ١٩٩١ عندما قبلوا ــ أو أرغموا ــ على المشاركة فى مؤتمر مدريد والجلوس على مائدة المفاوضات مع الفلسطينيين ٠

ويلفت الصحفى البارز زكريا نيل الخبير بالشئون العربية

نظرنا الى الشعور العربى الاسرائيلى العام بالحذر رغم توقيع الاتفاقات مما يحمل الطرفين والعرب جميعا مسئولية التطور بالأوضاع الى المرحلة الثانية فى مرونة وتفاهم ازاء أى عقبة تعترض مفاوضات تقرير المصير ٠ والتى تشكل فى رأيه الاختبار الصعب فى تفهم عمق المشكلة وما ينطوى عليه من عقد وحساسيات ٠

ولكن زكريا نيل يلفت نظرنا الى الفرق بيننا وبين اسرائيل فيقول ٠٠ ان اسرائيل منهمكة فى اعداد نفسها لما بعد السلام فقد أعلن الرجل الثانى فى وزارة اسحاق رابين شيمون بيريز وزير الخارجية أن اسرائيل قد خططت واستعدت لاستثمار مرحلة السلام ، وانها فيما خططته تتطلع الى أن تتحول اسرائيل الى مركز خدمات فى الشرق الأوسط على غرار هونج كونج فى الشرق الأقصى ٠

ويدعوا الكاتب الى ضرورة انشاء مجلس قومى عربى تخطيطى مشترك يجمع علماء العرب وخبرائهم على أى أرض عربى ليطرح خريطة العمل وخططه لمواجهة المستقبل ٠

ويتساءل هل نحن قادرون على التسابق مع تحولات العصر ومستجداته ؟ ٠

ويطرح الكاتب المعروف **محمود التهامى رئيس تحرير مجلة روز اليوسف** رأيا آخر بالنسبة للاتفاق وعلاقته بالمتطرفين ٠٠ فيقول :

« ان هذا الاتفاق فى طبيعته يمثل انتصارا كبيرا للتوجهات المعتدلة بالمنطقة وللأفكار المؤيدة لعملية السلام ، كما يعتبر دعما محمودا لتهيئة مناخ الاستقرار المطلوب لانهاء الصراع العربى الاسرائيلى بصورة عادلة ٠

وأقول أنه دعم محدود نظرا لأن حجم الانجاز لا يزال اقل بكثير من طموح المناضلين من أجل حقوق الشعب الفلسطينى ٠

وقد سمعنا فور الاعلان عن الاتفاق تعليقات ساخرة أو متشائمة ٠ ولكن ليس من الانصاف فى شىء استقبال ما تحقق بسخرية أو فتور أو تشاؤم ٠

فالاتفاق مفهوم أنه نقطة بداية ٠٠ بل أستطيع القول انه لا يعدو أن يكون « حضانة » تحتمى بها المفاوضات من ردود الفعل المتسرعة أو الغاضبة ٠

وكذلك من التحركات الراديكالية للعناصر المتشددة التى تتخذ العنف هدفا فى حد ذاته لفرض آرائها المتشددة أو المتطرفة ٠

وأضاف محمود التهامى تفسيرا لموقف اسرائيل فقال :

« وتعتبر موافقة اسرائيل على التعامل مع منظمة التحرير الفلسطينية كممثل للشعب الفلسطينى انتصارا للمنظمة ٠ واعترافا من اسرائيل بقوة الأمر الواقع ٠

كما يعتبر ايقاف العنف فى مصلحة الطرفين المفاوضين معا ٠

وعن دور مصر قال : كما أن توقيع المنظمة على اتفاق جزئى كتمهيد للتوصل الى تسوية شاملة يعنى انتصارا للدبلوماسية المصرية واثباتا لواقعية استراتيجية مصر تجاه استقرار الأوضاع فى المنطقة وأسلوب تحقيق ذلك الاستقرار ٠٠ »

ويقدم لنا الكاتب الصحفى المعروف **صلاح منتصر رئيس تحرير**

مجلة أكتوبر عرضا موضوعيا سريعا لوجهتى النظر بالنسبة للاتفاقية فيقول فى جريدة الأهرام ١٨ سبتمبر ١٩٩٣ تحت عنوان « لماذا يعارضون » ٠

« الذين يعارضون الاتفاقية من الفلسطينيين يهددون واللذين يعارضونها من الاسرائيليين يتظاهرون ٠

والمحصلة أن الكل على الجانبين غير راضى بالاتفاقية ، وهو مؤشر يعكس أنها لا تغبن طرفا على حساب طرف ٠

وعدد من الذين عارضوا الاتفاقية من الرموز الفلسطينية الذين يحمل كل منهم لقب « أبو » كثير منهم عارضوا الاتفاقية قبل أن يقرأوها ، وفيهم من ليس على استعداد لتأييد أى عمل يحققه أبو عمار لمجرد أنه أبو عمار ٠٠ وهؤلاء لا يجدون ما يرددونه غير التهديد بالاغتيال ، وان كان أنور السادات لا يعجبهم حتى اليوم فهل ينتظر أن يعجبهم ما جاءهم به عرفات ؟!

ولكن هناك معارضة موضوعية للاتفاق تأخذ عليه أنه لم يحل موضوعا صعبا من الموضوعات المعلقة بين الاسرائيليين والفلسطينيين ٠٠ وقد تكون هناك موضوعات صعبة كثيرة ولكن أصعب هذه الأصعب القضايا الثلاث : القدس والمستوطنات التى بناها الاسرائيليون فى الضفة ويسكنها أكثر من ١٠٠ ألف يهودى ، ثم قضية اللاجئين الفلسطينيين الذين هاجروا من بلادهم ويعيشون فى المهجر ، وهؤلاء يبلغ عددهم نحو ٤ ملايين لاجىء يمثلون ٦٠ فى المائة من تعداد كل الشعب الفلسطينى (عدد الفلسطينيين فى الأرض المحتلة ٥ر٢ مليون) ٠ و ١٠٥ مليون لاجىء من هؤلاء الفلسطينيين غادروا بلادهم اثر عدوان ٦٧ أى أنهم ابتعدوا عن الأرض ٢٦ سنة ، ولكن هناك ثلاثة ملايين هاجروا بلادهم منذ عام ٤٨ أى من ٤٥ سنة ٠٠ وقد أصرت الدول العربية أن يعيشوا فى المخيمات ولا تمنحهم الجنسية حتى تبقى « الفلسطينية » قضية مشتعلة ببقائهم فى المخيمات ٠

ثم أن من الانتقادات التى توجه الى الاتفاقية الجديدة انها تعطى ثقة كبيرة لنوايا اسرائيل مع أنه اذا كان سوء النية مفترضا أصلا مع أى طرف فهو تجاه اسرائيل بالذات مقرر ٠٠ فماذا اذا تعثرت المفاوضات حول عديد من القضايا التى سيبحثها الجانبان مستقبلا ؟ ما هو الضمان لحلها ، وما هو العمل اذا تعنتت اسرائيل ، وما هو ضمان أن تأتى حكومة جديدة لليكود ولا تعترف بما وقعته حكومة حزب العمل ؟ ٠ ولكن

الواقع ان الاتفاقية الجديدة ليست كلها كوبا فارغا ليست فيه رشفة ماء تطفىء ظمأ الفلسطينيين .. فلابد ان اعتراف اسرائيل بالمنظمة كممثل الشعب الفلسطيني وهو ما كان يحلم به الفلسطينيون والعرب هو من المكاسب ، ولابد أن انسحاب القوات العسكرية الاسرائيلية من كل غزة ومنطقة أريحا يدخل أيضا فى قائمة المكاسب وان ممارسة الفلسطينيين عملية الحكم الذاتى أيضا من المكاسب .. وان اعتراف أمريكا والعالم بها من المكاسب ، وان احتمالات المساعدات الاقتصادية القادمة اليها من المكاسب .. فمن يريد أن يقيم الاتفاق لابد أن ينظر الى ايجابياته وسلبياته .. ولهذا فان معارضى الاتفاق موجودين هنا ويتظاهرون هناك !

وبهذا العرض السريع لبعض الآراء التى تضمنت توقعات واحتمالات مختلفة . وقد عرضناها كنماذج .. مختلفة ما بين مؤيد .. ومعارض .. وبين وبين .. حتى يعيش القارىء التطورات المثيرة الحاصلة اليوم ..

ولكن فى جميع الأحوال لا أحد يستطيع أن ينكر أن ما يسعى اليه العرب اليوم هو دون مستوى ما كان يسعى اليه المرحوم أنور السادات . واذا ما شئنا عدم الدخول فى جدل المقارنة فسنتنازل ونقول انه مشابه لما سعى اليه وحصل عليه فعلا بالنسبة للقضية الفلسطينية على الأقل :

ولذلك فانه من قبيل المكابرة أن يبخس أى كاتب حق الرجل وبعد نظره وقدرته على الحصول على الأمانى القومية التى يجاهد الفلسطينيون بشق الأنفس للحصول عليها اليوم ..

ولذلك فان كاتبا معروفا مثل الأستاذ سعد كامل الكاتب بجريدة الأخبار وذو التاريخ النضالى العريق فى صفوف حركة السلام المصرية والعالمية والحركة اليسارية المصرية كان شجاعا وأمينا عندما كتب فى جريدة الأخبار فى شهر سبتمبر ١٩٩٣ مقالا صريحا يعترف فيه بخطئه وخطأ اليسار المصرى عموما فى مقاومته لاتفاقية كامب ديفيد وسياسة أنور السادات حيال النزاع العربى الاسرائيلى .

وقد كان الأستاذ سعد كامل من مناهضى كامب ديفيد وتلك السياسة .. ولذلك نحن نسجل شجاعته ونقده الذاتى والموضوعى .. وهو مثل يحتذى يجب أن يقتدى به كل اليسار المصرى والعربى وكل من ناهض سياسة السادات فى أمر كامب ديفيد يساريا كان أو يمينيا !

ان النقد مطلوب .. وكان وجه التاريخ سيتغير لو أن اليسار والقوى الوطنية العربية بما فيها منظمة التحرير الفلسطينية قد اتخذوا

موقفا ايجابيا من سياسة السادات ٠٠ والايجابية تعنى نقد المواقف الخاطئة أيضا ٠٠

وكان المفاوض سيستفيد قطعا من مثل ذلك النقد ٠٠ أما الاتهـام بالخيانة والمروق ٠٠ الخ ٠٠ فسيضعف من شأنه ٠٠ ويفسـد كل شيء ٠٠ وينمى الاتجاه نحو التوجه للحل المنفرد وليذهب الخصوم الهدامون الى الجحيم !!

لو كانت المنظمة ‥ ؟!

لو ‥ لو ‥ دعنا نتصور ماذا كان سيكون عليه السيناريو لو كانت المنظمة قد حضرت مؤتمر ميناهاوس ‥ هى وسوريا والأردن ولبنان ‥ فكان الذى سيحدث أحد أمرين :

اما أن تمضى المفاوضـات ‥ وفى هذه الحالة كان يمكن كسب مكاسب أكثر مما حقق السادات ٠

واحتمال الكسب كان قائما لأن العرب أيامها كانوا خارجين من حرب أكتوبر منذ ٥ سنوات فقط ويمثلون قوة ‥ لم تكن العراق قد حطمت ‥ ولا الكويت قد غزيت ‥ وحدث التمزق العربى الذى نعيشه ‥

ولم تكن منظمة التحرير الفلسطينية قد انقسمت أو ضربت ضربات مروعة من جانب سوريا مثلا والأمريكيين كما حدث بعد ذلك على أرض لبنان ‥

ولم تكن اسرائيل قد غزت لبنان وانكشف الضعف العربى الى حد وقوفهم سلبيين ازاء ذلك الغزو وبالتالى ذاق الاسرائيليون لحم دولة عربية دخلوا عاصمتها (بيروت) دون أن يتصدى لهم أحد من سائر الدول العربية ‥

باختصار كان العرب « بخيرهم » كما يقال ‥ وكان معهم الاتحاد السوفيتى ‥ والرأى العام العالمى الذى وضع اسرائيل فى « كورنر » بعد أن زارها رئيس أكبر دولة عربية ‥ وجلس اليها العرب يتفاوضون معها فسقطت دعواها بأن العرب يريدون القاءها فى البحر ‥

والاحتمال الثانى لو استمع العرب لنصيحة السادات واستجابوا لدعوته الى ميناهاوس أن المفاوضات كانت ستفشل ‥ حسنا كنا سنفشل جميعا ‥ أى العرب ‥ ولم يكن هناك محل لحل منفرد تنفرد به مصر ‥ وسيكون على العرب البحث عن طريق آخر لتعويض ذلك الفشل لتحقيق

أمانيهم القومية وكانت تلك الطريقة ستعقد كثيرا على مدى الدور الاسرائيلى والأمريكى فى افشال تلك المفاوضات ..

وكان للرأى العالمى أيامها .. والمنظمة الدولية موقف مختلف عما عليه الحال اليوم بعد انفراد الولايات المتحدة بوضع القطب الاستراتيجى العالمى الأوحد ..

وبعد حرب الخليج أصبح لها وضع متميز خاص فى منطقة الشرق الأوسط .. بل هو وضع الهيمنة على المنطقة بأسرها وهو ما تنبأ به كل أولئك الذين عارضوا الاستعانة بها فى انهاء الاحتلال العراقى للكويت ..

وهذا الوضع الخاص أو الهيمنة جعل الدول العربية فى المنطقة كلها تتخذ مواقف مختلفة بالنسبة للولايات المتحدة قاعدتها الأساسية الاعتماد عليها والخوف منها فى نفس الوقت .. فى وقت لا تستطيع قوى دولية أخرى عمل شىء .. سوى التضامن مع الولايات المتحدة فى أغلب الأحيان مثل الدول الغربية واليابان .. أو تقف موقفا سلبيا مثل الصين التى كانت مواقف تثير ضجة على الأقل من قضايا التحرر عامة .. وقضايا العرب خاصة .. حتى جاء وقت كانت تؤكد فيه الشعار المتطرف الطفولى بالقضاء على اسرائيل وتعاير الاتحاد السوفيتى أنه يعترف بدولة اسرائيل مما يعد خيانة للعرب ! .

ان الصين رغم أهميتها كدولة كبرى لها حق الفيتو فى مجلس الأمن لم تجرؤ على استخدام ذلك الفيتو مرة واحدة ضد أى اقتراح أمريكى أو غربى سواء ضد العراق .. أو ضد الصومال .. أو فى غير صالح المسلمين فى البوسنة .. الخ ..

وهى غارقة فى الاهتمام بمسار الاصلاح الاقتصادى لديها .. بما يفرضه عليها من حاجة الى مد اليد للولايات المتحدة : تكنولوجيا لله ؟!

واذا كانت مرشحة لتكون قطبا من الأقطاب الدولية فى القرن الواحد والعشرين .. فان ذلك لا يؤثر فى موقفها من قضايا الشرق الأوسط ..

وكيف لا تخاف الدول العربية من الولايات المتحدة وهى تراها تقصف العراق فى كل وقت وآن لمجرد أن بطاريات الدفاع الجوى تحرك الرادار لتتأكد أن طائرة عابرة فى السماء العراقية ليست ايرانية أو تركية .. ثم هى تقصف ليبيا .. وتهدد بقصفها .. وان عدلت مؤقتا عن القصف تعمل على حصارها وتجويعها واذلال كرامتها ؟!

أما اليابان فهى قوة اقتصادية هائلة ٠٠ لكن ليس دور بارز أو مؤثر فى الاستراتيجية العالمية ٠٠ ولذلك هى تمشى وراء الولايات المتحدة فى سياستها فى المنطقة على الأقل لضمان الاحتفاظ بجريان بترول المنطقة اليها ٠٠

ولكن هناك عاملا هاما وفى رأينا أنه أخطر من ذلك الذى ذكرناه هو الذى يجعل قيادة مثل القيادة الفلسطينية توافق على تحقيق الأمانى القومية خطوة خطوة ٠٠ أى توافق اليوم على أقل مما رفضته بالأمس ٠٠ بل كل القوى الوطنية مطالبة بمثل تلك الموافقة والا ضاعت القضية من جديد لسنوات طويلة ٠٠

هذا العامل هو أن الجماهير العربية عموما تعيش فى حالة جزر ثورى ٠٠ أى فى حالة ركود سياسى وعزوف عن الحركة والمقاومة للهيمنة أو التبعية أو عن أى نشاط سياسى ٠٠

ولذلك أسباب كثيرة وعديدة ٠٠ أغلبها محلى ٠٠ وبعضها دولى وعالمى ٠٠

ولم تكن حالة الجزر هذه موجودة عام ١٩٧٧ عندما قام السادات بمبادرته ثم مفاوضاته من أجل حل القضية ٠٠

لقد كان زخم حرب أكتوبر مازال قائما ٠٠ وشعور الشعوب العربية بزهو الانتصار موجودا ٠٠ وادراكها للدور الأمريكى فى تلك الحرب فى مساعدة اسرائيل معروفا ٠٠

وكانت أثار التربية الوطنية للجماهير التى حققتها الناصرية ٠٠ وحزب البعث الاشتراكى العربى ٠٠ واليسار العربى عموما ٠٠ وكل القوى الوطنية الديمقراطية لها وجودها بين شعوب المنطقة وساعد على ذلك وجود المعسكر الاشتراكى الذى كان يساعد فى اذكاء الوعى المضـــاد والشعور الوطنى للاستعمار والصهيونية والامبريالية بين جماهير المنطقة ٠٠

ولذلك كان متوقعـــا أن يســـاهم ذلك المد الثورى بين جماهير ٧٧ ـ ١٩٧٨ فى انجاح المفاوضات وحصول المفاوضين العرب على مكاسب أكثر ٠٠ تخلق حالة سلم عادل شامل فى المنطقة وتؤدى الى قيام تعاون عربى اسرائيلى فى جميع الميادين على أساس ندى متكافىء ٠٠ حتى لو دخلت أمريكا فيه ٠٠ كان الاتحاد السوفيتى كان هناك بحيث يمكن تحجيم القوة الأمريكية الاسرائيلية عن السيطرة على مثل ذلك التعاون ٠٠

أما فى حالة الجزر الثورى الحالية ٠٠ فالحقيقة أن القوة الشعبية الوحيدة في العـــالم العربى التى تعيش حالة مد ثورى هى الشعب

الفلسطينى وتعبرها هذه الحالة عن نفسها بالانتفاضة الباسلة التى هى المحرك الأساسى للقضية فى وقت انصرفت فيه معظم الجماهير العربية تلعق جراحها من المعاناه الاقتصادية (مثل مصر) أو من الحصار (مثل العراق وليبيا) أو من الارهاب (مثل مصر والجزائر وتونس) ‥ أو من الديكتاتورية والشمولية (مثل معظم دول الخليج) ‥ أو من ظلام العصور الوسطى (مثل السودان) ‥ وهكذا ‥

وليس من مصلحة معظم حكام العالم العربى أن تنتهى حالة الجزر الثورى التى تعيشها الشعوب العربية حاليا . فانتهاؤها يعنى يقظة الجماهير وتحركها للمشاركة الحقيقية فى السلطة واصدار القرار ‥

فلماذا تجلب تلك الأنظمة الحاكمة على نفسها تلك المشاركة ؟ ‥ ومن ثم فان من مصلحتها ‥ أن تروج الدعايات القائلة بأنه لا سبيل الى عصيان ارادة وتوجيهات ورغبات الولايات المتحدة حتى تنكفىء الشعوب على نفسها ويسيطر عليها اليأس ‥ وتظل فى حالة سبات شـــتوى وصيفى ‥

مع أن الواقع قد أثبت أنه رغم زوال الاتحاد السوفيتى ‥ وانفراد الولايات المتحدة بالسيطرة على العالم ‥ ورغم قوتها الهائلة التى لا مثيل لها فى أى مكان على ظهر هذا الكوكب أو حتى كواكب المجموعة الشمسية كلها فيما نعلم حتى اليوم ‥

فانه يمكن لجماهير أى بلد أن تؤثر فى الموقف الأمريكى وتمنع أذاها ‥ أو تضعف من شأنه ‥

وليتأمل القارىء مثال الصومال حيث ذلك الشعب الجائع الفقير العادى المتخلف ‥ انه عندما وجد قيادة ــ أيا كان نوعها ــ توجهه للنضال ضد قوات الولايات المتحدة التى انتهكت ميثاق منظمة الأمم المتحدة نفسه التى تلفعت به تلك القوات ‥

فان الولايات المتحدة بدأت فى التراجع ‥ ووقف الأذى ولو مؤقتا ‥ لماذا ؟ ‥ يجب ألا ننسى أن هذه الدول الغربية وبالذات الولايات المتحدة تعيش نظاما ديمقراطيا يجعل من الرأى العام قوة تأثيرية ضخمة على صانع القرار الأمريكى ‥ كما أنه يسمح بتحرك كل القوى الاجتماعية فى النظام الأمريكى لتعبر عن وجهة نظرها ولكل قوة صحفها ‥ ومحطات اذاعاتها وتليفزيوناتها ‥ ولها ممثلين فى الكونجرس ‥

وهى قوى احتكارية أو رأسمالية فى معظمها حقا ‥ لكن لها مصالح متناقضة ‥ ولا ننسي أغلبية تلك القوى في وقت أزمة الخليج قد جعلت

الكونجرس يصدر قرارا يمنع الرئيس الأمريكى من شن حرب ضد العراق الا باذنه ..

كما أن الشعب الأمريكى حريص على أبنائه .. لا يريد الزج بهم فى حرب يقتلون فيها دون مبرر .. وقد تعلم من تجربة فيتنـــام القاسية ..

انه وافق على الدخول فى حرب الخليج . لأنه اقتنع بأن مصالحه البترولية مهددة .. ثم ان صدام حسين كان غاية فى الحمق والعمى السياسى بفضــل فرديته وغروره وأحــلام العظمة .. وجمعية المنتفعين حوله .. والديكتاتورية التى فرضها على شعبه ..

اليوم لا يفهم الشعب الأمريكى لماذا يموت جنود له فى بلد قيل له لقد ذهبنا لمجرد انقاذ شعبها من الجوع .. فاذا به يقرأ ويشاهد على شاشة التليفزيون طائراته تقصف الأحياء السكنية للجياع .. وجنوده يدخلون فى معارك غير مفهوم لديه أسبابها .. ولقد رأينا الضجة التى أثيرت حول الطيار الأمريكى الأسير لدى قوات الجنرال عيديد فى الصومال وكيف اهتموا بالافراج عنه وهللوا لذلك .. فالانسان الأمريكى غالى الثمن ..

ونحن قد تطرقنا الى مسألة المد والجزر هذه وبذلك الاسهاب فى محاولة لرفع الروح المعنوية للقارىء فى جو اليأس والاحباط المخيم على الحركة الوطنية فى مصر وسائر أنحاء العالم العربى .. بعد تلك السيطرة والأعمال الخرقاء التى تقوم بها الولايات المتحدة فى أماكن من عالمنا العربى .. دون أن يحدث ذلك التحرك الذى كان يحدث فى الأيام المجيـدة القديمة ..

ولهذا فان أى قائد سياسى يجب أن يدرك ظروف عصره .. وظروف بلده .. وظروف قوته .. وظروف حلفائه ان وجدوا .. بل عليه أن يوجدهم .. فمن يعمل على احداث تغيير جذرى أن يبحث عن حليف ..

وبناء عليه يتخذ الموقف المناسب لهذا كله ..

ثلاث اعتبـارات

ومن هنا فان المفاوض العربى مع اسرائيل لابد أن يسعى الى التضامن العربى .. فالتضامن العربى فى حد ذاته يساعد فى نفض حالة الجزر ويتقدم بنا خطوات الى حالة المد الثورى ..

وليعلم ذلك المفاوض ٠٠ أنه فى ظل انخفاض مستوى التنسيق العربى وغلبة الشكوك المتبادلة بين المفاوضين العرب من الدول المتفاوضة ٠٠ كأن اسرائيل هى التى ستستطيع أن تفرض حلولا جزئية وتزوغ من الحل الشامل ٠

ومن هنا نستطيع أن ندرك أنه كلما زادت الصيحات السورية ضد الاتفاق الفلسطينى الاسرائيلى ٠٠ فان ذلك يسعد الاسرائيلين كثيرا ٠٠ ويؤكد لهم عدم توافر الثقة بين العرب وبعضهم البعض ٠٠ كما أن ما يقال عن قيام تنسيق بينهم فى المفاوضات مسألة شكلية أو محدودة جدا ٠٠

والمفاوض العربى عندما نحثه على أن التضامن العربى ضرورة ٠٠ بل هو حبل الانقاذ فعلا ٠٠ انما لأنه يجب أن يضع ثلاثة اعتبارات هامة أمام عينيه وهو يتفاوض مع اسرائيل :

الاعتبار الأول : أنه لم يعد هناك حدود لنمو اسرائيل السكانى ٠٠ بمعنى أنه لم تعد الحكومة الاسرائيلية فى حاجة الى « تسول » المهاجرين اليهود من العالم عن طريق مناورات والاعيب بل وضغوط ومساومات دولية تشترك فيها الولايات المتحدة ذاتها ٠

فلم تعد هناك حاجة الى هذا بعد أن أصبح بوسع أى يهودى فى العالم أن يهاجر الى اسرائيل منذ نجح الضغط الأمريكى على الاتحاد السوفيتى السابق لرفع كل القيود على حركة الهجرة اليهودية منه الى اسرائيل ٠

فأصبح من يريد الهجرة يهاجر ٠٠ حتى من الدول العربية ٠٠ ولم يعد يثير ذلك استنكار أحد ٠٠ خصوصا بعد أن نجحت الولايات المتحدة فى جعل منظمة الأمم المتحدة تلغى قرارها السابق بمساواة الصهيونية بالعنصرية ٠٠ ومما يذكر أن مصر امتنعت عن التصويت عند عرض ذلك القرار للتصويت ٠٠ ولم يحدث أى تحرك عربى مضاد لهذا ٠٠

وها نحن نرى الكويت تدعو الى رفع المقاطعة عن اسرائيل ٠٠ ورئيس وزراء اسرائيل يزور المغرب ٠٠ ونائب وزير الخارجية يزور تونس ٠٠ ورئيس الوزراء ينزل فى أندونيسيا ليجتمع ساعات مع رئيس الجهورية هناك وهى أكبر بلد اسلامى ٠٠ والأمير بندر السعودى يجرى حديثا فى صحيفة اسرائيلية وسيصبح بوسع اسرائيل أن تكون دولة كبيرة فى المنطقة نسبيا أى يمكن أن يصبح عدد سكانها ستة أو سبعة ملايين ٠٠ وهى الأن أكثر من أربعة ملايين ٠٠

وهذه الملايين الزائدة ستكون من صفوة العالم ٠٠ أى خريجى

الجامعات والفنيين والعمال المهرة ٠٠ وستكون إسرائيل محور جذب ليهود كثيرين عندما تدخل في مرحلة السلام الشامل مع العـرب وما يتبعه من مشاريع اقتصادية مشتركة٠٠ في المنطقة ٠٠ تزحف الى أفريقيا ٠٠

الاعتبار الثاني : أن اسرائيل وهي تتفاوض مع العرب تتبع تكنيك أمريكا في حرب فيتنام ٠٠ فخلال المفاوضـــات في واشنطن ٠٠ قامت فجأة بحملة شاملة عسكرية في يوليو ١٩٩٣ ضد لبنـــان ٠٠ غير تلك الحملات المحدودة المتقطعة سواء على جنوب لبنان أو في الأراضي الفلسطينية المحتلة والهدف من ذلك كله هو محاولة الضغط على المفاوضين العـــرب حتى تستطيع ابتزاز أكبر مكاسب منهم ٠٠ كما كانت أمريكا تفعل ضد فيتنام وهي تفاوضها في باريس فقد كانت الطائرات الأمريكية تواصل قصف هانوي في وحشية ٠٠ ان الاسرائيليين يريدون أن يقولوا للعرب ان خيار التفاوض ذاته ليس طريقا لتحقيق مطالبكم كلها ٠٠ فاذا كان الخيار العسكري نفسه قد فشل في حسم تلك القضية ٠٠ فليس أمامكم الا أن تقبلوا ما أقدمه أنا على مائدة المفاوضات على أساس توازن القوى على أرض الواقع ٠٠

الاعتبار الثالث : هو الدور أو الطموحات التركية ٠٠ وهو اعتبار يعتبر في الحقيقة احتياطي لاسرائيل ٠

فالرئيس التركي المتوفى أوزال قال في ٧ مايو ١٩٩١ ان لتركيا دورا في تسوية المشكلة الفلسطينية ولابد من حضـــورها في أي مؤتمر يعقد بشأنها لأن تركيا وكافة دول المنطقة بما فيها فلسطين والأردن كانت تابعة للدولة العثمانية ٠٠ (كذا) ؟! ٠

معروف أن تركيا لها أحلام بممارسة دور اقليمي في الدائرة العربية كما تطمح في نفس الوقت الى الاندماج والالتحاق بالدائرة الأوربية لتكون حلقة الوصل أو السمسار بين أوربا والعالم العربي ٠

وكي تلعب تركيـــا هـــذا الدور فهي مستعدة لتشكيل محور مع اسرائيل لتكونا بمثابة قلب ومحور الحركة داخل أي نظام اقتصـــادي شرق أوسطي بدلا من أن يلعب هذا الدور العرب أو محور منهم خصوصا أن تركيا تتميز بأنها تمتلك مصادر للميـــاه وهي احدى مشاكل المنطقة التي لابد من التنسيق والاتفاق حولها ٠

والذي سيساعد تركيا على تكوين مثل ذلك المحور مع اسرائيل هو كونها ذراعا من أذرعة الغرب في المنطقة ٠٠ وهي لاتكن ودا للعالم العربي ٠٠ ومشاغباتها مع سوريا ٠٠ ومواقفها الانتهازية الغادرة مع العراق

مشهودة ٠٠ وهى تتخذ من القضايا المحلية مثل موضوعات الأقلية الكردية والتركمانية والمياه فى هاتين الدولتين عوامل تنغيص واقلاق للغرب ٠٠

اللاجئــون

فى الاجتماع الأول بين المفاوضين الفلسطينيين برئاسة نبيل شعث والوفد الاسرائيلى فى طابا أثيرت مسألة اللاجئين الفلسطينيين ٠٠ ومفهوم أن اتفاقية غزة ــ أريحا قد سمحت بعودة اللاجئين بعد حرب ١٩٦٧ ٠٠ أما لاجئو عام ١٩٤٨ فلم يتعرض لها الاتفاق ٠٠ وتركت للمفاوضات بعد تطبيق الحكم الذاتى للتوصل الى الحل النهائى ٠٠ اذ هنــاك قرارات واضحة من هيئة الأمم المتحدة لحل تلك المشكلة حلا نهائيا ٠

لكن الاسرائيليين فى مفاوضات طابا طرحوا مع الفلسطينيين انبدء بالاتفاق على عودة اللاجئين لأسباب انسانية أى جمع شمل العائلات ٠٠ وقترحوا أن يسمح بعودة ألفى لاجــىء من هذا النــوع كل ســنة لمدة خمس سنوات ٠

ودهش المفاوض الفلسطينى اذ أن عدد الحالات الانسانية للاجئين تزيد عن سبعمائة ألف لاجىء ٠٠ فكيف يمكن التوفيق بين الرقم الذى طرحه الاسرائيليون (عشرة آلاف) والرقم الحقيقى وهو سبعمائة ألف ٠

ولايبدو أن هناك حلا وسطا بالنسبة لهذا الرقم ٠٠ كما قال الياس سندر عضو الوفد الفلسطينى المفاوض ٠٠ اذ قال كيف يمـكن السماح لأب أن يعود لأبناءه مثلا ٠٠ بينما لا يسمح لأب آخر ان القاعدة يجب أن تسرى على الجميع ٠

والواقع أن مشكلة اللاجئين الفلسطينيين مشكلة مقعدة ، بل وبالغة التعقيد ٠٠

هناك اللاجئون نتيجـة حرب ١٩٤٨ وقد عرفتهــم منظمة غوث وتشغيل اللاجئين « الأونورا » بأن « الواحد منهم كان مسكنه الطبيعى فلسطين لمدة عامين على الأقل قبل عام ١٩٤٨ والذى فقد نتيجة لحرب ١٩٤٨ مسكنه ووسائل معيشته ولجأ الى احدى الدول حيث تقدم الوكالة مساعداتها ــ السياسة الدولية أكتوبر ١٩٩٣ » ٠

وتقدر « الأونورا » عد اللاجئين الفلسطينيين بأنهم مليونى شخص ونصف المليون وأسماؤهم مسجلة كلها عندها ٠ بينما تقــدر المصــادر الفلسطينية عددهم بمليونين وثمانمائة ألف ٠

ويتوزع هؤلاء اللاجئين كما يلى :

- الضفة الغربيـــة ٤٣٠ ألف لاجىء يعيش منهـــم ١٠٥ ألف فى عشرين مخيما ٠

- قطاع غزة ٥٢٨ ألف لاجىء يعيش معظمهم فى سبع مخيمات ٠

- الأردن ٩٦٠ ألف يعيش ثمانون ألف منهم فى عشر مخيمات ٠

- لبنـــان يوجـــد ٤٠٠ ألف لاجىء يعيش منهـــم ١٥ ألف فى أربعة عشر مخيما ٠

وواقع الأمر أنه يوجد على الأقل مليون لاجىء من هذا العدد أجبرتهم اسرائيل على مغادرة مدنهم وقراهم وأراضيهم واللجوء الى الأقطار العربيه المجاورة ليستوطن مكانهم يهود مهاجرون ٠ وذلك عقب حرب ١٩٤٨ ٠

وظلت الفكرة لدى اسرائيل أن اللاجئين اللذين لجئوا الى العـالم العربى سيندمجون فى المجتمعات التى انتقلوا اليها ٠

ولكن البلاد العربيـــة رفضت ذلك الاندماج وأبقت الفلسطينيين اللذين انتقلوا اليها فى خيـام لتكون رمزا وعامل ضغط على أن المشكلة الفلسطينية لم تحل ٠٠ وأنه يجب عودة اللاجئين ٠

والحقيقة أن مشكلة اللاجئين ســـتكون من أصعب المشاكل التى ستواجه المتفاوضين الاسرائيليين والفلسطينيين ٠ فاسرائيل رفضت كل قرارات هيئة الأمم المتحدة التى وضعت حلولا عادلة للمشكلة ٠

وسبب موقف اسرائيل مفهوم : انها لاتريد أن يزيد عدد الشعب الفلسطينى فى تلك المساحة من الأرض التى سيقوم فيها كيان فلسطينى ٠٠ زيادة كبيرة (مليونين أو أكثر) ٠٠ من ناحيـــة أخرى ان قرارات الأمم المتحدة نصت على حق عودة الفلسطينيين الى أرض لهم فى اسرائيل نفسها ٠٠ أو تعويضهم ٠

وهذه العودة تمثل خطرا على اسرائيـل من ناحية التكوين البشرى للسكان كما تمثل زيادة فى الاختياطى العربى للأمة العربية ذاتها داخليا ٠

وفى جميع الحلول التى طرحتها اسرائيل لحل تلك المشكلة كانت قائمة على الدعوة لتوطين هؤلاء اللاجئين فى الدول العربية التى يقيمون فيها حاليا فى مخيمات باعتبار أن الجميع عرب !

وفى اجتماع لجنة اللاجئين فى العاصـــمة الكندية أوتاوا فى مايو ١٩٩٢ ونوفمبر ١٩٩٢ وشارك فيها فلسطينيون صرح الممثل الأمريكى بأن من حق اللاجئين الفلسطينيين العودة أو التعويض حسب قرار الجمعيه

العمومية للأمم المتحدة رقم ١٩٤ • وأكدت بريطانيا واستراليا على ذلك القــرار •

وأثار ذلك سخط اسرائيــل وصدرت تصريحات من كافة القوى السياسية فيها على رفض الالتزام بقرارات الأمم المتحدة الصادرة بشأن حق اللاجئين فى العودة أو التعويض •

وكانت النتيجة للأسف أن تراجعت الولايات المتحدة فى تصريحها وأحالت حل المشكلة الى المفاوضات المباشرة بين الأطراف المعنية •

وطبعا الدول العربية التى يعيش فيها الفلسطينيون لاجئين ترفض عملية التوطين لما سيترتب على ذلك من صعوبات ومشاكل معقدة لها •• ولذلك ترفض الحل الاسرائيلى بالتوطين فيها •

على أى حال لابد فى النهاية من ايجاد حل وأغلب الظن أنه سيعتمد على قاعدتين القاعدة الأولى تعويض أغلبهم بعد السماح بعودة جزء منهم ••

•• والقاعدة الثانية تقديم مساعدات مالية سخية للبــلاد التى يعيش فيها عدد من اللاجئين لتقبل توطينهم وادماجهم فى الحياة اليومية •

المشــكلة الســورية ••

ماذا يريد الاسرائيليون من سوريا بالضبط ؟ ••

انهم يريدون من سوريا تحديد شكل وعناصر السلام بحيث يتفق مع ما تريده اسرائيــل أى التطبيع الكامل والتبــادل الدبلوماسى •• ويريدون أعلان هذا قبل أن يعلنوا هم اســتعدادهم للجلاء عن الجولان جلاء كاملا ••

ويبدو الأمر كما لو كانت المشكلة تتركز فيمن يبــدأ « الأول » •• خصوصا أن هناك تصريحات اسرائيلية توحى بامكانية جلاء اسرائيل عن الجولان بشكل جزئى •• أو شبه كلى ••

ثم ان الاسرائيليين يطلبون من السوريين تحجيم نشاط الجماعات المعارضة للاتفاق الفلسطينى ـ الاسرائيلى •• ووقف نشاط حزب الله بالضغط على الحكومة اللبنانية •

وفى تقديرنا أن الجهود التى بذلت وتبذل حاليا من جانب مصر •• وموقف سوريا الصريح والمحدد على ضرورة الجلاء الكامل عن الجولان ••

سيؤديان فى النهاية الى التوصل لتسوية مشابهة للتسوية التى حدثت فى الجلاء عن سـيناء ..

واذا كان الاسرائيليون يتقاعسون حاليا عن الاهتمام بقضية سوريا فان ذلك التقاعس سيتوظف بعـد أن يحدث تقـدم في تنفيذ الاتفاق فى غزة وأريحا .. وتحدث تهيئة كبيرة للرأى العام الاسرائيلى للجلاء عن الجولان التى ترتبط فى أذهان الناس هناك بأنها قاعدة لضرب شـمال اسرائيل .. كما أنها قد ضمت الى الخضـوع للقانون الاسرائيـلى .. وما صورته الدعاية الاستعمارية ضد سوريا على أنهـا دولة كبرى تريد الاعتداء على اسرائيل .. وتتسلح حتى الأسنان من أجل ذلك الغرض .

ولا يتوقع فى الوقت الحالى تقدما على الجبهة اللبنانية أيضا .. فهى مرتبطة تماما بالموقف من سوريا ..

ويأمل اليمين الاسرائيلى طبعا أن يحدث تفجر فى الموقف من جانب حزب الله والجبهة الفلسطينية المعارضـة . بحيث تحدث مزيـد من الصدامات المسلحة بحيث يمـكن وقف المفاوضات والمحاولات لتسوية مشكلتى سـوريا ولبنـان .. ويمتد هذا الوقف طبعا الى ما أمكن النجاح فيه وهو المجال الفلسطينى ..

ان الموقف فى الحقيقة مشحون بالمفاجآت خصوصـا أن السـاحة العربية تغص بالمراهقين السياسيين علاوة على النفوذ الايرانى الذى يسعى لتخريب أى سلام فى المنطقة .. وها هى يران تحاول الاقتراب من العراق لتشكل جبهة معها تقوم بشىء جديد ضد التسوية فى الشرق الأوسط .

ونرجو ألا يستدرج العراق لذلك فيكفيه مشاكله .. التى نحاول خلق نوع من التضامن العربى لمساعدته على حلها .. وحل سائر مشاكل العالم العربى .

الختام .. والمستقبل ..

ها قد رأينا كيف أن « أبو عمار » قد عاد الى ما رفضـــه ورفضته أغلب القوى الوطنية العربية والدول العربية والدول الغربية أيضا عام ١٩٧٧ ـ ١٩٧٨ ‧‧ وأصبح « اسطبل داود » ذلك الاسم المشوه لمعاهدة كامب ديفيد ‧‧ أملا ومطلبا لتلك القوى فى عالم اليوم ‧‧

ولابد هنا أن نشيد بقدرة ياسر عرفات ومهارته السياسية اذ كيف استطاع أن يتخذ ذلك الموقف الانقلابى بهذه الجسارة والجرأة ‧‧

ورغم أنى لست على علاقة بالزعيم الفلسطينى ولا بأى زعيم فلسطينى اللهم الا معرفة عادية من خلال عملى كصحفى ‧‧ الا أنى أشعـــر بتقدير واحترام كبير لهذا القائد الفلسطينى ‧‧

وكل ما يتهم به من تردد أو تناقض فى الموقف ‧‧ وتبديل سريع فى المواقف ‧‧ هو فى الحقيقة دليـــل على قدراته وذكائه ‧‧ ذلك لأن ساحة النضال الفلسطينى تغص باتجاهات وتيارات وأحزاب وجماعات عديدة ‧‧ ذات مواقف متضاربة ‧‧ ويساعد على الثرثرة الكثيرة كون معظم المناضلين لايعيشون فى وطن ‧‧ على أرض ‧‧ انما هم فى الشتات ‧‧ فى كل مكان ‧‧

ثم ان الشعب الفلسطينى يلقى متاعب كثيرة من أشقائه العرب ‧ علاوة على العالم الخارجى ‧‧

صحيح أن جزءا من المسئوليـــة يقع على الانحراف فى النضـــال الفلسطينى كخطف الطائرات وقتل المدنيين ‧‧ الخ ‧

وكان على ياسر عرفات أن يوفق بين كل تلك التيارات والاتجاهات الموجودة بالعشرات ‧‧

لذلك لم أكن أجد غرابة فى أن أسمعه اليوم يهاجم مصر ‧‧ ثم بعد يومين يمتدحها !‧‧

بل حتى موقفه أيام أزمة الخليج ·· كنت أفهم تناقضه خلالها ··

ولا ننسى أبدا أن هناك تيارات داخل الحركة الوطنية الفلسطينية تميل الى استخدام سلاح التصفية الجسدية لمواجهة الخلافات ·· ولو أن منظمة فلسطينية سعت الى اغتيال الزعيم عرفات فسيحدث بحر من الدماء بين الفلسطينيين بعضهم البعض ··

لذلك كان الموقف الذكى دائما من القوى الوطنية الواعية فى العالم العربى ليس تجريح الزعيم الفلسطينى ·· وتشويه قيادته بل مساندة الخط السليم الذى يجب اتباعه ··

وأشهد أن القيادة السياسية المصرية قد تصرفت وفق هذا الخط فى ثبات واصرار ··

وهناك أسرار كثيرة عن تفاصـــيل ذلك التطبيق الذكى من جانب الرئيس حسنى مبارك ·· الذى عهـــد بالقضية الفلسطينية الى مهندس سياسى بارع هو الدكتور أسامة الباز مدير مكتبه السياسى ·· الذى عالج العلاقة مع ياسر عرفات وزعماء منظمة التحرير فى كياسة وسعة ادراك ·· وحرص على التوصل الى الهدف الرئيسى لحركة التحرر الوطنى الفلسطينى والعربى وهو جلاء القوات الاسرائيلية وحق تقـــرير المصـــير للشعب الفلسطينى ··

لقد أخطأ عرفات خطأ جسيما برفضه الالتقاء بسياسة أنور السادات وبالذات رفضه حضور مؤتمر مينا هاوس ·· لكنه كان يواجــه ضغوطا رهيبة ويكفى أن هناك جيشا فلسطينيا كاملا كان تحت سيطرة النظام السورى الذى كان من أشد المتشنجين ضد سياسة السادات ·· ثم كان هناك صدام حسين الذى كان يهدد باقى الزعمــاء العــرب باغتيالهــم فى فراشهم اذا ما تهاونوا مع السادات !··

والتوصل الى الاتفاق الفلسطينى الاسرائيلى هو ثمرة سياسة سليمة اتبعتها منظمة التحرير بقيادة عرفات الى جانب العوامل الأخـرى التى ذكرناها فى صفحات هذا الكتاب ·

وهذه القيادة ستواجه صعوبة من المعارضة لها ·· وأخطر ما يمكن حدوثه هو الصدام المسلح ·· فانه اذا حدث سيأخذ شكلا كاريكاتيريا مأساويا اذ ستجد الشرطة الفلسطينية فى ادارة الحكم الذاتى فى مواجهة مسلحة مع عناصر فلسطينية مناوئة ·· والسجون التى من المفروض أن تخليها السلطات الاسرائيلية من المعتقلين الفلسطينيين كمـــا تدور حول ذلك المفاوضات ستعود وتمتلىء بمعتقلين فلسطينيين أيضـــا اعتقلتهم

السلطة الوطنيـــة الجديدة ٠٠ بل ربما حدث شيء أغـــرب من هذا هو التعاون بين السلطة الفلسطينية هذه وجيش الاحتلال الاسرائيلي لمواجهة هؤلاء المسلحين ؟! ٠

بل انه من المتوقع اذا تمت تسوية شـــاملة عادلة بين العـــرب واسرائيل عموما ٠٠ فان قوى القمع العربية هي التى ستضرب العناصر المغامرة المتطرفة أيا كانت انجاهها التى تحـــاول تخريب السلام وتعكيره صفو المنطقة بالقوة ؟!٠٠

ومثل هذه الأعمال التخريبية لن تجدى ٠٠ فعملية السلام اذا طبقت بجدية فستمضى فى طريقهـــا ٠٠ وجميع الأطراف يرون أن أى محاولة لتخريبها تضر الجميع ٠٠

وحاليا كمـا ذكرنا من قبـل يتحدثون عن التعاون الفلسطينى ـ الاسرائيلى فى مواجهة مخربى عملية الســـلام اللذين يستخدمون القوة والعنف ٠٠ فالمعارضة السلمية والجماهيرية شيء طبيعى ولا يمكن الوقوف ضدها فالمفروض أن تـكون الدولة الذاتيـــة أو الكاملة الجديدة دولة ديمقراطية تعوض الشعب الفلسطينى عن عشرات سنين الكبت والقهر من جانب الانجليز ـ والاسرائيليين والعرب أيضا !

ومن الآن ٠٠ يجب ان يفكر العرب ويحددوا آفاق المستقبل وماذا يجب عمله ٠٠ بدلا من الندب والولوله على أن اسرائيل ستبتلع هذا العالم العربى المترامى الأطراف سياسيا واقتصاديا وثقافيا ٠٠

وتسمع بعض المثقفين يتشدقون بمـــا يصفونه مخاطـــر الثقافة الصهيونية ٠٠ ونحن لاندرى ولا نعرف لليهود تراثا ثقافيا يمثل خطورة على أى أحد ٠٠ ان العادات والتقاليد الدينيـــة اليهودية بجانب الأعمال التى تعودوا القيام بها بجانب الاضطهادات التى لحقت بهـــم على مدى عصور تاريخية معنية ٠٠ خلقت عناصر للالتقاء والتوحد ٠٠

ولايمكن مقارنة أية كتابات يهودية منذ مئات أو آلاف السنين ٠٠ بالكتابات المصرية الفرعونية ٠٠ أو الاغريقية ٠٠ أو الأشورية والبابلية ٠٠ ثم بالكتابات الاسلامية والعربية ٠٠

ثم من الذى يجبرنا على تقبل ما يزعم أنه ثقافة صهيونية ؟٠ هل اختفى المثقفون العرب بحيث لايستطيعون الرد على مثـــل تلك الثقافة المزعومة ٠٠

اننا نعيش ونتنفس فى العـالم كله منذ عشرات السنين فى اطـار الثقافة الاستعمارية الامبريالية فى كل المجالات ٠٠

ومع ذلك استطعنا أن نجد لثقافتنا العربية مكانهـا ·· ولم نعلن توجسنا وخوفنا من تلك الثقافة وجلسنا نلطم الخدود ونشق الجيوب ··

أما الجانب الاقتصادى فليتجه المثقفون والمنظرون والاقتصـاديون العرب الى تقوية الاقتصاد العربى ·· ليواجه أى تعاون على أسـاس المساواة ·· فمستحيل عملية الانعزال عن أى تكتل اقتصادى فى لعالم بعد اذ أصبح متشابكا ·· فأنت فى أفريقيا ستجد رأسمالا غربيا ويابانيا وافريقيا واسرائيليا ربما ·· ونحن جزء من أفريقيا مثلا ·· ولا نستطيع تجاهل التعاون مع بلادها وهكذا ··

كل هذه الدعوات هى لاثارة الشكوك ·· حول قضية السلام ·· ولكنا نعلم أن معظم الذين يروجون لها سيكونون أول من يقفز على السلام عندما يصبح حقيقة واقعة ليكسبوا منه كالعـادة مغانم ومكاسب ·· ونحن لدينا خبرة تاريخية بهؤلاء خصوصا بعد أن وقفوا طويلا يرفعون علم النضال ضد كامب ديفيد ··

لن ندهش بعد استقرار السـلام أن نجد كثيرا من أولئك اللذين عارضوا كامب ديفيد ويعارضون اتفاقيات اليوم ·· يسرعون الى تشكيل جمعيات مثل جمعية الصـداقة المصرية الاسرائيلية ·· وجمعية البحث المصرى الإسرائيلى المشترك وجمعية الأبحاث من أجل السلام ·· وجمعية تل أبيب ـ القاهرة الاقتصـادية ·· ومركز الأبحـاث الاستراتيجيه الاسرائيلى العربى ·· وجماعة البحث الاسرائيلى المصرى للاستراتيجية ·· ولا بأس بجمعية دفن موتى مصرية ـ اسرائيلية !!

وسنرى مراكز للأبحاث ظلت تقبض من الأمريكيين ·· جامعاتهـم ومن وراء جامعاتهـم ·· تقبض من الاسرائيليين وجامعاتهـم ومن وراء جامعاتهم ؟! ··

وستكون أصواتهم أعلى الأصـوات دفاعا عن الصداقة العربيـة الاسرائيلية ··

وسيصادقون كتاب اسرائيل ورجال الاذاعة والتليفزيون والسينما والمسرح فيها ·· ويتبارون فى تقديم أعمالهم هنـاك ·· وسينظمون المهرجانات والمؤتمرات ··

وهذا كله شيء جميل مادام السلام العادل الشامل قد تحقق ··

أما نحن ·· بعد تحقيق ذلك السـلام فسننسحب ·· من كل هذا « المولد » ·· فنحن كنا ومازلنا نناضل في اصرار وأمانة كاملة من أجل

تحقيق هذا السلام ٠٠ مدركين الظروف الذاتية والموضوعية ٠٠ أما وقد تحقق فلا مكان لنا لأنه ليس لنا أى مطمع أو هدف شخصى ٠٠

واذا كنا قد حضرنا من قبل مؤتمرات أو مناظرات مع الاسرائيليين وعتاولة الصهاينة (أمارس شخصيا هذا منذحرب ١٩٦٧ على طول أوروبا وعرضها) ٠ فانما من أجل هذا الهدف ٠

واذا كنا قد زرنا اسرائيل عدة مرات وهوجمنا هجوما شديدا من زملائنا الصحفيين ٠٠ من اتجاهات مختلفة أبرزها اليسار والناصريون فانما لننقل الى القارىء العربى ما يجب أن يعرفه عن العدو الذى يجب أن نحاربه اذا حاربنا ٠٠ ونعقد معه سلاما اذا ما جنح السلام ٠٠

واذا كنا قد كتبنا عشرات المقالات دفاعا عن الحق العربى فى مجلة « نيو أوت لوك » التى تتبنى ذلك الحق منذ ثلاثين عاما أو أكثر وتصدر بالانجليزية شهريا ٠٠ واتهمنا وهوجمنا فى طفولية على أننى « مراسل لجريدة صهيونية » اشارة طبعا الى أن المراسل يقبض أموالا ٠٠ ويعمل لحساب الصهيونية ٠٠ بينما أنا أكتب وأكتب لحساب الشعب الفلسطينى والعربى عموما ٠٠

واذا ٠٠ واذا ٠٠

بعد السلام ٠٠ سننسحب من هذا كله ٠٠ ولن تعود تثير اهتمامنا زيارة اسرائيل ٠٠ أو المناظرات مع الصهاينة ٠٠ وان كنا سنحتفظ بصداقات عزيزة مع عناصر اسرائيلية مناضلة شجاعة مثل لطيف دورى وديفيد شحم وبعض قادة الحزب الشيوعى الاسرائيلى ٠٠ أشد الفصائل الاسرائيلية بسالة فى النضال من أجل الحقوق العربية سواء للعرب داخل اسرائيل أو الشعب الفلسطينى ٠٠

وسأحتفظ بصداقة أولئك العرب داخل اسرائيل ٠٠ الذين تشوفوا المستقبل أو أصروا على البقاء ٠٠ والتمسك بالأرض ٠٠ ولعبوا دورا مهما فى الدفاع عن أشقائهم الشعب الفلسطينى فى الأرض المحتلة ٠٠

ولكن كل ما نرجوه من أولئك اللذين اندفعوا لأكثر من عشرة أعوام فى هجومهم على كامب ديفيد ٠٠ ويلقوا على عاتقها كل المسئولية حتى عن تمزق الصف العربى كأنما كل العرب قاصرون مع أنهم كانوا يبدون أسودا فى مؤتمر بغداد ضد مصر ٠٠

نقول كل ما نريده أن يتعلموا من الدرس ٠٠ ولايندفعوا فى اتخاذ المواقف ٠٠ وعليهم أن يدرسوا الواقع بامعان ٠٠ ودقة ٠٠ وفى عالمنا الحاضر بالذات المتغيرات سريعة ٠٠ قبل ـ أن يتخذوا موقفا سياسيا ما ٠٠

ونريد أيضا أن يتجه الجميع لتحديد آفاق المستقبل ومعالمه ..
حتى لا تحدث حروب جديدة .. وينصرف العرب وجيرانهم بما فيها
اسرائيل الى التركيز على التنمية .. وانقاذ شعوبهم من التخلف وخطر
الانحدار فى المستوى الاقتصادي .. وأخطار البيئة أيضا ..

ان أمامنا عالما بأسره يغص بالموارد والطاقة البشرية .. فلنوفر له
السلام العادل لينمو ويزدهر !

عبد الستار الطويلة

القاهرة ـ ١٨ أكتوبر ١٩٩٣

ملحق (١)
مقتطفات من خطاب الرئيس
الراحل السادات
فى الكنيست الاسرائيلى ٠٠ فى ٣٠ نوفمبر ١٩٧٧

السلام عليكم ٠٠ ورحمة الله

والسلام لنا جميعا ٠٠ باذن الله

السلام لنا جميعا على الأرض العربية وفى اسرائيل ٠٠ وقد جئت اليكم اليوم على قدمين ثابتتين ، لكى نبنى حياة جديدة لكى نقيم السلام وكلنا على هذه الأرض ، أرض الله ، كلنا مسلمون ومسيحيون ويهود ٠٠ نعبد الله ولا نشرك به أحدا ، وتعاليم الله ٠٠ ووصاياه ٠٠ هى حب وصدق وطهارة وسلام ٠

اننى ألتمس العذر لكل من أذهله القرار ، أو تشكك فى سلامة النوايا وراء اعلان القرار ، فلم يكن أحد يتصور ان رئيس أكبر دولة عربية ، تتحمل العبء الأكبر والمسئولية الأولى فى قضية الحرب والسلام ، فى منطقة الشرق الأوسط ، يمكن ان يعرض قراره بالاستعداد الى الذهاب الى أرض الخصم ٠٠ ونحن لا نزال فى حالة حرب ، بل نحن جميعا لا نزال نعانى من آثار أربع حروب قاسية خلال ثلاثين عاما ، بل ان أسر ضحايا حرب أكتوبر ١٩٧٣ لا تزال تعيش مآسى الترمل وفقد الأبناء واستشهاد الآباء والأخوات ٠

ولكننى ـ أصارحكم القول بكل صدق ـ اننى اتخذت هذا القرار بعد تفكير طويل ، وأنا أعلم انه مخاطرة كبيرة ٠ لأنه اذا كان الله قد كتب لى قدرى أن أتولى المسئولية عن شعب مصر ، وان أشـــارك فى مسئولية المصير بالنسبة للشعب العربى وشعب فلسطين ، فان أول واجبات هذه المسئولية ان استنفذ كل السبل ، لكى أجنب شعبى المصرى العربى ، وكل الشعب العربى ، ويلات حروب أخرى محطمة ، مدمرة ، لا يعلم مداها الا الله ٠

وقد اقتنعت بعد تفكير طويل ، ان أمانة المسئولية أمام الله وأمام الشعب ، تفرض على ان أذهب الى آخر مكان فى العالم ٠٠ بل ان أحضر الى بيت المقدس ، لأخاطب أعضاء الكنيست ممثلى شعب اسرائيل بكل الحقائق التى تعمل فى نفسى ، وأترككم بعد ذلك لكى تقرروا لأنفسكم ٠٠ وليفعل الله بنا بعد ذلك ما يشاء ٠٠

واذا قلت اننى أريد ان أجنب كل الشعب العربى ويلات حروب جديدة مفجعة ٠٠ فاننى أعلن أمامكم ، بكل الصدق ، اننى أحمل نفس المشاعر ، وأحمل نفس المسئولية ، لكل انسان فى العالم وبالتأكيد نحو الشعب الاسرائيلى ٠

لقد تحملت وأتحمل متطلبات المسئولية التاريخية ، ومن أجل ذلك أعلنت من قبل ومنذ أعوام وبالتحديد فى ٤ فبراير ١٩٧١ ، اننى مستعد لتوقيع اتفاق سلام مع اسرائيل ، وكان هذا هو أول اعلان يصدر من مسئول عربى منذ ان بدأ الصراع العربى الاسرائيلى ٠

وبكل هذه الدوافع ، التى تفرضها مسئولية القيـــادة أعلنت فى السادس عشر من أكتوبر ١٩٧٣ وأمام مجلس الشعب المصرى ، الدعوة الى مؤتمر دولى يتقرر فيه السلام العادل الدائم ٠

ولم أكن فى ذلك الوقت فى وضع من يستجدى السلام ، أو يطلب وقف النار ٠ وبهذه الدوافع كلهـا ، التى يلزم بهـا الواجب التاريخى والقيادى ، وقعنا اتفاق فك الاشتبال الأول ، ثم اتفاق فك الاشتباك الثانى فى سيناء ، ثم سعينا نطرق الأبواب المفتوحة والمغلقة لايجاد طريق معين نحو سلام دائم عادل ، وفتحنا قلوبنـا لشعوب العـالم كله لكى تتفهم دوافعنا ، وأهدافنا ، ولكى تقتنع فعلا ، اننا دعاة عدل ، وصناع سلام ٠

دعونا نتصارح بالكلمة المستقيمة ، والفكرة الواضحة التى لا تحمل أى التواء ، دعونا نتصارح اليوم ، والعالم كله بغربه وشرقه يتابع هذه اللحظات الفريدة التى يمكن أن تكون نقطة تحول جذرى فى مسار التاريخ فى هذه المنطقة من العالم ، ان لم يكن فى العالم كله ٠

دعونا نتصارح ونحن نجيب على السؤال الكبير : كيف يمكن أن نحقق السلام العادل الدائم ؟

لقد جئت اليكم أحمل جوابى الواضـح الصريح على هذا السـؤال الكبير ، لكى يسمعه الشعب فى اسرائيل ، ولكى يسمعه العالم أجمع ، ولكى يسمعه أيضا كل أولئك الذين تصـل أصـوات دعوات أصواتهم المخلصة الى أذنى ، أملا فى أن تتحقق في النهاية النتائج التي يرجوها الملايين من هذا الاجتماع التاريخى ٠

وقبل أن أعلن لكم جوابى ، أرجو أن أؤكد لكم ، اننى أعتمد فى هذا الجواب الواضح الصريح ، على عدة حقائق لا مهرب لأحد من الاعتراف بها ..

ان دعوة السلام الدائم العادل ، المبنى على احترام قرارات الأمم المتحدة ، أصبحت اليوم دعوة العالم كله ، وأصبحت تعبيرا واضحا عن ارادة المجتمع الدولى ، سواء فى العواصم الرسمية التى تصنع السياسة والقرار ، أو على مستوى الرأى العام العالمى الشعبى ، ذلك الرأى العام الذى يؤثر فى صنع السياسة واتخاذ القرار .

حقيقة أخرى ، ان الأمة العربية لا تتحرك فى سعيها من أجل السلام الدائم العادل ، من موقع ضعف أو اهتزاز ، بل انها على العكس تماما تملك من مقومات القوة والاستقرار ، ما يجعل كلمتها نابعة من ارادة صادقة نحو السلام صادرة عن ادراك حضارى بأنه لكى نتجنب كارثة محققة ، علينا وعليكم وعلى العالم كله ، فانه لا بديل عن اقرار سلام دائم وعادل ، لا تزعزعه الأنواء ولا تعبث به الشكوك ، ولا يهزه سوء المقاصد أو التواء النوايا ..

من واقع هذه الحقائق ، التى أردت أن أضعكم فى صورتها ، كما أراها ، أرجو أيضا ان أحذركم بكل الصدق ، أحذركم من بعض الخواطر التى يمكن أن تطرأ على أذهانكم ..

ان واجب المصارحة يقتضى ن أقول لكم ما يلى :

أولا : اننى لم أجىء اليكم لكى أعقد اتفاقا منفردا بين مصر واسرائيل .. ليس هذا واردا فى سياسة مصر ، فليست المشكلة هى مصر واسرائيل ، وأى سلام منفرد بين مصر واسرائيل أو بين أية دولة من دول المواجهة واسرائيل فانه لن يقيم السلام الدائم العادل فى المنطقة كلها . بل أكثر من ذلك ، فانه حتى لو تحقق السلام بين دول المواجهة كلها واسرائيل ، بغير حل عادل للمشكلة الفلسطينية ، فان ذلك لن يحقق أبدا السلام الدائم العادل الذى يلح العالم كله اليوم عليه .

ثانيا : اننى لم أجىء اليكم لكى أسعى الى سلام جزئى ، بمعنى أن ننهى حالة الحرب فى هذه المرحلة .. ثم نرجىء المشكلة برمتها الى مرحلة تالية .. فليس هذا هو الحل الجذرى الذى يصل بنا الى السلام الدائم . ويرتبط بهذا اننى لم أجىء اليكم ، لكى نتفق على فض اشتباك ثالث فى سيناء ، أو فى سيناء والجولان والضفة الغربية ، فان هذا يعنى اننا نؤجل فقط اشتعال الفتيل الى أى وقت مقبل . بل هو يعنى ، اننا نفتقد شجاعة مواجهة السلام ، واننا أضعف من أن نتحمل أعباء ومسئوليات السلام الدائم العادل .

وهنا ، أعود إلى الاجابة على السؤال الكبير : كيف نحقق السلام الدائم العادل ؟

فى رأيى .. وأعلنها من هذا المنبر للعالم كله ، ان الاجابة ليست مستحيلة ولا عسيرة اذا طرقنا سبيل الخط المستقيم بكل الصدق والايمان ..

أنتم تريدون العيش معنا فى هذه المنطقة من العالم ..
وأنا أقول لكم بكل الاخلاص : اننا نرحب بكم بيننا .. بكل الأمن والأمان .

ان هذا فى حد ذاته يشكل نقطة تحول هائلة .. من علامات تحول تاريخى حاسم ..

أقول لكم اليوم .. أعلن للعالم كله .. اننا نقبل بالعيش معكم فى سلام دائم وعادل .. ولا نريد أن نحيطكم أو أن تحيطوننا بالصواريخ المستعدة للتدمير أو بقذائف الأحقاد والكراهية .

ولقد أعلنت أكثر من مرة . ان اسرائيل أصبحت حقيقة واقعة .. اعترف بها العالم .. وحملت القوتان العظميان مسئولية أمنها وحماية وجودها .

ولما كنا نريد السلام فعلا وحقا فاننا نرحب بأن تعيشوا بيننا فى أمن وسلام .. فعلا وحقا ..

لقد كان بيننا وبينكم جدار ضخم مرتفع حاولتم أن تبنوه على مدى ربع قرن من الزمان .. ولكنه تحطم عام ١٩٧٣ .. ولكن بقى جدار آخر ..

هذا الجدار الآخر .. يشكل حاجزا نفسيا معقدا بيننا وبينكم .. حاجزا من الشكوك ، حاجزا من النفور ، حاجزا من خشية الخداع ، حاجزا من الأوهام حول أى تصرف أو فعل أو اقرار ، حاجزا من التفسير الحذر الخاطىء لكل حدث أو حديث .. وهذا الحاجز النفسى هو الذى عبرت عنه ، فى تصريحات رسمية ، بأنه يشكل سبعين فى المائة من المشكلة ..

واننى أسألكم اليوم – بزيارتى لكم – لماذا لا نمد أيدينا ، بصدق وايمان واخلاص ، لكى نحطم هذا الحاجز معا ؟ .

أيها السادة ..

الحق أقول لكم : ان السلام لن يكون اسما على مسمى ما لم يكن قائما على العدالة وليس على احتلال أرض الغير ٠

وبكل صراحة ٠٠ وبالروح التى حدت بى الى القدوم اليكم اليـوم فانى أقول لكم : ان عليكم ان تتخلوا نهائيا عن أحلام الغزو وان تتخلوا أيضا عن الاعتقاد بأن القوة هى خير وسيلة للتعامل مع العرب ٠

ان عليكم أن تستوعبوا جيدا دروس المواجهة بيننا وبينكم ، فلن يجديكم التوسع شيئا ٠٠

ولكى نتكلم بوضـوح فان أرضنا لا تقبل المسـاومة ٠٠ وليست عرضة للجدل ٠ ان التراب الوطنى والقومى يعتبر لدينا فى منزلة الوادى المقدس طوى الذى كلم فيه الله موسى عليه السلام ، ولا يملك أى منا ، ولا يقبل ، ان يتنازل عن شبر واحد منه ، أو يقبل مبدأ الجدل والمساومة عليـه ٠٠

وهذه الفرصة ، لو أضعناها أو بددناها فلسوف تحل بالمتآمر عليها ، لعنة الانسانية ولعنة التاريخ ٠

ما هو السلام بالنسبة لاسرائيل ؟

أن تعيش فى المنطقة مع جيرانها العرب ٠٠ فى أمن واطمئنان ٠٠ هذا منطق أقول له نعم ٠٠

اننـــا نعلن اننـــا نقبل كل الضمانات التى تريدونهـــا من القوتين الأعظم ، أو من احداهما ، أو من الخمسة الكبار ، أو من بعضهم ٠

وأعود فأعلن بكل الوضوح اننا قابلون بأى ضمانات ترتضونها ، لأننا فى المقابل ، سنأخذ نفس الضمانات ٠

ولكن كيف يتحقق هذا ؟

هناك حقائق لابد من مواجهتها بكل شجاعة ووضوح ٠٠

هناك أرض عربية احتلتها ـ ولا تزال تحتلها ـ اسرائيل بالقوة المسلحة ٠٠ ونحن نصر على تحقيق الانسحاب الكامل منها بما فيها القدس العربية ٠٠ القدس التى حضرت اليها باعتبارها مدينة السلام ٠٠ والتى كانت وستظل التجسيد الحى للتعايش بين المؤمنين بالديانات الثلاث ٠

وليس من المقبول أن يفكر أحد فى الوضع الخاص لمدينة القدس فى اطار الضم أو التوسع ، وانما يجب أن تكون مدينة حرة مفتوحة لجميع المؤمنين ٠

وأهم من كل هذا فان تلك المدينة يجب الا تفصل عن هؤلاء الذين اختاروها مقرا ومقاما لعدة قرون ··

ودعوني أقول لكم بلا أدنى تردد اننى لم أجىء اليكم تحت هـذه القبة لكى أتقدم برجاء أن تجلوا قواتكم من الأرض المحتلة ··

ان الانسحاب الكامل من الأرض العربية المحتلة بعد ١٩٦٧ ، أمر بديهى لا نقبل فيه الجدل ولا رجاء فيه لأحد أو من أحد ··

أما بالنسبة للقضية الفلسطينية ، فليس هناك من ينكر انها جوهر المشكلة كلها ، وليس هناك من يقبل اليوم فى العالم كله شعارات رفعت هنا فى اسرائيل تتجاهل وجود شعب فلسطين بل وتتسائل أين هو هذا الشعب ؟

ان قضية شعب فلسطين واقع استقبله المجتمع الدولى غربا وشرقا ، بالتأييد والمساندة والاعتراف فى المواثيق الدولة ، وحتى الولايات المتحدة الأمريكية ، حليفكم الأول التى تحمل قمة الالتزام لحماية وجود اسرائيل وأمنها ، اختـارت ان تواجه الحقيقة والواقع وان تعترف بأن للشعب الفلسطينى حقوقا مشروعة وان المشكلة الفلسطينية هى قلب الصراع وجوهره ، وطالما بقيت معلقة دون حل ، فان النزاع سوف يتزايد ويتصاعد ليبلغ أبعادا جديدة ، وبكل الصدق أقول لكم ان السلام لا يمكن أن يتحقق بغير الفلسطينيين ، وانه لخطأ جسيم لا يعلم مداه أحد أن نغض الطرف عن تلك القضية ، أو أن ننحيها جانبا ·

والمواجهة المباشرة للمشكلة الفلسطينية ، واللغة الواحدة لعلاجها نحو سلام دائم وعادل هى أن تقوم دولته ··

ومع كل الضمانات الدولية التى تطلبونها ، فلا يجوز أن يكون هناك خوف من دولة وليدة تحتاج الى معونة كل دول العالم لقيامها ··

وعندما تدق أجراس السلام ، فلن توجد يد لتدق طبول الحرب ·· واذا وجدت فلن يسمع لها صوت ·

كانت هذه مقتطفات من خطاب الرئيس الراحل السـادات ، أمام الكنيست ·

ملحق (٢)
نصوص الملاحق السرية
لاتفاق إعلان المبادىء
الفلسطيني - الاسرائيلي

نشرت مجلة المجتمع المدنى التى يرأس تحريرها الدكتور سعد الدين ابراهيم ، ما وصفته بالملاحق السرية للاتفاقية ·· مترجمة عن اللغة الروسية ·· ويلاحظ انها تتضمن نصوص مواتية لاسرائيل ·· مثل عدم الاعتراض على عمليات بناء المستوطنات اليهودية فى الأرض المحتلة ·

والمطالبة بالغاء السفارات الفلسطينية الحالية ·· وتسليم قوائم بالمجموعات الدينية وغيرها المعارضة للاتفاقلة بين اسرائيل ومنظمة التحرير ·

ولكن يجب ان نضع فى الاعتبار الآتى :

ان ما نحن بصدده هو حكم ذاتى أى ان الأرض المحتلة وسكانها مازالوا تحت السيطرة الاسرائيلية ، ولسنا بصدد دولة مستقلة ·· وهذا هو نظام الحكم الذاتى فى أى بلد محتل أو مستعمر ·

ثانيا : ان توازن القوى بين العدو المحتل للأرض وبين الفلسطينيين ، لا يسمح بأكثر مما حصل عليه الفلسطينيون ، وكل هذا اجراءات انتقالية ·

ثالثا : ان هذه الملاحق تتضمن فقرة هامة جدا فى الملحق الخامس تحت عنوان « أمور خاصة » ·· يقضى باجراء استفتاء بعد انتهاء فترة الحكم الذاتى لتحديد رغبة الشعب فى الاستقلال التام أو الاتحاد مع اسرائيل ·· أو الاتحاد الكونفيدرالى مع المملكة الأردنية ·

وهذا هو جوهر التسوية النهائية التى ستبدأ المفاوضات من أجلها بعد نهاية المرحلة الانتقالية ·

ولابد أن نضع فى الاعتبار دائما أننا بصدد مرحلة انتقالية ، وليس حلا نهائيا وان فلسطين ليست دولة مستقلة بعد ·· بل هى تحت السيطرة الاسرائيلية طوال الفترة الانتقالية ·

التعاون السياسى

١ ـ تعترف منظمة التحرير الفلسطينية بدولة اسرائيل ويحق الشعب اليهودى بالوجود على أرض فلسطين وتعترف اسرائيل بمنظمة التحرير الفلسطينية كحكومة ذاتية انتقالية مستقلة للفلسطينيين بعد القيام بانتخابات شكلية ·

٢ ـ تنهى منظمة التحرير الفلسطينية كافة الحملات الاعلامية المعادية لاسرائيل وتتعهد بالعمل على تصفية أية حملات سياسية أو عسكرية فلسطينية معارضة تهدف الى تدمير اسرائيل وقتل مواطنيها ··

٣ ـ تتعهد منظمة التحرير الفلسطينية بالحفاظ على حياة المواطنين الاسرائيليين الذين يعملون ويمارسون أعمالهم فى أريحا وغزة وباقى مدن يهودا والسامرة ·· ولا تمانع المنظمة عمليات بناء مستوطنات يهودية تحت اشراف وموافقة الحكومة الذاتية الانتقالية الفلسطينية ·

٤ ـ تتعهد اسرائيل بدعم الحكومة الذاتية الانتقالية الفلسطينيه سياسيا وماديا خلال سنوات الحكم الذاتى ·

٥ ـ لا يحق للحكومة الذاتية الانتقالية الفلسطينية ممارسة أى أعمال تتعلق بالسياسة الخارجية أو انشاء سفارات فلسطينية مستقلة خلال سنوات الحكم الذاتى والغاء السفارات الفلسطينية الحالية ويمكن الاتفاق على توظيف فلسطينيين فى سفارات اسرائيل يتولون ادارة شؤون الفلسطينيين ضمن مناطق الحكم الذاتى والمقيمين فى دولة اسرائيل ·

٦ ـ لا يحق انشاء حكومة سياسية فلسطينية مستقلة بل ادارية ولا يحق اصدار نقد فلسطينى أو جوازات سفر فلسطينية مستقلة ·

٧ ـ يتمتع الفلسطينيون سكان غزة وأريحا بجوازات سفر اسرائيلية مع الاشارة فى جواز السفر الى أن الجنسية فلسطينية ·

٨ ـ يحمل اعضاء الحكومة الذاتية الانتقالية الفلسطينية جوازات سفر (خاصة) اسرائيلية مع الاشارة الى جنسيتهم الفلسطينية ٠

٩ ـ لا يحق لمنظمة التحرير الفلسطينية أو الحكومة الذاتية الانتقالية خلال فترة ٥ سنوات الحكم الذاتى المطالبة بعودة اللاجئين او النازحين الذين لجأوا الى الاردن او سوريا او لبنان او مصر ولا يحق كذلك بعودة اى فلسطينى مارس سابقا أعمالا عسكرية أو سياسية عدائية لدولة اسرائيل الا بعد الحصول على حسن سلوك من قوى الأمن الاسرائيلية ٠

١٠ ـ يحق للحكومة الاسرائيلية وقف العمل باية اتفاقيات اسرائيلية ـ فلسطينية فى اى وقت تراه ضروريا خاصة اذا رأت أن المصلحة السياسية والامنية لدولة اسرائيل تتعارض مع هذه الاتفاقيات أو أن هذه الاتفاقيات تسبب اضطرابا داخل اسرائيل يصعب السيطرة عليه ٠

ملحق رقم (٣)

التعــاون الأمنى

١ ـ لا يحق لمنظمة التحرير الفلسطينية أو الحكومة الذاتية الانتقالية الفلسطينية انشاء جيش عسكرى فلسطينى ويتولى حماية الحدود الجيش الاسرائيلى ٠

٢ ـ يتولى الجيش الاسرائيلى حماية مناطق الحكم الذاتى الفلسطينية فى دولة اسرائيل ٠

٣ ـ لا يحق للفلسطينيين ضمن الحكم الذاتى حمل أو اقتناء أسلحة نارية بكافة انواعهــا أو اية مواد متفجرة أو مضرة للبشر بمــا فى ذلك المواد الكيماوية والسامة والمشعة دون اخذ الموافقة المسبقة لدوائر الأمن الاسرائيلية ٠

٤ ـ يتولى مهمــة حفظ الأمن الداخلى فى منــاطق الحــكم الذاتى الفلسطينية الشرطة الفلسطينية التى تتلقى رواتبها وأسلحتها من وزارة الداخلية الاسرائيلية بواسطة الحكومة الذاتية الانتقالية الفلسطينية وتعمل الشرطة الفلسطينية ضمن اللوائح والأنظمة الداخلية للشرطة الاسرائيلية ٠

٥ ـ لا تتمتع منظمة التحرير الفلسطينية أو الحكومة الذاتية الانتقالية الفلسطينية بحق السماح بانشاء منظمات أو أحزاب أو أية حركات فلسطينية تهدف الى تدمير اسرائيل أو قتل مواطنين اسرائيليين وتتعهد بالعمل على سحق ووقف أية محاولات علنية أو سرية لانشاء منظمات ارهابية فلسطينية ٠

٦ ـ لا يحق لمواطنى المناطق الفلسطينية التى تتمتع بالحكم الذاتى دخول المناطق والأراضى الاسرائيلية الا بعد الحصول على تصريح خاص من وزارة الداخلية الاسرائيلية أو المكاتب الأمنية ٠

٧ ـ تعمل حكومة اسرائيل على حماية أعضاء الحكومة الذاتية الانتقالية الفلسطينية والفلسطينيين ضمن مناطق الحكم الذاتى ضد أية اعتداءات خارجية أو داخلية من الجماعات اليهودية المعارضة ٠

٨ ـ تتعهد منظمة التحرير الفلسطينية أو الحكومة الذاتية الانتقالية الفلسطينية بتسليم قوائم بأسماء الجماعات الفلسطينية الدينية وغيرها المعارضة لاتفاقية السلام بين اسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية بعد ثلاث شهور من بدء تنفيذ اتفاقية السلام ومراقبة نشاطها ٠

٩ ـ تتعهد منظمة التحرير الفلسطينية والحكومة الذاتية الانتقالية الفلسطينية بحل المجموعات التنظيمية الارهابية فى مناطق الحكم الذاتى مع تسليم أسلحتها واعطاء معلومات عن أماكن تخزينها ٠

١٠ ـ تتعهد الحكومة االاسرائيلية بالحفاظ على أمن وحياة قيادة منظمة التحرير الفلسطينية الراغبين فى الاقامة باسرائيل أو مناطق الحكم الذاتى ٠

ملحق رقم (٣)
التعاون الاقتصادى والتجارى والمالى

١ ـ تتعهد الحكومة الاسرائيلية بالدعم الاقتصادى لمناطق الحكم الذاتى الفلسطينية ٠

٢ ـ تسمح الحكومة الذاتية الانتقالية الفلسطينية للتجار ورجال

الأعمال الاسرائيليين باقامة مشاريع تجارية وصناعية وانشائية فى مناطق الحكم الذاتى ٠

٣ ـ تخصص الحكومة الاسرائيلية ميزانية خاصة لأعضاء الحكومة الذاتية الانتقالية الفلسطينية وعائلاتهم مع السماح لأبنائهم بالتعليم على نفقة الحكومة الاسرائيلية ٠

٤ ـ يحق للفلسطينيين اقامة بنوك فلسطينية أو مشتركة فى مناطق الحكم الذاتى ٠

٥ ـ يحق للحكومة الذاتية الانتقالية الفلسطينية فرض الضرائب وتحصيلها فى مناطق الحكم الذاتى ٠

٦ ـ لا تمانع الحكومة الذاتية الانتقالية الفلسطينية بشراء أو بيع الأراضى ضمن مناطق الحكم الذاتى لأى اسرائيلى يرغب بالشراء أو البيع مع تسهيل الاجراءات الادارية المتعلقة بذلك ٠

٧ ـ يحق للفلسطينيين انشاء مطار مدنى فى غزة يتولى مسؤولية الأمن فيه قيادة اسرائيلية ـ فلسطينية مشتركة ٠٠

٨ ـ تتولى الحكومة الاسرائيلية القيام بحملات لجمع المساعدات المالية والاقتصادية لمناطق الحكم الذاتى الفلسطينية ولا يحق للحكومة الذاتية الانتقالية الفلسطينية تلقى المساعدات المالية الرسمية أو غير الرسمية دون علم الحكومة الاسرائيلية ويجب ايداعها فى الميزانية العامة الاسرائيلية ٠

٩ ـ ميزانية الحكومة الذاتية الانتقالية الفلسطينية تعتبر جزءا لا يتجزأ من ميزانية حكومة اسرائيل المتعلقة بتطوير مناطق الحكم الذاتى الفلسطينية ٠

١٠ ـ لا يحق للحكومة الذاتية الانتقالية الفلسطينية توقيع عقود أو اتفاقيات لمشاريع اقتصادية أو مالية أو تجارية مشتركة دون دراستها مسبقا من قبل الحكومة الاسرائيلية ٠

١١ ـ النقد الرسمى فى اسرائيل ومناطق الحكم الذاتى الفلسطينية هو الشيكل الاسرائيلى ٠

١٢ ـ الاستيراد والتصدير لأية مواد أو بضائع مدنية لاستعمال مناطق الحكم الذاتى الفلسطينية يتم من خلال وزارة التجارة الخارجية الاسرائيلية ولا يحق للحكومة الذاتية الانتقالية الفلسطينية ممارسة ذلك منفردة ٠

١٣ ـ لا يحق للحكومة الذاتية الانتقالية الفلسطينية التعامل بالعملات الأجنبية أو تلقى القروض الخارجيـة الا اسـتنادا للقوانين الاقتصادية والتجارية والمالية فى اسرائيل •

١٤ ـ لا تستطيع الحكومة الذاتية الانتقالية الفلسطينية المنتخبة ممارسة أى أعمال مالية أو اقتصادية أو تجارية مع الفلسطينيين المقيمين خارج مناطق الحكم الذاتى الفلسطينية والذين يقطنون فى الدول المجاورة أو تقديم مساعدات مالية لهم وسيتم الاتفاق المباشر بين اسرائيل والدول العربية التى يقيم الفلسطينيون بها •

١٥ ـ ستعمل الحكومة الاسرائيلية على فتح مجال العمل والتجارة بين الفلسـطينيين والدول العربية النفطية وتسـهيل انتقال الكفاءات الفلسطينية للعمل فى الخارج مع السـماح لهم بالعودة فى أى وقت تشـاء •

١٦ ـ تتعهد الحكومة الذاتية الفلسـطينية بالعمل على مسـاعدة اسرائيل فى الحصول على مشاريع تجارية واقتصادية فى الدول العربيه بعد توقيع معاهدات السلام مع الدول العربية الأخرى •

١٧ ـ يحق للفلسطينيين ضمن مناطق الحكم الذاتى الفلسـطينى الأولوية بترويج البضائع والصناعات الاسرائيلية والدراسة فى الجامعات الاسرائيلية والمشاركة بالمشاريع الاسرائيلية الخارجية •

ملحق رقم (٤)

التعـاون الاعـلامى

١ ـ تتفق منظمة التحرير الفلسطينية والحكومة الاسرائيلية على وقف الحملات العدائية الاسرائيلية الفلسطينية •

٢ ـ يتفق الفلسطينيون والاسرائيليون على توجيه اعلامهم المشترك لمحاربة الأصوليين والارهابيين فى اسرائيل والدول العربية الأخرى وكذلك محاربة المعادين لعملية السلام الاسرائيلية الفلسطينية العربية •

٣ ـ يتفق الطرفان على وقف حملات العداء لليهود وحقهم التاريخى بفلسطين وكذلك حملات العداء للصهيونية العالمية •

٤ — يحق للفلسطينيين إقامة محطات إذاعية وتلفزيونية واصدار صحف بموافقة الحكومة الذاتية الانتقالية مع مراعاة أنظمة الاعــلام الاسرائيلية ٠

ملحق رقم (٥)
أمــور خاصــة

— لا يمكن للحكومة الذاتية الانتقالية الفلسطينية التدخل بالشؤون الداخلية أو السياسية الخارجية لدولة اسرائيل ٠

— لا يحق للحكومة الذاتية الانتقالية الفلسطينية انشاء وزارات أو هيئات رسمية أو حرس تشريفي وغير ذلك من مقومات الدول المستقلة بما فى ذلك دعوة الرؤساء والملوك مع رفع العلم الاسرائيلى مع الفلسطينى على مكاتب المؤسسات الرسمية الفلسطينية ٠

— يحق للحكومة الاسرائيلية مراقبة وتدقيق عمل الحكومة الذاتية الفلسطينية وتعيين مراقبين اسرائيلين فى حالة اكتشاف أعمال أو ممارسات غير قانونية ومخالفة للاتفاقات المعقودة بين حكومة اسرائيل والفلسطينيين ٠

— يحق للحكومة الاسرائيلية وأجهزتها الأمنية الانتشار وملاحقة عناصر « اسرائيلية أو فلسطينية » مطلوبة للحكومة الاسرائيلية فى مناطق الحكم الذاتى فى أى وقت تراه هذه الأجهزة مناسبا لعملها مع الاحتفاظ بحقها فى عدم احاطة الحكومة الذاتية الانتقالية الفلسطينية وكذلك أجهزتها الأمنية بذلك خوفا من تسرب المعلومات وهروب المطلوبين مع احاطة الحكومة الذاتية الانتقالية الفلسيطنية بالعلم بعد انتهاء المهمات ٠

— يحق للحكومة الاسرائيلية عدم السماح للفلسطينيين مواليد أريحا وغزة أو مناطق يهودا والسامرة المقيمين خارج اسرائيل بالعودة الى منازلهم لدوافع أمنية أو صحية ٠

— لا يحق للفلسطينيين القاطنين فى المخيمات فى مناطق الحكم الذاتى الفلسطينية المطالبة بالعودة الى مناطق سكنهم الأصلية وسيجرى الاتفاق بين الحكومة الاسرائيلية والحكومة الذاتية الانتقالية منعا تاما التدخل الفلسطينى فى عمليات هجرة اليهود الى اسرائيل آو معاداتها ويجرى

الاتفاق على بناء مستوطنات لهم فى مناطق الحكم الذاتى الفلسطينية مع الحكومة الذاتية الانتقالية الفلسطينية ٠

ـ يحقق للحكومة الاسرائيلية بعد انتهاء فترة الحكم الذاتى اجراء استفتاء شعبى فى مناطق الحكم الذاتى الفلسطينية على مبدأ الاستقلال التام أو الاتحاد مع اسرائيل أو الاتحاد الكونفدرالى مع المملكة الأردنية الهاشمية ٠ القرار الذى سيختاره القاطنون فى مناطق الحكم الذاتى الفلسطينية باستفتائهم سيكون نهائيا وبدون رجعة ٠

ـ يحق للحكومة الاسرائيلية منح الراغبين من سكان الحكم الذاتى الفلسطينى الجنسية الاسرائيلية دون الاشارة الى الجنسية الأصلية ٠

ـ يحق للجيش الاسرائيلى القيام بمهمات حماية وأمن وانتشار فى مناطق عربية مجاورة دون احاطة الحكومة الذاتية الانتقالية ولا يحق للفلسطينيين التدخل بعمل الجيش الاسرائيلى أو الحكومة الاسرائيلية فى المناطق العربية المجاورة ٠

فى حالة قيام عداء عسكرى او سياسى او اعلامى مع أية دولة عربية مجاورة لاسرائيل يوجد اولا يوجد بينها وبين اسرائيل اتفاقية سلام لا يحق للفلسطينيين فى مناطق الحكم الذاتى التدخل أو معاداة اسرائيل بسبب ذلك وتحل الأمور والمشاكل الاسرائيلية من دون أى تدخل من قبل الفلسطينيين ٠

ملحق (٣)
النص الكامل لجدول الأعمال الأردني - الاسرائيلي

فيما يلي ترجمة غير رسمية عن الانجليزية لجدول أعمال المفاوضات الثنائية الأردنية - الاسرائيلية الذي وقع رسميا بين اسرائيل والاردن أمس في واشنطن وحصلت وكالة فرانس برس على نسخة منه :

١ - الهـدف :

تحقيق سلام عادل ودائم وشامل بين الدول العربية والفلسطينيين من جهة وبين اسرائيل من جهة ثانية بما يتفق ودعوة مدريد ٠

- مضمون مفاوضات السلام الأردنية - الاسرائيلية :

١ - البحث عن خطوات للوصول الى حالة سلام قائمة على أساس قراري مجلس الأمن الدولي « ٢٤٢ و ٣٣٨ » بجميع جوانبهما ٠

٢ - الأمـن :

(أ) تجنب أي أعمال أو أنشطة من جانب أي طرف قد تؤثر سلبا على أمن الطرف الآخر أو قد تحـكم مسـبقا على النتـائج النهائية للمفاوضـات ٠

(ب) الاخطار الأمنية الناجمة عن جميع أشكال الارهاب ٠

ج - ١ - الالتزام المتبادل بعدم تهديد أي طرف للآخر باستخدام أي شكل من أشكال القوة وبعدم استخدام الأسلحة من جانب أي طرف ضد الطرف الآخر بما في ذلك أسلحة الدمار الشامل التقليدية وغير التقليدية ٠

٢ - الالتزام المتبادل كمسألة لها أولوية وفي أسرع وقت ممكن ، بالعمل عن جعل الشرق الأوسط خاليا من أسلحة الدمار الشامل والأسلحة

التقليدية وغير التقليدية وينبغى تحقيق هذا الهدف فى اطار سلام شامل ودائم ومستقر يتميز بالتخلى عن استخدام القوة وبالمصالحة والانفتاح ٠

ـ ملاحظـــة :

ما ورد اعلاه المادة « ج ٢ » يمكن ان يعدل وفقا للاتفاقات الخاصة بالموضوع التى يتم التوصل اليها داخل مجموعة العمل المتعددة الأطراف حول الحد من التسلح والأمن الاقليمى ٠

(د) ترتيبات الأمن والاجراءات الأمنية لبناء الثقة المتفق عليها ٠

٣ ـ الميـــاه :

(أ) ضمان حصص المياه المحقة للجانبين ٠

(ب) البحث عن وسائل لتخفيف نقص المياه ٠

٤ ـ اللاجئون والنازحون :

تحقيق تسوية عادلة يوافق عليها الجانبان للأوجه الثنائية لمشكلة اللاجئين والنازحين بما يتفق والقانون الدولى ٠

٥ ـ الحدود والمسائل المتعلقة بالأراضى :

تسوية المسائل المتعلقة بالأراضى وتحديد وترسيم متفق عليهما للحدود الدولية بين الأردن واسرائيل مع اعتماد تعيين الحدود تحت الانتداب مرجعا دون اجحاف بوضع الأراضى التى أصبحت تحت ســـلطة الحكم العسكرى الاسرائيلى فى عام ١٩٦٧ ويحترم الجانبان الحدود الدولية المشار اليها آنفا ويلتزمان بها ٠

٦ ـ استكشاف احتمالات التعاون الثنائى المستقبلى فى اطار اقليمى متى كان ذلك مناسبا فى المجالات الآتية :

(أ) الموارد الطبيعية ٠

ـ المياه والطاقة والبيئة ٠

ـ تنمية الغـور ٠

(ب) الموارد البشرية :

ـ الســـكان ٠

ـ العمـــل ٠

ـ الصـــحة ٠

ـ التعليـم •

ـ مكافحـة المخـدرات •

(ج) البنية التحتية :

ـ النقل : برا وجـوا •

ـ الاتصـالات •

(د) الاقتصاد بما فى ذلك السياحة :

٧ ـ تحديد مراحل النقاش والاتفاق والتنفيذ للبنود أعلاه بما فى ذلك الآليات الملائمة للمفاوضات فى المجالات المحددة •

٨ ـ المباحثات فى المسائل المتعلقة بالمسارين يقررها المساران بصورة مشـتركة •

(ج) من المتوقع أن يسفر هذا المسعى المشار اليه أعلاه فى النهاية ، وبعد التوصـل الى حلول مرضية لعناصر جدول الأعمال ، الى معاهدة سـلام •

ملحق (٤)
حرب المائة عام
فى يوميات التاريخ

● **عن جريدة الأهرام :**

دخل يوم الاثنين ١٣ سبتمبر ١٩٩٣ ذاكرة التاريخ ليسجل بداية عهد جديد ونهاية فترة من الزمان شهدت أربعة حروب وصراعاً بين شعبين على أرض ضاق جوفها بشهداء النضال من أجل الحرية والوجود ٠

ان هذا التاريخ وان قد جاء فى آخر سلسلة من الأيام التاريخية السابقة الا أنه تميز عنها بأن أصبح بداية لأيام أخرى تلاحقت فيها الأحداث بسرعة مذهلة من اعلان المبادىء الفلسطينى الاسرائيلى الى الاتفاق الأردنى الاسرائيلى الى تمهيد الأرض لاقامة علاقات دبلوماسية بين اسرائيل والعديد من الدول العربية ٠ وبذلك يطوى ما سبق من تواريخ فى طى النسيان :

١٨٩٧ ــ مؤتمر بال الصهيونى الذى قرر أن فلسطين هى وطن اليهود المختــــار ٠

ــ ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ : وافقت الأمم المتحدة على خطة تقسيم فلسطين الى دولتين احداهما يهودية والأخرى عربية

الدول العربية رفضت هذا القرار (١٨١) ٠

ــ ١٤ مايو ١٩٤٨ : ديفيد بن جوريون يعلن قيام اسرائيل المستقلة٠

ــ ١٥ مايو ١٩٤٨ : اندلاع أول حرب عربية ــ اسرائيلية (سوريا ــ الأردن ــ لبنان ــ العراق) ٠

الأمم المتحدة تصدر قرارا بوقف اطلاق النار ٠٠ وتوقيع اتفاقيات هدنة ٠

ــ ابريل ١٩٤٩ : الملك عبد الله يعلن توحيد ضفتى الأردن ٠

ــ ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ : اندلاع ثانى حرب عربية اسرائيلية بعد ثلاثة أشهر من قرار جمال عبد الناصر بتأميم قناة السويس ٠

القوات الاسرائيلية تهاجم بمساعدة وحدات فرنسية ـ بريطانية وتستولى عسكريا على سيناء ٠

٦ نوفمبر ١٩٥٦ : بضغط من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ـ الأمم المتحدة تنهى عمليات الهيمنة ٠

٢٩ مايو ١٩٦٤ : قيام منظمة التحرير الفلسطينية واعتراف الأمم المتحدة بها ـ وكان أول رئيس لها هو أحمد الشقيرى ٠

٥ ـ ٦ يونيو ١٩٦٧ : ثالث حرب عربية ـ اسرائيلية استمرت ٦ أيام اسرائيل تضم اليها القدس الشرقية والضفة الغربية وغزة ومرتفعات الجولان وصحراء سيناء ٠

٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ : التصديق على القرار ٢٤٢ للأمم المتحدة والذى يقضى بفرض سلام دولى فى مقابل انسحاب اسرائيل من الأراضى العربية المحتلـة ٠

فبراير ١٩٦٩ : مجلس منظمة التحرير الفلسطينية ومنظمة فتح يقودان حركة المقاومة ٠ والتشدد السياسى ٠

١٧ ـ ٢٧ سبتمبر ١٩٧٠ : سبتمبر الأسود فى الأردن مصرع عشرين ألف شخص من اللاجئين الفلسطنين أثناء مواجهة مع الجيش الأردنى ٠ الفلسطينيون يرحلون عن الأردن الى لبنان ٠

أكتوبر ١٩٧٣ : رابع حرب عربية ـ اسرائيلية ـ الجيش المصرى يقتحم خطوط المواجهة الاسرائيلية ٠

القرار ٣٣٨ للأمم المتحدة يطالب بتسوية دولية للصراع فى المنطقة !

٣١ مايو ١٩٧٤ : اتفاق سورى ـ اسرائيلى على الهدنة فى الجولان ـ اسرائيل تخلى مدينة قنيطرة ٠

نوفمبر ١٩٧٤ : اعتراف الأمم المتحدة بحق الشعب الفلسطينى فى الاستقلال الوطنى ـ قبول المنظمة كمراقب ٠

١٩ نوفمبر ١٩٧٧ : رحلة أنور السادات التاريخية الى القدس ٠

٢٦ مارس ١٩٧٩ : توقيع اتفاقية كامب ديفيد بين الرئيس المصرى أنور السادات ورئيس وزراء اسرائيل مناحم بيجين ٠٠ واتفاقية سلام بين الجانبين ٠

٢٥ ابريل ١٩٨٢ : انسحاب اسرائيل من سيناء ٠

٦ يونيو ١٩٨٢ : عملية السلام فى الجليل ٠ القوات الاسرائيلية تهاجم لبنان فى محاولة لطرد جميع المنظمات الفلسطينية التابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية عن بيروت وأيضا ياسر عرفات الذى توجه للاقامة فى تونس ٠

١٤ ـ ١٥ سبتمبر ١٩٨٢ : اغتيال بشير الجميل عقب انتخابه رئيسا للبنان وقبل توليه مهام منصبه ! مذبحة صبرا وشتيلا ٠

نوفمبر ١٩٨٢ : قمة فاس والاعتراف الضمنى بوجود اسرائيل ـ الدول العربية تقبل قرارى ٢٤٢ ـ ٣٣٨ للأمم المتحدة ـ ويطالبون بانسحاب اسرائيل من الأراضى العربية المحتلة فى ١٩٦٧ ٠

ديسمبر ١٩٨٧ : ثورة فى الأراضى المحتلة ٠٠ أو اندلاع الانتفاضة فى قطاع غزة وانتشارها فى جميع الأراضى المحتلة ٠

يوليو ١٩٨٨ : الملك حسين ملك الأردن يتنازل عن كل ما يخص الضفة الغربية لنهر الأردن ٠

نوفمبر ١٩٨٨ : المجلس الوطنى الفلسطينى المنعقد فى الجزائر يعترف بقرارى ٢٤٢ ـ ٣٣٨ ٠٠ ويعلن وقف العمليات الارهابية ويتحمل مسئولية مبدأ تقسيم فلسطين الى دولتين ـ ويعلن مولد دولة فلسطين ٠

أغسطس ١٩٩٠ : المنظمة تساند صدام حسين ضد « قوات الحلفاء » بقيادة الولايات المتحدة ٠

٧ مارس ١٩٩١ : جورج بوش يعلن بعد انتهاء حرب الخليج انه قد قد آن الأوان لأنهاء الصراع العربى ـ الاسرائيلى ! ٠٠

٣٠ أكتوبر ١٩٩١ : افتتاح مؤتمر السلام فى مدريد ٠٠

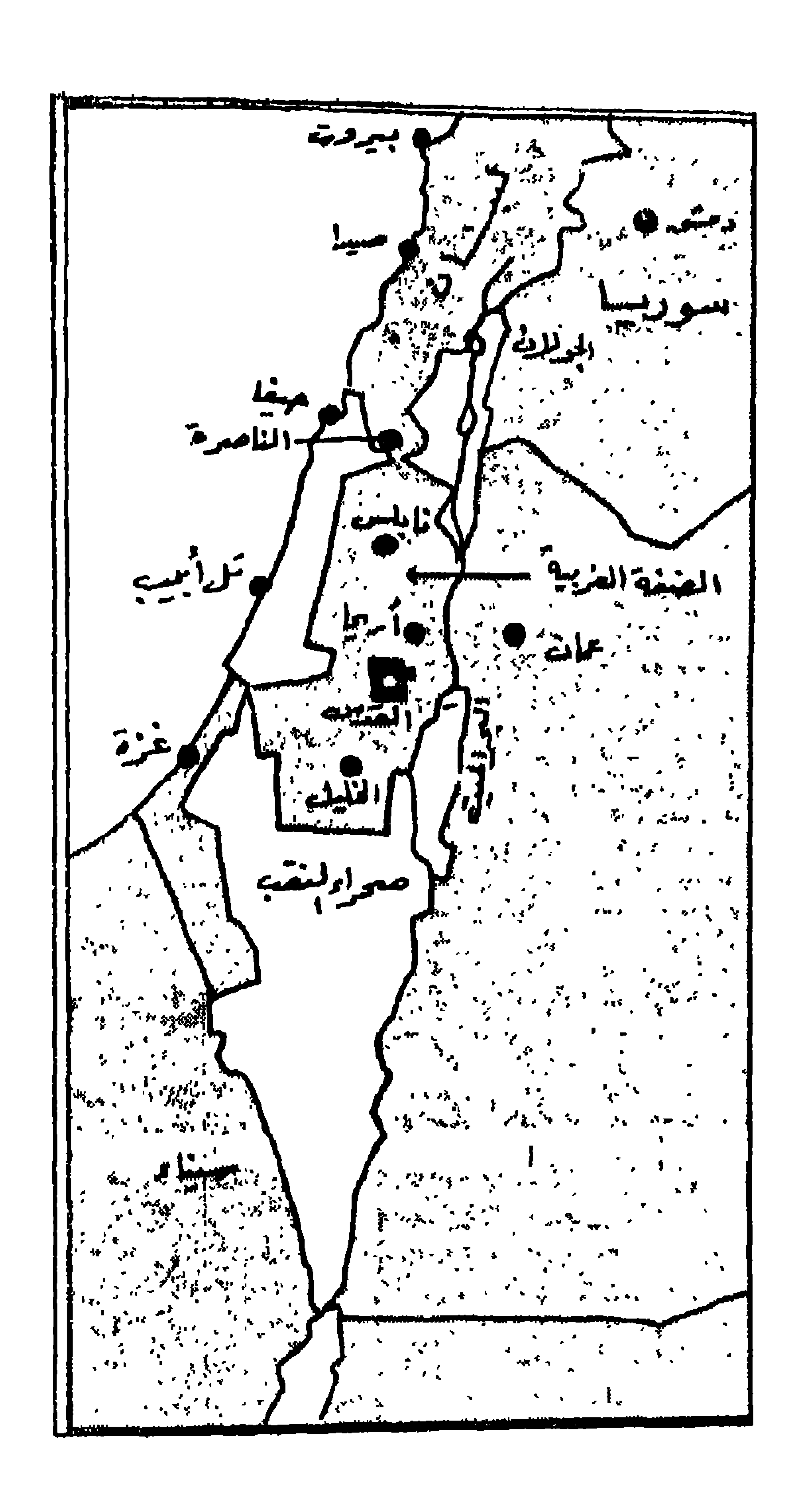
فلسطين ـ اسرائيل ـ الأردن ـ سوريا يجتمعون فى مفاوضات سلام تحت رعاية الأمريكان والسوفيت ٠

٢٣ يونيو ١٩٩٢ : اسحاق رابين يعلن ان إسرائيل مستعدة لتفاوض على « اتفاقية محددة » بشأن الجولان مقابل سلام شامل مع سوريا ٠

١٥ ديسمبر ١٩٩٢ : طرد ٤١٥ فلسطينيا من أعضاء جماعة حماس ردا على اغتيال جندى حرس اسرائيلى ٠

٢٧ أغسطس ١٩٩٣ : شيمون بيريز يعلن ان هناك اتفاقية تاريخية بين اسرائيل والفلسطينيين على وشك الانتهاء منها ٠

٣١ أغسطس ١٩٩٣ : استئناف مفاوضات السلام وبداية الجولة ١١ فى واشنطن - ياسر عرفات يصرح بأن القوات الاسرائيلية ستنسحب من غزة - وأريحا خــلال أربعة أشــهر ٠ اسرائيل تعلن عن استعدادها للاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية ٠


بيروت
صيدا
دمشق
سوريا
الجولان
حيفا
الناصرة
نابلس
تل أبيب
الضفة الغربية
أريحا
عمان
غزة
الخليل
صحراء النقب
سيناء

ملحق (٥)
مقتطفات من كتّاب
أيدوا مبادرة السادات
بزيارة القدس

المرحوم الكاتب الكبير صلاح حافظ رئيس تحرير روزاليوسف السابق . كتب فى ٤ ديسمبر ١٩٧٧ .

جاء فى المقـال :

حدث ارتباك فى صفوف الثوار بعد مبادرة السادات ، وكان من أغرب مظاهرة رفض اليسار لتصرف السادات مع انه التصرف الذى ناضل اليسار طويلا كى يتم . فالماركسيون الذين يمثلون فرقة أساسية فى حزب اليسار الآن كانوا التيار الوحيد الذى طالب فى عام ١٩٤٨ بقبول تقسيم فلسطين والاعتراف بالدولة الاسرائيلية والعربية على أرضها . وبسبب هذا الموقف دخل الماركسيون السجن ، واتهموا بأنهـم عملاء للصهيونية والشيوعية معا . وبعد ثورة يوليو كان أول من وجه دعوة للحوار المباشر مع اسرائيل هو المرحوم يوسف حلمى رجل السلام اليسارى، وبسبب هذه الدعوة عاش طويلا خارج مصر ، ممنوعا من دخولها . وبعد يوسف حلمى كان أول من جرؤ على اقامة حوار علنى مباشر مع شخصية صهيونية هو اليسارى المعروف سـعد كامل . اجرى هذا الحوار أمام عدسات التلفزيون فى باريس ، ثم عاد الى مصر واثقا من ان السـجن ينتظره .

وعلى ضوء هذا التاريخ كان مفروضا ان يكون اليسار . أو على الأقل الماركسيون ــ أول من يبتهج لمبادرة السادات ، ويتباهى بانه نادى بذلك منذ ثلاثين عاما كاملة ..

لكن اليسار كان على العكس الرافض الوحيد · من بين الأحزاب الشرعية فى مصر ــ لزيارة السادات !

ولم يكن حال اليمين أفضل · فهو الذى تصدى فى عهد فاروق لقتل أمل اسرائيل فى المهد ، والقذف بها الى البحر · وهو الذى تمسك بأن يكون اسمها دائما « اسرائيل المزعومة » ·· وهو الذى اعتبر قيامها تحديا دينيا لا يجوز لمسلم ان يسكت عليه · وهو الذى اعتبر أى كلام عن اليهود كبشر ، وأى اقتراح بالتفـاوض معهم (ولو من خـلال وسـيط) دعوة شيوعية ، صهيونية ·

ولكن هذا اليمين نفسه ، وباسم الحزب الشرعى الوحيد الذى يعبر عنه فى مصر ، كان أول من أيد زيارة السادات لاسرائيل ، واعتبرها فتحا فى عالم السياسية والنضال من أجل السلام فى منطقة الشرق الأوسط !

وهكذا ·· من الشارع الى القادة ، ومن مصر الى العرب ، كان الارتباك شاملا منذ قيام السادات بزيارته لاسرائيل ·

لكن أخطر مظهر لهذا الارتباط هو بالتأكيد انقسام الشارع العربى ·

الانقســـام :

لم تصنع هذا الانقسام زيارة السادات ، وانما جاءت الزيارة مناسبة يفصح فيها عن نفسه ، ويوقظ من النوم الذين تظاهروا طويلا بأنه غير موجــود ·

ثم أضــاف قائلا ··

ان السادات عندما قرر ان يزور اسرائيل لم يعرض للخطر أى حق عربى ولم يغامر الا بمستقبله الشخصى ، فى سبيل الهدف العربى ·

أما الحملة على السادات فتعرض للخطر مســتقبل العرب جميعا ، يقامر بمصير الأمر العربية كلها !

والسادات لديه أكثر من حجة صحيحة ومقنعة تفسر اقدامه على هذه المبادرة التاريخية الجريئة ولكن خصـــومه ليست لديهم أية حجة تفسر اصرارهم على استثمار هذه الزيارة فى تصفية المعسكر العربى وانهائه ·

أيها العرب ·· اتحدوا !

لا تمزقوا معسكركم بأيديكم ·· ثم تتعزوا عن الكارثة ، وتخدعوا ضمائركم بالقاء التهمة على السادات !

أما الكاتب المرحوم الدكتور لويس عوض ٠٠ فقد كتب في الأهرام ٨ ديسمبر يقول :

حتى بالنسبة لمن يغباون مبادرة السلام في تحفظ ، أن قوة موقف الرئيس السادات نابعة من ان رافضي سياسته ليست لديهم حلول للمشكلة العربية الاسرائيلية ، الا بقاء الوضع على ما هو عليه ، فلا سلم ولا حرب ٠ وهو وضع لا يؤثر في بعض الدول العربية بتاتا ، وتنتفع منه دول وهيئات عربية أخرى ٠ كما انه أصبح الضمان الأول لبقاء هيئة المنتفعين من استمرار القضية الفلسطينية والتوتر العربي لأن في حلهما انتهاء لهم ٠

ولكنه في الوقت نفسه وضع يطحن مصر طحنا ، فهو أولا يبهظها بالنفقات العسكرية ، وهو ثانيا يشل برامج التنمية الاقتصادية والخدمات السياسية ، وهو ثالثا يحتم استمرار مناخ يمنع كل سعي حقيقي نحو ترسيخ الديمقراطية وسيادة القانون باسم حراسة المعركة ، وهو رابعا يعمق اعتماد مصر اقتصاديا على دول أقل منها تقدما ، وبالتالي يخرجها ثقافيا وحضاريا ، وهو خامسا ، باشاعة مناخ الحرب يمنع استخدام الاستثمارات المحلية والأجنبية في المشروعات الطويلة الأجل في الصناعة والزراعة والخدمات « الأساسية » ، فمثل هذه الاستثمارات لا تتم الا في جو من الاستقرار ، وبالتالي فهو يحول دون زيادة انتاجية البلاد ورفع مستوى الخدمات الأساسية فيها ٠

وتناقض موقف الدول العربية المعادية للاشتراكية مع نفسها بانضمامها الى معسكر الرافضة لمبادرة السلام ٠ فهي من جهة كانت شديدة الاستياء من اعتماد مصر على السلام السوفيتي بل ودائمة الاتهام لمصر بان علاقاتها مع السوفيت تدخل الشيوعية الى الأرض العربية ، ودائمة العمل على تعميق الهوة بيننا وبين الاتحاد السوفيتي حتى كادت ان تبلغ بنا نقطة اللاعودة مع السوفيت ، وهي من جهة أخرى تريد وضعنا مع اسرائيل لا يحل الا بالحرب ٠٠

باختصار : معنى الرفض العربي لمبادرة السلام هو استمرار حالة

اللاسلم واللاحرب التى تطحن مصر طحنا وترتكب فى ظلها أكبر الجرائم والأخطار الاقتصادية (استفحال رأسمالية الكومبرادور والاجتماعية) (اسـتفحال الايدلوجيات العقيمة) وتشل قدراتنا على تطوير حياتنـا السياسية (استمرار حالة الطوارىء) معناه اعتقال مصر الى أجل غير مسمى والحيلولة دون نقاهتها واحتجاز (الرجل المريض) كما يسمونه على فراش المرض حتى لا ينهض أبدا ويضطلع بمسئوليات على رأس المجموعة العربية ٠

●●●

أما الكاتب الكبير المرحوم عبد الرحمن الشرقاوى فقـد كتب فى الأهرام ٩ ديسمبر ١٩٧٧ ، يقول تحت عنوان « على الرغم من كل شىء ٠٠ تعالوا الى كلمة سواء » ٠

قال انه بعد ان عاد من الحج وكان السادات قد قام بمبادرته ٠٠

وأشهد الله اننى عندما عدت من الحج وجدت اجماعا كاملا على تأييد خطوات الرئيس ٠٠ اجماعا يشعله الحماس ٠٠ ووجدت غضبا يستفز بعض الناس الى السخط على هؤلاء الرافضين والى اتهامهم بانهم أعداء مصر بحكم عقد خاصة وهم لا يريدون ان يحلوا القضية لأن لهم مصالح فى بقائها معلقة !! ٠٠ وقد اتيح لى ذلك ان القى بعض الرافضين وان اجادلهم والجدال فى غير الحج مشروع :

والرافضوا فى مصر قليل ٠ ولكن يجب الا نتهمهم بل علينا ان نحاورهم ٠٠ فمن الممكن ان يكونوا قوة تسند موقف المفاوض المصرى ٠٠

أما الرافضون فى غير مصر فكنا نود ان يكون لنا معهم حديث آخر ٠٠ ولكنهم قد قطعوا الجسور باتهامهم مصر بالخيانة !!

الرافضوا فى مصر هم أنصار سلام ٠٠ وبعضهم انفق حياته يسجن ويعتقل ويلطخ بالأوحال دفاعا عن السلام ٠٠ وهم لا يمكن ان يضيقوا أو يرفضوا خطوة الى السلام !! ٠٠ وبعضهم اتهم بالعمالة للصهيونية لأنه طالب بمفاوضات مباشرة مع اسرائيل ٠٠ ولأنهم قبل حرب ٤٨ طالب بقبول التقسيم ! ٠٠ منهم مناضلون شرفاء ٠٠ ويجب ان نناقش بوجهة

نظرهم ٠٠ ولن نكون أقل ديمقراطية من اسرائيل ٠٠ فأصوات المعارضين ترتفع ضد الحكومة تطالبها بالاستجابة لمطالب السادات !!

فلنفرض ان أكثر من تسع وتسعين بالمائة من هذا الشعب يوافق وان هناك واحدا بالمائة يعارض فلماذا لا نصغى الى أرائهم ؟! انا أعرف أن الملايين العديدة توافق بكل ما تملك من وطنية واصالة ، ولكن هناك الآلاف الرافضة وهى ترفض أيضا بكل ما تملك من وطنية وأصالة ٠٠ أنهم ليوافقوا على السلام وعلى كل خطوة يخطوها الرئيس لتحقيق السلام ولكنهم يرون أن الرئيس قدم تنازلا بذهابه الى اسرائيل !! ٠٠ حسنا ولكن الذهاب الى اسرائيل لا يمكن أن يدان أو يمجد فى ذاته ٠٠ بل الحكم عليه يرتبط بما قاله السادات لاسرائيل فى اسرائيل ٠٠ أتنازل عن شىء ؟ ٠٠ أطالب بسلام أيا ما يكون ثمنه ؟! أم طالب بالسلام المستقر الذى لا يقدم الا العدل واحترام الحقوق ؟! لقد طالب السادات بالجلاء عن الأراضى العربية المحتلة وبالحقوق الكاملة لشعب فلسطين فى العودة واقامة وطنه القومى !!

●●●

وكتب الأستاذ سعيد حيال الكاتب السياسى المعروف ٠٠ فى جريدة الأخبار ١٢ ديسمبر ١٩٧٧ ، يقول :

لم يسقط غصن الزيتون يا أبا عمار ٠٠ لقد رفعه السادات فى زيارته للقدس ٠٠ فعلام الاعتراض ؟ ٠

ان فى اسرائيل شعبا له حكومته الوطنية وفيه أنصار للسلام ٠٠ ونقطة لبداية هى التسليم بهذه الحقيقة التى تحميها الشرعية الدولية ٠٠ هذا الرأى أعلنته عام ١٩٦٧ بعد الهزيمة ٠٠ وسؤال لمنظمة التحرير : هل يمكن تحقيق شعاركم بفلسطين الديمفراطية الا برضاء الاسرائيليين ؟ ٠
هذا الرأى علنته عام ١٩٦٧ بعد الهزيمة ٠٠ وسؤال لمنظمة التحرير : هل يمكن تحقيق معاركم بفلسطين الديمقراطية الا برضاء الاسرائيليين ؟ ٠

انتم اذن مسلمون بوجوب الاتصال المباشر مع الاسرائيليين ٠٠ فلماذا ترفضون خطوات السلام المصرية ؟ ٠

كانت خطبة الرئيس السادات فى الكنيست ومناقشاته مع الكتل البرلمانية صريحة قاطعة فى التمسك بالمطالب العربية ٠٠ كذلك توالت التصريحات المصرية معلنة أن الهدف هو الحل الشامل لا الصلح المنفرد ٠٠

لكنهم يقولون : صفقة ومؤامرة ! •

ما أســهل أن نأخذكم بمنطقكم •• مادام هذا رأيكم ، فان حضــوركم اجتماع القاهرة يصبح واجبا وطنيا مقدسا •• تعالوا شهودا وأصحاب حق •• تعالوا لتضامن وشد الأزر •• مدعوون أنتم فلا تخونوا القضية •

كفى قفزا لنتائج بغير مقدمات •• ان القوى الوطنية وأنصار السلام العادل من البلاد العربية وفى العالم كله مدعوون لمساندة خطوات السلام الحالية •• مدعوون لرجم التطرف واعادة التضامن العربى الى قوته ، وصولا لتحرير الأرض ضمانا حقوق شعب فلسطين •

●●●

أما المؤرخ والكاتب البارز الدكتور عبد العظيم رمضان فقد كتب فى جريدة الجمهورية فى ٢٦ نوفمبر ١٩٧٧ فى مقالاته العديدة التى أيد فيها المبادرة :

وعندما طلب الرئيس السادات من الدول العربية البترولية ٢٠ مليار دولار للسنوات الخمس القادمة — لم يحصل الا على مليارى دولار من السعودية وباقى دول الخليج البترولية ، وهو ما يوازى ٢٠ فى المائة فقط من تقدير مصر لمواجهة مطالب الدفاع وانفجار السكان •• مع ان هذا المبلغ لا يساوى أكثر من ١ فى المائة مما دفعه العرب فى شراء العقارات والفنادق والجزر السياحيه ، ويســاوى واحد من خمسمائة من جملة الأرصدة والاستثمارات البترولية فى الغرب ! •

ومع أن ما حصلت عليه دول البترول بعد حرب أكتوبر وبسببها فى ثلاث سنوات يساوى أربعة أضعاف ما حصلت عليه فى ٣٥ سنة ، أى من عام ١٩٣٨ حتى عام ١٩٧٣ ! وقد كان من الشروط التى وضعتها هيئة الخليج لمساعدة مصر الغاء الدعم على السلع الغذائية !

لماذا أسوق هذا الكلام ؟

أسوقه لايقاظ دول الرفض التى تفصل ما بين النظام المصرى والشعب المصرى ، والتى تبنى آمالها وأحلامها على ثورة يقوم بها الشعب المصرى لاسقاط قيادته ، وتخوض حرب دعاية نشطة لتحقيق هذا الغرض ••

أقول لهذه الدول الرافضة أن عليها بدلا من ذلك ، وقبل ذلك ، أن تنزل الى الشارع المصرى لتتحقق من ردود فعل زيارة السادات لاسرائيل ولتعلم أن رجل الشارع المصرى ، وهو يرى ان مشاكله الاقتصادية لا تلقى العناية اللازمة من اشقائه العرب الأثرياء ، لا يستطيع أن يقف موقفا عدائيا من زيارة تستهدف دفع عجلة السلام ، وتسعى لانهاء نزاع ينال الآخرون من ورائه الغنم كل الغنم ، وتكديس الثروات والأموال فى البنوك الأجنبية ، ويناله كل الغرم ، وتزايد الاختناقات والتهاب الأزمات طالما ان هذا السعى لا يتم على حساب الأهداف العربية العليا ، وما اتفقت عليه الأمة العربية من مبادىء ومقررات .

ان الأسلوب الذى تعالج به دول الرفض زيارة الرئيس السادات لاسرائيل ، هو أسلوب أقل ما يقال أنه ينطوى على أخطار ماحقة تصيب المصالح العربية ، فما الفائدة التى يمكن أن تجنى من المحاولات التى تبذلها دول الرفض لتنظيم صفوفها فى وجه النظام المصرى ، وتشديد وطأتها عليه، والاساءة الى صورته فى عين الرأى العام العربى ؟!

واذا كانت دول الرفض تقف هذا الموقف من النظام المصرى بينما يعلن قدسية الأراضى العربية ، وتمسكه بحل القضية الفلسطينية ، والتزامه بالمبادىء الأساسية لمقررات مؤتمر الرباط ، وعدم سعيه الى حل منفرد ، وتمسكه بالتضامن العربى وتدعيم القومية العربية ، فأى موقف آخر كانت ستتخذه لو أنه أعلن انسلاخه عن جبهة النضال العربية ، وابرام حل جزئى ؟

اننى اريد ان أسأل العقيد القذافى بكل اخلاص : ما الذى يمكن أن تجنيه المصالح العربية المشتركة من سحبه الاعتراف بالحكومة المصرية ، وطلبه طرد مصر من الجامعة العربيـــة ، ونقل مقر الجامعة العربية من القاهرة ـ سوى اخراج مصر من جبهة النضال العربية ؟

أليس الأولى بدول الرفض ، بدلا من محاولة عزل مصر واسرائيل فى جبهـة واحدة ، تحليل موقفها جيدا من جميع النواحى الاقتصـــادية والعسكرية والسياسية ، وحـل مشاكلها ؟ أليس الأولى بدول الرفض ، بدلا من رفض كل نتائج زيارة السادات ، دراسة ايجابياتها وسلبياتها ، والاستفادة بها فى خدمة الأهداف العربية ؟ . ولكن هذا يقتضى توافر قدر ضرورى من الثقة ، وهذا القدر فيما يبدو عزيز بين الرفقاء !

كتب للمؤلف

كتب سياسية :

أوربا والعدوان الاسرائيلى •

اليسار الأوربى •

حرب الساعات الست •

رفض الرفض •

ماذا يريد العقيد القذافى من مصر •

السادات فى اسرائيل •

اسرائيل بعيون مصرية •

أزمة اليسار المصرى •

أفغانستان الحقيقة والمستقبل •

ثورة بعد سبعين عاما من الثورة •

شركات توظيف الأموال •

أزمة الخليج •

النور فوق مصر •

السادات الذى عرفته •

أمراء الارهـــاب •

القذافى ومصر : الممكن والمستحيل

من السادات •• لأبو عمار في اسطبل داود !

ادب رحـــلات :

الانسان الأوربى فى الجد واللعب ٠

المعجزة الألمانية الحقيقية ٠

فلاح من سنتريس فى باريس ٠

دليل المسافر الذكى الى أوربا ٠

ادب :

الرجل الذى يعدو (رواية) ٠

يسوع المسيح أسمى النجوم (مسرحية مترجمة) ٠

للكاتب تحت الطبع :

- ارهابيون فى كل مكان ٠
- سقوط الحكم الشيوعى ٠
- مقدمة كتاب « رسائل زوجة معتقل » لسميرة سيد رفاعى ٠

الفهـرس

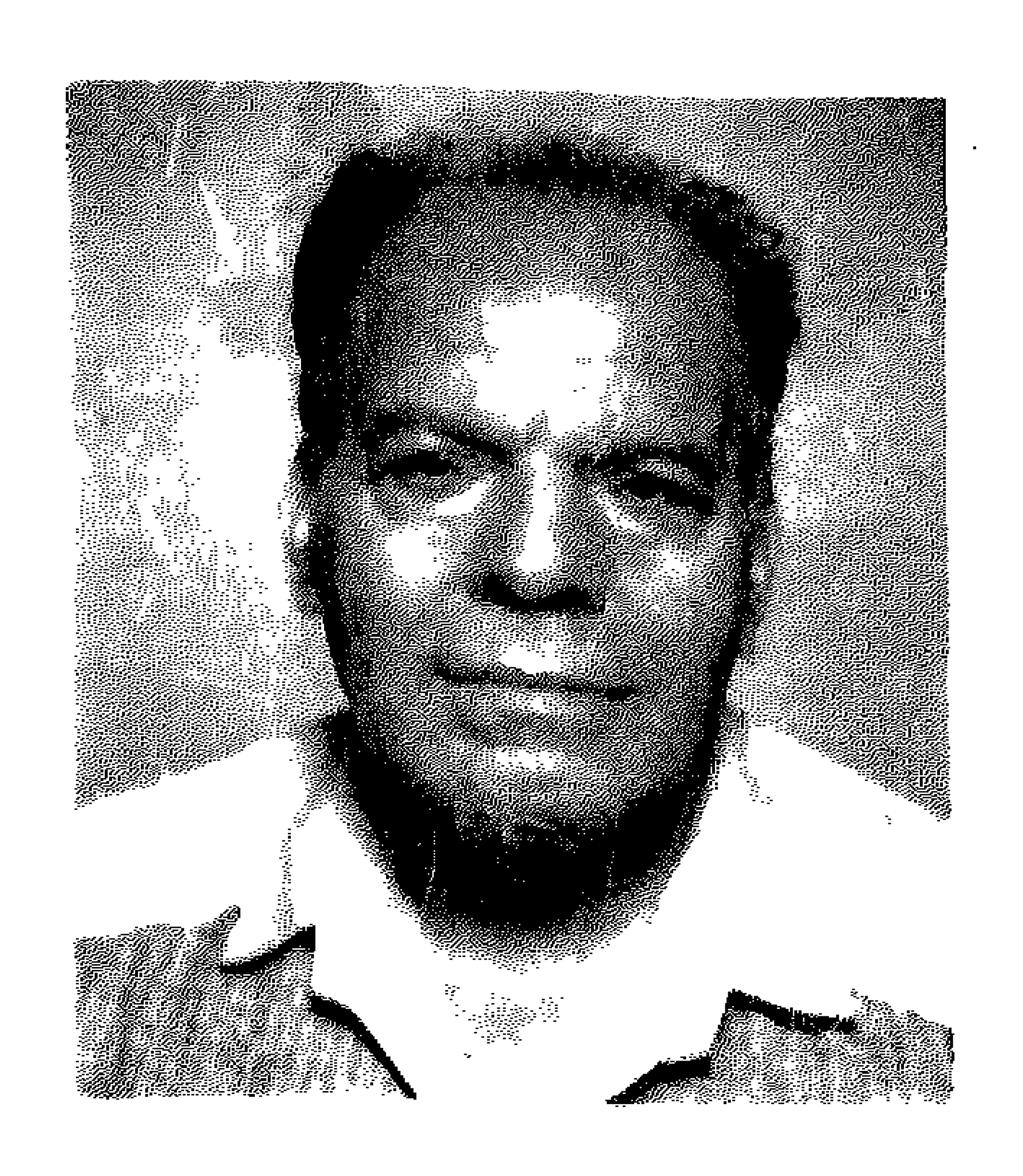
الموضـوع	صفحة

الموضــوع	صفحة

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ٩٩٨٦ / ١٩٩٣

ISBN — 977 — 01 — 3571 — 2



هوجمت إتفاقية كامب ديڤيد التى وقعها أنور السادات هجوماً عنيفاً من جهة رفض عربية واسعة.. حتى سماها البعض «اسطبل داود» كترجمة محرفة «لكامب ديڤيد» تحقيراً لشأنها وسخرية منها ..

وكان مؤلف هذا الكتاب أكثر الكتاب القلائل اللذين تصدا لجبهة الرفض غزارةً واصراراً فيما الف من كتب ومقالات.. مستنداً إلى موقفه القديم الثابت من تأييد قرارات الأمم المتحدة عام ١٩٤٧ بتقسيم فلسطين حتى وصفه الشهيد عصام السرطاوى مستشار عرفات بأنه أكثر الكتاب العرب فهمًا للصراع العربى الاسرائيلى.

اليوم تثبت صحة السياسة التى أيدها ودافع عنها الكاتب.. ويتواكب العرب فى طوابير طويلة تأييدا لها ومحاولة لتطبيقها.

كيف كانت هذه السياسة .. ولماذا .. وماذا عملية المستقبل .. هذا هو موضوع الكتاب الذى لم يجد الناشر افضل من المؤلف ليكتب عنه فى موضوعية وأمانة كعادته فى كل مؤلفاته .. بعد أن حضر جميع الإنتخابات الإسرائيلية منذ عام ١٩٨٠ وأجرى حوارات مع جميع قادة وزعماء إسرائيل يميناً ويساراً.

مطابع الهيئة المصرية العامه للكتاب

٦٦٠ قرشاً

تصميم الغلاف احمد عبد الغفار